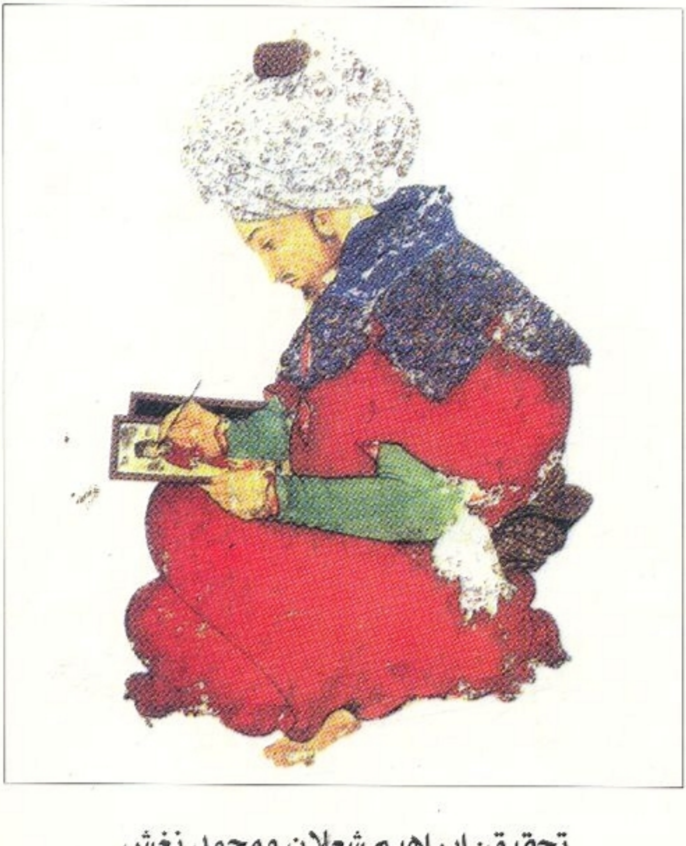
منامات الوهراني

ومقاماته ورسائله

للشيخ ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني

المتوفى سنة ١٥٧٥ م



تحقيق: ابراهيم شعلان ومحمد نغش

منشورات الجمل

منامـات الوهراني

ومقاماته ورسائله

للشيخ ركن الدين محمد بن محمد بن
محرز الوهراني
المتوفى سنة ١٥٧٥ م

تحقيق: ابراهيم شعلان ومحمد نغش

منشورات الجمل

منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، للشيخ ركن الدين محمّد بن محمّد بن محرز الوهراني، المتوفى سنة ٥٧٥ هـ.
تحقيق: ابراهيم شعلان ومحمد نغش، مراجعة: الدكتور عبدالعزيز الأهواني. صدر هذا الكتاب عام ١٩٦٨ لأول مرّة في مصر، وهذه الطبعة طبق الأصل.

رسمة الغلاف: صورة رسام (بداية القرن السابع عشر)

Postfach 600501
50685 Köln - Germany
Tel: 0221 / 736982
Fax: 0221 / 7326763

تصدير

يكاد ركن الدين الوهرانى (القرن السادس الهجرى) أن يكون مجهولا لدى جمهرة المتأدبين فى العصر الحاضر . والمتخصصون فى تاريخ الأدب العربى لا يعرفون عنه إلا القليل ، ولا يجدون فرصة متاحة للاطلاع على شىء من آثاره الأدبية . وعذر هؤلاء جميعاً أن ما وصل إلينا من آثار الوهرانى لا يتجاوز عدداً محدوداً من الرسائل والمقامات والمنامات ، وقد اشتمل عليها كلها هذا المجلد الذى نقدمه اليوم إلى قراء العربية . على أن المشكلة لم تجىء فقط من قلة ما وصل إلينا من نصوص للوهرانى . وإنما تجىء قبل كل شىء من الصعوبة التى يلقاها الباحث فى تحقيق هذه النصوص . ولقد هم عدد من الباحثين بتحقيق هذه النصوص ونشرها ولكنهم انصرفوا عنها شبه يائسين . وكاد المحققان الشابان أن يعيدا سيرة من سبقوهما ، لولا الدأب والمثابرة ، ثم التسليم بأن إخراج هذه النصوص القيمة بعد بذل الجهد فى تسديد الخلل وتدارك النقص أولى من تركها سنوات قد تطول بعيدة عن أيدى القراء ، مجهولة من المتأدبين والدارسين .

ووجه الصعوبة فى تحقيق هذه المجموعة التى كتبها الوهرانى هو أن المؤلف يستخدم كلمات عامية يصعب فهم معناها أحياناً ، ولا توجد فيما بين أيدينا من معاجم ، ثم هو يشير إلى كثير من أسماء معاصريه إشارات لا يعرف معها شخصية هذا المعاصر . مما يجعل تحقيق بعض الحوادث والتواريخ التى تعين على فهم النص عسيراً ، وفضلا عن ذلك فقد وضح أن المؤلف قد أجرى قلمه مرة ثانية فيما كتبه وخاصة فى المنام الكبير ، فغير وبدل وقدم وأخر . مما جعل مراجعة النص فى المخطوطات عملا فى غاية المشقة بحيث تطول الهوامش وتكثر التعليقات التى تثبت الخلاف طولا وكثرة لا نظير لها فيما يعرف من تحقيق النصوص المخطوطة . وقد اضطر المحققان إلى أن ينشرا نصاً واحداً مرتين نظراً للاختلاف الواسع بين رواتيه ، وهى المقامة البغدادية .

وقد بذل المحققان فى هذا السبيل وفى محاولة توضيح إشارات المؤلف جهداً جديراً بالتقدير والثناء . ولم يدخرا جهداً فى مراجعة كتب الأدب والتاريخ والجغرافيا والطب والفلك وغيرها لتوضيح غامض واكتشاف مجهول ومعرفة مغزى إشارة .

وقد أتيح للمحققين أن يجمعا كل ما هو معروف من مخطوطات تشتمل على هذه النصوص . فتهيأ لهما أن يقارنا بين النسخة المخطوطة بدار الكتب المصرية ، وهى التى اعتمد عليها وحدها من تحدثوا عن كتابات الوهرانى . وبين نسخة من رسائل الوهرانى محفوظة فى مكتبة أيا صوفيا باستانبول ، ثم نسخة ثالثة منها فى مكتبة برنستون بأمريكا . إلى مجموعة فى مكتبة تيمور تشتمل على بعض هذه الرسائل . وذلك كل ما هو معروف حتى الآن من أصول خطية لنصوص الوهرانى . وبذلك اصطنعا المنهج العلمى الصحيح ، فى جمع كل الأصول للنص المراد تحقيقه ، وكانا أمينين فى إثبات وجوه الخلاف كلها فى هوامش النص .

(وبعد) فإن هـــذه المجموعة من النصوص تمتاز فى تاريخ النثر الفنى فى الأدب العربى بميزات ترفعها إلى مقام عال . ولا نكاد نجـــد فى النثر العربى القديم نصوصاً فيها ما فى كتابات الوهرانى من حيوية وذكاء ولمحات تعبر عن شخصية الكاتب ، وتصور فى دقة وبلاغة بعض جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية فى عصر من عصور التحول فى المجتمع العربى . وهو عصر الانتقال من الدولة الفاطمية فى مصر إلى الدولة الأيوبية .

وقد اعترف القدماء بفضل الوهرانى وبراعته وخفة روحه ورشاقة أسلوبه ، وخاصة فى المنام الكبير الذى أثنى عليه ابن خلكان ثناء كبيراً . وفى الحق إن منامات الوهرانى ومقاماته وأسلوبه يضيف إلى النثر العربى ثروة ويفتح للدارسين آفاقاً ويقدم للقراء مادة شيقة ممتعة لا تقل عما اشتهر من عيون النثر العربى .

ولست فى حاجة اليوم إلى تفصيل فى الحكم على قيمة هذه النصوص . إذ أن أحد المحققين وهو السيد / محمد نغش يقوم بدراسة جامعية حول الوهرانى وأدبه بإشرافى .

الدكتور عبد العزيز الأهوانى

القاهرة فى ديسمبر سنة ١٩٦٧

وصف المخطوطات

١ ـ مخطوط استانبول :

وقد رمزنا له بالحرف « س » وهو المخطوط الذى اتخذناه أصلا فى التحقيق من مخطوطات مكتبة أيا صوفيا برقم ٤٢٩٩ واعتمدنا على النسخة المصورة منه بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية من ميكرو فيلم ٤٠٥ .

يقع المخطوط فى ٢٠٤ لوحة مقاس ٢٢٫٦ × ١٧٫٨ سم وهو بخط نسخى واضح مشكول وأعلى اللوحة الأولى العنوان التالى : « مقامات الوهرانى » بخط الثلث الكبير نسبياً وتحتها : ورسائله ومناماته ورقاعه وتعريضاته بخط نسخى واضح ، والخطان مشكولان . وعلى الجانب الأيسر من اللوحة تمليك يمكن أن يقرأ « من كتب عبد العزيز بن حماد الحنفى » .

وعلى اللوحة الثانية فى الزاوية اليسرى ما نصه « من كتب مولانا ملك الكمال الحاج سيف الله ابن فياض دامت نعمته ملكه بالبيع الشرعى » ، وتحت هذا الخط من ناحيـة اليمين ختم السلطان أحمد الثالث ثم وقفية باسم السلطان الغازى محمود بن خان .

وعلى اللوحة الثالثة الرقم ٢ وهى تبدأ بالمقامة البغدادية ، وفوق رقم الورقة على الجانب الأيسر ختم مستدير قطره ٢ سم كتب عليه بخط ثلث « يثق بالله المستعان أحمد بن سليمان » ويلى ذلك بعد البسملة « قال الشيخ ركن الدين محمد بن محمد الوهرانى المغربى عفى الله عنه . . . إلخ » .

أما اللوحة الأخيرة فتحمل رقم ٢٠٣ وكان حقها أن تكون ٢٠٤ ، لو رقمت اللوحة الأولى . وتنتهى الصفحة الأولى من اللوحة بالآتى :ـ

« هـــذا آخر رسائل الوهرانى والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيد المرسلين محمد النبى وآله الطاهرين وسلم تسليما » .

وعلى هذه الصفحة ثلاث سماعات نص أحدها « نظر فيه داعيا لمالكه بالمغفرة ولجميع المسلمين العبد الفقير المعترف بالتقصير ، راجى عفو ربه ورحمته أبو السعادات بن محمد بن أحمد

الأسيوطى باكر الأربعاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وألف » . ونص ثانيها « نظر فيه داعياً لمالكه بالمغفرة وللمسلمين فقير عفو الله تعالى على بن محمد بن على ضياء الدين ابن العجمى الشافعى الحلبى وذلك فى شهر صفر الخير من شهور سنة اثنتين وستين وثمانمائة . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وحسبي الله وكفى » .

ونص ثالثها « بلغ من أوله إلى آخره معارضة بالأصل المنقول منه والحمد لله وبمراجعة الرسالة الأخيرة بهذا المخطوط فيما يتصل بالاسم يتضح أنها لعمارة اليمنى وليست للوهرانى فى قوله باللوحة رقم ١٩٣ : « وأظن اسمى لو مر بسمعك لحذفت الميم عنه ، ورخمت آخر حرف فيه لتقول هذا عار ، وحذفت خمسيه ليكون عمى للأبصار . ولست أعلم لذلك عذراً فأحمل فعلك عليه وأنسب تحاملك إليه . لأن اسم عمارة إذا حذفت ميمه صار عارة وإذا رخم آخره صار عار . كما أن عمارة من خمسة أحرف فلو حذفت خمسيه من الآخر صار عمى » ثم ذكر اسم عمارة صراحة فى اللوحة رقم ٢٠٢ فى قوله « ولقد أقسمت عليك وإبراز القسم إليك لتقولن للنفس الأمارة سامحينى فى عمارة . . إلخ » . وهذا ما دعانا إلى عدم نشر الرسالة الأخيرة من المخطوط ضمن آثار الوهرانى لأننا تأكدنا أنها لعمارة اليمنى وقد اطلعنا عليها كذلك فى كتابه « النكت العصرية فى من نال الوزارة المصرية » الجزء الثالث بدار الكتب المصرية .

٢ ـ مخطوط القاهرة :

وقد رمزنا له بالحرف « ق » ومكتوب بخط نسخي واضح بقلم معتاد وهذا المخطوط ناقص وبه ترقيع وورقه سميك وبه بعض التآكلات البسيطة بالورقات أرقام ١ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ وهو بدار الكتب المصرية برقم ٢٤ أدب وعنوانه « رسائل الوهراني » وعدد لوحاته ٩٤ مقاس ٢٥ × ١٦ سم .

وكنا قد قطعنا مرحلة كبيرة فى تحقيق نصوص الوهرانى معتمدين على هذا المخطوط غير أننا وجدنا به كثيراً من التصحيف والتحريف والنقص مما دعانا إلى الاعتماد فى التحقيق على مخطوط استانبول لوضوحه ودقته ولأنه أكمل النسخ التى عثرنا عليها .

اللوحة الأولى ملصق عليها ورقة تمزقت بعض أجزائها وعليها هذه العبارة بخط يخالف خط الناسخ وبحبر أحدث : « أنشأه الأديب القاضى كاتب الرسائل والإنشاء رحمه الله » . وفى جانب آخر من الصفحة كتب بخط ثالث يخالف خط الناسخ وخط صاحب العبارة « رسائل وهرانى مشترى من أحمد أفندى ٧ مسرى سنة ٨٨ » وتكررت العبارة نفسها . وكذلك كتب « الحمد لله طالع فيه أفقر الورى . . . أبو اليسر غفر له » .

وفى السطر الأخير « تقليد لأبى الثنا محمود بن يحيى » وفى ظهر الورقة تكملة هذا السطر « ابن أفلح اللخمى المعروف باتكوا » . وتحتها « بسم الله الرحمن الرحيم » .

ولما كان هـذا التقليد من تأليف الوهرانى كان ما ذكر فى الصفحة الأولى عن القاضى الفاضل تدليساً بنسبة الكتاب إلى القاضى الفاضل .

وعلى اللوحـة الأخيرة هذه العبارة « نجز فى الخامس والعشرين من ذى الحجة من سنة ثلاثين وسبعمائة » وفى ظهر اللوحة سماعان أحدهما « طالع فى هذا الكتاب وتأمل ما فيه بعون الله الملك الوهاب » وثانيها « الفقير سليمان بن الشيخ محمد » .

ملاحظات على المخطوط :

أولا : عناوين الموضوعات أجزاء منها مكتوبة بخط كبير وغليظ نسبياً وأجزاء منها مكتوبة بخط نسخي عادى .

ثانياً : قد تفوت الناسخ كلمة أو بضع كلمات يعود لكتابتها فى الهامش .

ثالثاً : قد ينتهى السطر دون أن ينتهى الناسخ من كتـابة الكلمة وعند ذلك يكتب تكملة الكلمة بعيداً عنها فى السطر نفسه .

رابعاً : كتابة أبيات الشعر فى هـذا المخطوط إذا لم يستوعب السطر البيت كله يقوم الناسخ بتكملته فى سطر تال ولا يشرك مع التكملة كلاماً آخر .

خامساً : فى الصفحة الثانية من اللوحة ٨٦ مقامة بعنوان « وله كتاب إلى صديق له بدمشق » بها بعض الشروح مثل « فلا والله ما رجل من وجوه الكتاب » فى الهامش أمامها « يعنى العماد الأصفهانى الكاتب » وكذلك « عن له فى بعض الأيام طفل من أبناء العوام » فى الهامش أمامها « يعنى مرتضى المغنى » .

وفى الصفحة الأولى من اللوحة ٨٧ « ولا يخلو فى منزله إلا بالخريدة » فى الهامش أمامها « الخريدة الكتاب الذى جمعه يقال له خريدة القصر وجريدة العصر » وهذه التهميشات بخط مخالف .

سادساً : لا يثبت الناسخ الهمزة على الأحرف فى الأسماء والأفعال والحروف إلا نادراً وقد يعوض عنها بحركتها ويخفف الهمزة .

سابعاً : يهمل نقطتى التاء المربوطة فى نهاية الكلمة .

ثامناً : يرسم الهمزة فى آخر كلمة هؤلاء ياء .

٣ ـ مخطوط برنستون : PRINCETON بامريكا

وقد رمزنا له بالحرف « ب» وعنوانه « جليس كل ظريف للوهرانى » وقد تفضل الزميل الأستاذ النيجيرى الدكتور على أبوبكر فيسر لنا الحصول على هذا المخطوط فله منا أخلص الشكر وقد وصلنا الميكروفيلم الخاص به بعد الانتهاء من إعداد الكتاب للطبع فاضطررنا إلى تأجيل طبع النص حتى تم مراجعته على هذا الأصل الجديد .

ويوجد هذا المخطوط فى مكتبة برنستون Princeton مجموعة جاريت برقم ٩٧ وهو فى ٥٢ لوحة مقاس ٢٠ × ١٥ سم وعدد السطور فى الصفحة ١٧ وعنوان الكتاب حسبما هو مدون على اللوحة الأولى « جليس كل ظريف للوهرانى » أما الجانب الأيسر من اللوحة فمكتوب عليه هذه الأبيات بخط نسخى :

تعس الزمـــان فقد أتى بعجائب — ومحا فنون الفضـــل والآداب
وأتى بكتاب لو انبســـطت يدى — فيهم لردتهم إلى الكتـــاب

* * *

رعى الله ليلات تقضت بأنسكم — قصارا وحياها الحيا وسقاها
فما قلت آه بعـــدها للســـامر — من الناس إلا قال قلبى واهـــا

* * *

على قدر فضل المرء تأتى خطـــوبه — ويجمل منه الصبر فيما ينـــوبه
فإن قل فيما يتقيـــه اصطباره — فقد قل فيما يرتجيـــه نصيبـــه

* * *

كما يلى هذا الشعر من الناحية اليسرى حديث شريف « البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فمن أحيا من موات الأرض شيئاً فهو له » .

اللوحة الثانية الجانب الأيمن خال من الكتابة أما الجانب الأيسر فكتوب عليه مرة ثانية كتاب « جليس كل ظريف للوهرانى » رحمة الله تعالى عليه ويقابل هذه العبارة خمس كراريس ثم يأتى بعدها من الناحية اليسرى « طالعه الفقير إلى الله الولى الحميد مولانا محمد الحلبي الشهير بالرشيد عفا الله عنه » .

اللوحة الأخيرة رقم ٥٢ جاء فى خاتمتها ما يلى « هذا ما انتهى إلينا من كتاب جليس كل ظريف على التمام والكمال والحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من الزيادة والنقصان وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً دائماً أبداً انتهى » . وعلى يمين هذه الخاتمة مكتوب بخط نسخى « المقامة الميافارقية » وتليها بخط صغير غير منقوط « الكتاب ملك الفقير عبد الله بن محمد آمين » ويقابلها من ناحية الشمال « الفقير محمود بن مصطفى بن حسين » .

ماحظات على المخطوط :

أولا : الكتاب بخط نسخى واضح مشكول .

ثانياً : يكتب عناوين كتاباته بلون مغاير فى حدود ما يبدو من الصورة الفوتوغرافية .

ثالثاً : لا يثبت الهمزات أحياناً كثيرة .

رابعاً : يثبت فى آخر اللوحة الإحالة إلى ما يتلوها .

خامساً: يصدر الشعر فى رسائله بكلمة « شعر » بخط نسخى واضح صغير ويضع نقطة فى أول البيت ونقطة فى آخره ونقطة أخرى بين الشطرين .

سادساً: نجد فى هامش المخطوط استدراكات لألفاظ قليلة فى متنه أغلبها تصحيح الخطأ أو توضيح لكلمة مطموسة أو إثبات لفظ يبدو أنه رواية أخرى لما ورد بالمتن .

سابعاً : ذكر الناسخ فى موضع واحد من المخطوط فى اللوحة ١٦ فى الهامش « الحسن ابن ضاحى البغدادى » إسماً لشخصية أطلق عليها فى المتن لفظ ملك النحاة .

ثامناً : فى هذه النسخة نقص ناتج عن سقوط أوراق من آخر المقامة الصقلية التى تنتهى فى هذا المخطوط بالعبارة الآتية « قلنا فما تقول فى الفقيه ابن بقيه قال لم يبق بعد موته من العلم بقية وكأنه . . » ثم يبدأ المنام الكبير ناقصاً من أوله كذلك إذ يبدأ

بالعبارة التالية « مقامة مثل فعله فى بنى آدم ، والله لأ لاطمنك بالقلع حتى يبول القندلانى على ساقيه » فيكون جملة ما سقط هو ما يقابل المطبوع من صفحة ٢٢٠ إلى ٢٢١ بالنسبة للمقامة الصقلية ومن صفحة ١٧ إلى ٣٠ بالنسبة للمنام الكبير .

* * *

٤ ـ مخطوط مجموع مقامات ورسائل :

وقد رمزنا له بالرمز « مج » وهو بمكتبة أحمد تيمور برقم ٤٩٢ بدار الكتب المصرية وعثرنا فى هذا المخطوط على عدد من رسائل الوهرانى .

١ — المطبوع من ص ٦١ إلى ٧١

٢ — « « « ٢٣٤ إلى ٢٣٧

وهذا المخطوط يشمل فضلا عن الرسائل المذكورة للوهرانى على رسائل أخرى منها :

١ — رسالة لصلاح الدين الصفدى .

٢ — مقامة فى مدينة حماة لشهاب الدين كاتب الرق .

٣ — ومن رسالة للقاضى الفاضل .

وكنا نود أن نقدم وصفاً تفصيلياً لهذا المخطوط لولا أننا لم نعثر عليه بعد أن أتممنا مراجعة نصه ومقابلته على ما لدينا من النصوص فى نسخ أخرى وذلك حين أردنا العودة إليه لوصفه ولم نجد لدى المسئولين فى الدار جواباً حول اختفائه .

٥ ـ الكنز المدفون والفلك المشحون :

كتاب مجموع فوائد وحكايات ولطائف وأحاديث ألفه شريف الدين يونس المالكى وينسب غلطاً لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ طبع فى بولاق ١٨٧١ م .

نسخة أخرى طبع المطبعة العثمانية سنة ١٣١٣ هـ ونسخة أخرى طبع مكتبة مصطفى الحلبى وأولاده بمصر سنة ١٥٣٧ هـ وقد وردت بغلة الوهرانى بهذا الكتاب ص ٢٦٧ — ٢٦٨ بعنوان « رسالة على لسان بغلة الشيخ زكى الدين الوهرانى للأمير عز الدين موسك » . ويسبقها فى أول الصفحة سطران قال بعض الحكماء « كن من الكريم حذراً إن هجرته ومن الفاجر إن عاشرته » وقد رمزنا لهذا الكتاب بالحرف « ك » ولم نجد فيه الوهرانى غير بغلته .

وإنا إذ نقدم هذا الجهد نرجو أن نكون قد وفقنا إلى خدمة التراث الأدبى العربى .

ابراهيم شعلان **محمد نغش**

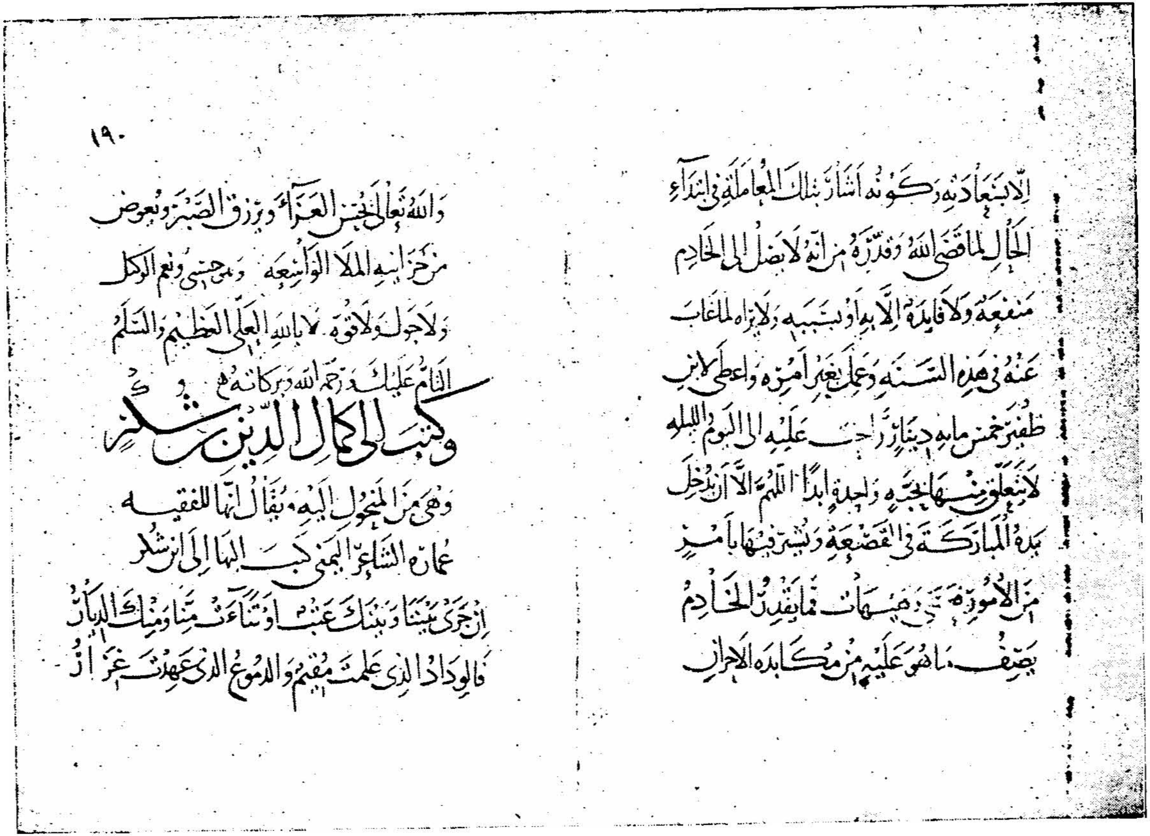
الكشاف

س	– مخطوط استانبول وهو الأصل .
ق	– مخطوط القاهرة .
مج	– مجموع رسائل ومقامات .
ك	– كتاب الكنز المدفون .
ب	– مخطوط بمكتبة جامعة برنستون .
ز	– زيادة عما فى الأصل .
ن	– نقص عما فى الأصل .

(–١) على سبيل المثال – القوس يشتمل على أكثر من كلمة وقد يحتوى مثل هذا القوس على عدة أقواس داخلية .

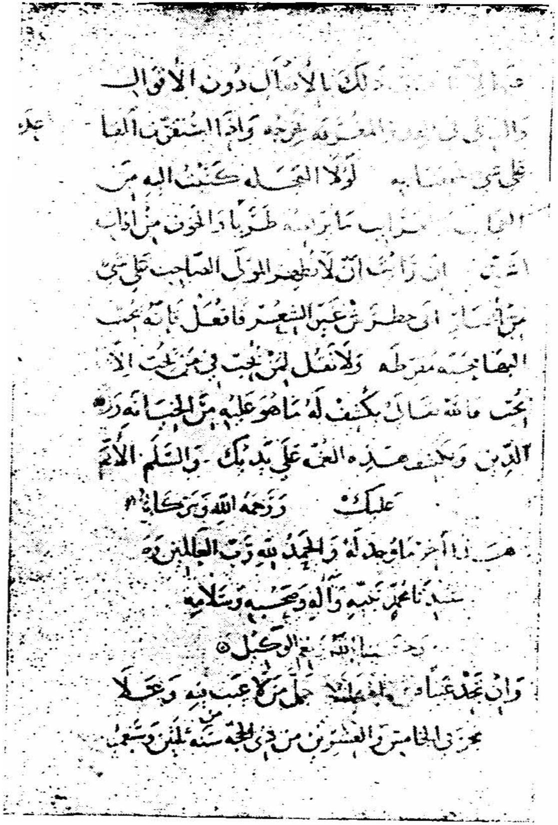
(١) على سبيل المثال – القوس يشتمل على كلمة واحدة .

[ ] – إضافة من عندنا تكمل النقص .


إلا ابتعاده وكونه أشار بتلك المعاملة في ابتداء
الحال لما قضى الله وقدره من أنه لا يصل إلى الخادم
منفعة ولا فائدة إلا به أو بسببه ولا يراه المغاب
عنه في هذه السنة وعمل بغير أمره وأعطى لابن
ظفير خمس مائة دينار راحت عليه إلى اليوم والله
لا يتعلق منها بحبة ولا حبة أبداً اللهم إلا أن يدخل
يده المباركة في القضية ويشير فيها بأمر
من الأمور ... هيهات ثم ما يقدر الخادم
يصف ما هو عليه من مكابدة الأحزان

١٩٠
والله تعالى يحسن العزاء ويرزق الصبر ويعوض
من خزائنه الملأى الواسعة وهو حسبي ونعم الوكيل
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والسلام
التام عليك ورحمة الله وبركاته
وكتب إلى كمال الدين بن شكر
وهي من المنحول إليه ويقال إنها للفقيه
عمارة الشاعر اليمني كتبها إلى ابن شكر
إن جرى بيننا وبينك عتب أو تناءت منا ومنك الديار
فالوداد الذي علمت مقيم والدموع التي عهدت غزار

الى هذه اللوحة تنتهى كتابات الوهرانى فى مخطوط استانبول « س »



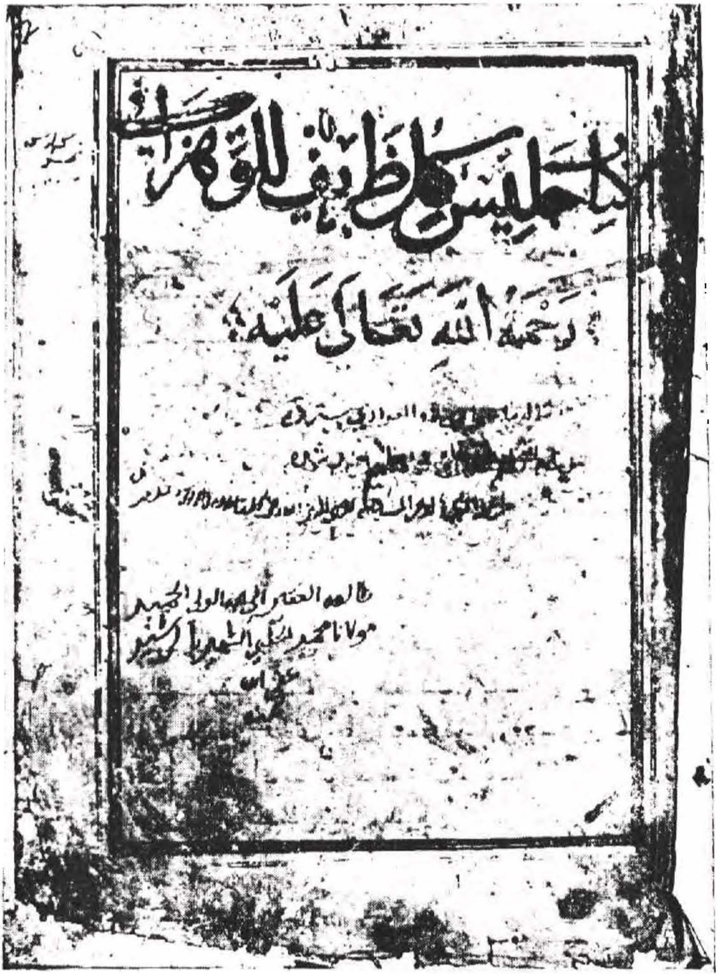
هذا آخر ما وجد له والحمد لله رب العالمين

وحسبنا الله ونعم الوكيل



انشاء الأديب القاضي الفاضل كاتب الرسائل والانشا

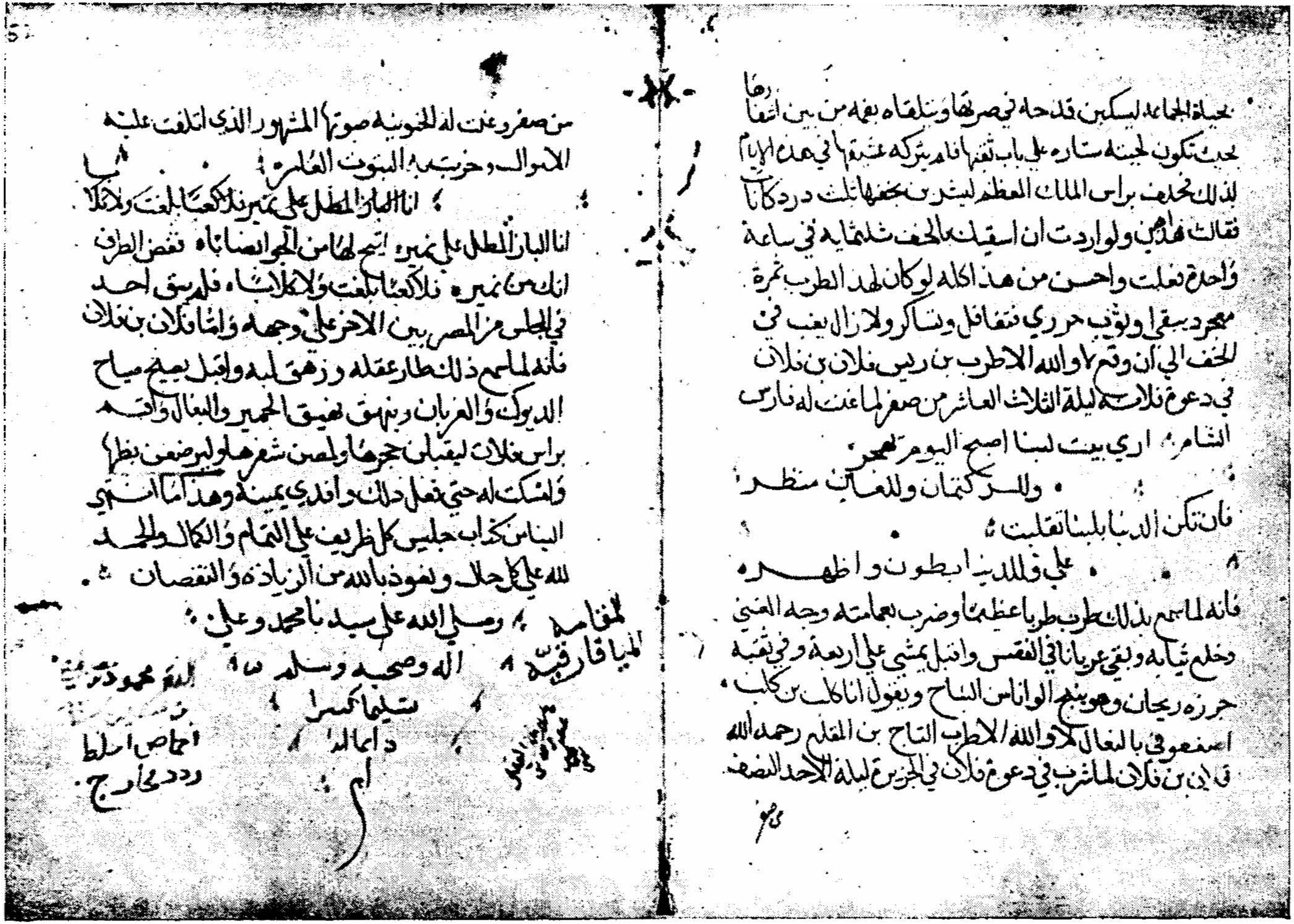
الصفحة الأولى والأخيرة من مخطوط القاهرة « ق »


رحمه الله تعالى عليه

عنوان مخطوط برنستون « ب »



اللوحة الأولى من مخطوط برنستون « ب »



بحياة الجماعة ليسكين قدحه ويصرفها ويلقاه بفمه من بين اتباعها
بحيث تكون الجنة ساره على باب تفنها انا متركه عنبة في هذه الايام
لذلك تخلف براس الملك المعظم لسنر بن بخفها تلت درد كانا
فقالت هذا هي ولو اردت ان اسقيك بالخف ثلثمايه في ساعة
واحدة فعلت واحسن من هذا اكله لو كان لهذا الطرب ثمرة
معجر دبيقي او ثوب حريري نتفائل ونتشاكر ولا زال يعب في
الخف الى ان وتم لا والله الاطرب بن رئيس فلان بن فلان
في دعوة فلانه ليلة الثلاث العاشر من صفر لما غنت له نارس
الشام: اري بيت لسنا اصبح اليوم محجر
وللسر كتمان وللعاتب منظر
فان تكن الدنيا بلبنا تقلبت
على فللدنيا بطون واظهر
فانه لما سمع بذلك طرب طربا عظيما وضرب بعمامته وجه المغني
وخلع ثيابه وبقي عريانا في القميص واقبل يمشي على اربعة وفي تعبه
حزره ريحان وهو ينبح الوان النباح ويقول انا كلب بن كلب
اسمعوني بالمعالي لا والله الاطرب التاج بن المقلم رحمه الله
في ابن بن فلان لما شرب في دعوة فلان في الجزيرة ليلة الاحد النصف

من صفر وغنت له الحنونية صوتها المشهور الذي اتلفت عليه
الاموال وخربت به البيوت العامرة:
انا البازُ المطلُ على نميرٍ اتيح لها من الجو انصبابا
فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا
فلم يبق احد في المجلس من الصحب بين الاخر على وجهه واما فلان بن فلان
فانه لما سمع ذلك طار عقله وزهق لبه واقبل يصيح صياح
الديوك والغربان وينهق نهيق الحمير والبغال واقسم
براس فلان ليقبلن حجرها وليمص شعرها ولم يرض بنظرها
وامسك له حتى فعل ذلك وانا اذن يمينه وهذا ما انتهى
الينا من كتاب جليس كل ظريف على التمام والكمال والحمد
لله على كل حال ونعوذ بالله من الزيادة والنقصان.
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم

اللوحة الأخيرة من مخطوط برنستون « ب »

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

قال الشيخ ركن الدين محمد بن محمد الوهرانى(٢) المغربى عفا الله عنه يصف بغداد المحروسة وسفرته إليها ويمدح الخليفة .

قال الوهرانى : لما تعذرت مآربى ، واضطربت مغاربى(٣) ، ألقيتُ حبلى على غاربى ،وجعلت مُذ ْهَبات الشّعر بضاعتى ، ومن أخلاف الأدب رضاعتى . فما مررت بأمير إلا حللت ساحته ، واستمطرت راحته ، ولا وزير إلا قرعت بابه ، وطلبت ثوابه ، ولا بقاض إلا أخذت سَيْبَهُ ، وأفرغت جيبه . فتقلّبت بى الأعصار ،وتقاذفت بى الأمصار ، حتى قربت من العراق، وسئمت من الفراق . فقصدت مدينة السلام ، لأقضى حَجَّة الإسلام . فدخلتها بعد مقاساة الضُّر ، ومكابدة العيش المر . فلما قرَّ بها قرارى ، وانجلى فيها سِرارى ، طفتها طواف المفتقِد ، وتأمَّلتها تأمُّل المنتقِد، فرأيت بحراً لا يعبر زاخره ، ولا يبصر آخره ، وجنةً أبدع جنَّانُها ، وفاز باللذة سكّانُها ، لا يميل عنها المتّقون ،ولا يرتقى إلى صفتها المرتقون ، «كمثل الجنة التى وعد // المتقون » . فأرحتُ نفسى من سلوك الغور والفج،وجلست أنتظر [ل٣] أيام الحج ، وتاقت نفسى إلى محادثة العقلاء ، واشتاقت إلى معاشرة الفضلاء

---

(١) هذه المقامة كما وردت فى الأصل .

(٢) كذا بالأصل ، وقد وردت « محمد بن محرز بن محمد الوهرانى » بوفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٤٦ : ٣٤٧ .

(٣) ولعله يشير هنا إلى تركه المغرب وطنه إلى المشرق .

فدلّنى بعض السادة الموالى ، إلى دكان الشيخ أبى المعالى[١]، فقال: هو بستان الأدب ، وديوان العرب ،يَرْجِع إلى رأى مصيب ، ويضرب فى كل علم بنصيب . فقصدت َقصْده ، حتى جلست عنده . فحين نظر إلىّ ، ورأى أثر السَّفر علىّ ، بدأنى بالسلام ، وبسطنى بالكلام . وقال: من أىّ البلاد خرجت ، وعن أيها َدرَجت؟ فقلت: من المغرب الأقصى ،والأمد[٢] الذى لا يحصى ،ومن البلد الذى لا تصل إليه الشمس حتى تكِلُ أفلاكُها ، وتضجّ أملاكُها ، ولا القمر حتى يتمزق َسرْجُه ،ويتداعى برُجه، ولا الرياح حتى يحجم إقدامها ،وتحفَى أقدامها . قال: كيف معرفتُك بدهرك ، ومن تركته وراء ظهرك ؟فقلت:[٣] أما البلاد فقد ُدستها وجُستها ،وأما الملوك فقد لقيت كبارها وحفظت أخبارها ، وقد كتبت فى ذلك مجلداً[٤] وتركت ذكرهم فيه مخلداً . فأىّ الدول تجهل ، وعن أيها تسأل ؟ فقال : أول ما أسألك عن دولة الملثمين[٥] وأبناء أمير المسلمين . فقلت هيهات ، // يابعد من مات خمدت [ل ٤]
نارهم ، وبادت آثارهم ، واسود ناديهم ، وملكتهم أعاديهم .

جمالُ ذى الأرضِ كانوا فى الحياة وهم بعد المماتِ جمالُ الكُتْبِ والسِّيرِ

أفلت بدورها ، فتعطلت صـدورها ، وطلعت نحوسها ، فغابت شموسها .

أمست خلاءً وأمسى أهلُها احتملوا أخنى عليها الذى أخنى على لُبدِ[٦]

قال: فما تقول فى عبد المؤمن[٧] وأولاده ، وسيرته فى بلاده ؟ فقلت: مؤيَّد من السماء ، مسلط على من فوق الماء . خضعت له ذوو التيجان ،

---

(١) هو غالباً أبو المعالى الكتبى المتوفى سنة ٥٦٨ (ابن الجوزى ص٢٤١) .

(٢) فى الأصل: الأمر. (٣) فى الأصل : فقال .

(٤) لم نحصل فيما لدينا من المراجع على اسم هذا المجلد الذى يذكره ولا شيئاً عما يحتويه .

(٥) دولة الملثمين : يريد بهم دولة المرابطين الذين نشروا نفوذهم فى المغرب والأندلس خلال القرن الخامس الهجرى والسادس ثم سقطت دولتهم بقيام دولة الموحـدين (أنظر دائرة المعارف الإسلامية مادة مرابطين ، والمعجب لعبد الواحد المراكشى) .

(٦) لبد : آخر نسور سليمان عليه السلام وكان معمراً .

(٧) عبد المؤمن: هو عبد المؤمن بن على بن مخلوف بن يعلى بن مروان ،أبو محمد الكرمى =

وخدمه الإنسُ والجان . ولو أن للقلم لساناً ، وللورقة إنساناً ، لتألمت وتظلمت ولأنشدتك فى الملا ، قول الشيخ أبى العلا :

جَلَوْا صارماً وتَلَوْا باطــلا   وقالوا صدقنــا فقلنــا نعم

ولكن السكوت عن هذا أنجح ، ومسالمة الأفاعى أصلح . قال : فما تقول فى دولة كافر صقلية[1] ، وسيرته فى الأيام المتولِّية ؟ فقلت له : إنه لما انقرض طاغوتها ، وهلك جالوتها[2] ، تناثر سِلكها ، وتدابر مُلكها ، فصاروا يمدُّونه[3] // بالهدايا والبراطيل ، بعد الجيوش والأساطيل . [له]

ومن ذا الذى يا عزّ لا يتغـــيّرُ

= أمير المؤمنين مؤسس دولة «الموحدين» المؤمنية فى المغرب وأفريقيا وتونس . كان قائدا شجاعا فى عهد ابن تومرت ملك المغرب الأقصى ، فلما توفى اتفق أصحابه على خلافة عبد المؤمن ودعى أمير المؤمنين سنة ٥٢٦ هـ . وهو الذى قاتل الملثمين « بنى تاشفين » واستأصلهم عن آخرهم ، وكان محباً للغزو والفتوح . خضع له المغربان « الأقصى والأوسط » واستولى على أشبيلية وقرطبة وغرناطة والجزائر والمهدية وطرابلس والمغرب وسائر بلاد أفريقية ، وأنشأ الأساطيل ، له أبنية وآثار وأخبار كثيرة توفى ٥٥٨ هـ (وفيات الأعيان ١ – ٣١٠ – الأعلام ٤ – ٣١٩) .

(١) كافر صقلية : يريد بهم ملوك صقلية من النورمنديين منهم روجر الذى ألف له الشريف الإدريسى كتاب « نزهة المشتاق » (إحسان عباس : تاريخ صقلية) .

(٢) جالوت : أوجليات Goliath ومعناها بالعبرانية مسبى : اسم لبطل جبار فلسطينى من مدينة جت ، اشتهر بالمحاربة التى قام بها ضد إسرائيل فأراد أن يكفى أصحابه مؤونة الحرب بأن يصارع بنفسه أشجع رجال إسرائيل على أنه إذا قتل هو خضع الفلسطينيون لإسرائيل وإن قتل خصمه أخضع إسرائيل لهم فبقى جليات هكذا مدة ٤٠ يوماً وهو يعبر إسرائيل فى المساء والصباح ويطلب من يبارزه ، فأتى داود ورماه بحجر من قلاعه فشق جبينه ووقع صريعا فاحتز داود رأسه وحمله أمام الشعب . وقد ذكر تفصيل قصته فى الإصحاح السابع عشر من سفر صموئيل الأول (دائرة معارف البستانى ٦ – ٥٠٤ جـ ١ ط بيروت ١٨٨٣ م) .

(٣) العبارة هنا غامضة ولا ندرى ما فاعل يمدونه هل يريد به ملوك المسيحية أم يريد بعض طوائف المسلمين ؟

قال : فما تقول فى الدولة المصريّة ، والخلفاء العلَويّة [1] ؟ فقلت : عجوز محتالة ، وطفلة مختالة ، وكاعب فتانة ، وغادة مجّانة .

تفانى الرِّجالُ على حبِّها   فما يَحْصُلون على طائلِ

ربّاها السلطان فى الحجُور ، بين الفسق والفجور ، حتى إذا هرمت سعودُها ، وذَوَى عودها ، رُميت بالرواعد ، فأتى الله بنيانهم من القواعد .

وإن الجرح ينْغِرُ بعد حين   إذا كان البناءُ على فسادِ

قال : كيف أُخِذت من أربابها ، واستُنْزِعت من أيدى أصحابها ؟ فقلت له : اعلم أنه لما أحانَ الله حَينَهم ، أظهر شينْهم ، وألقى بأسَهم بينهم ، فضرب زيدٌ عمراً ، وقتل خالدٌ بكراً ، وكُسر قرابُ السيف ، وأُغمد فى الشتاء والصيف . فما انقشع فسادُهم ، حتى فنيت آسادهم ، ولا برِح عنادُهم ، حتى تفرقت أجنادهم ، فقصُرَتْ حبالُ الدولة عن ربطها ، وضعفت رجالها عن ضبطها ، فبقيَتْ كالجارية الحسناء التى أبرزها الحجال ، وأسلمتها الرجال ، فتغاير عليها الجيران ، // وطرح عندها الجيران [2] . [ل ٦] وسبق إليها رجال الفرنج ، فصيروها كرقعة الشطرنج ، يجوسون خلالها ، ويتفيئون ظلالها ، فأنفَ من ذلك ذوو الأحلام ، وملوك الإسلام ، فانتدب لها من بنى شادى [3] الأسد الهصور ، والملك المنصور [4] فرماها بهمته ، وقصدها برمّته . فدافعوه ومانعوه ، واستعانوا عليه بالأسْود وبالأحمر ، وبالملوك من بنى الأصفر [5] .

---

(١) يريد الدولة الفاطمية. (٢) كذا بالأصل ، وهو لا يستقيم معنى ولا يتفق مع أسلوبه فى السجع.

(٣) بنى شادى : نسبة إلى شاذى بن مروان والد نجم الدين أيوب ، وأخيه الملك المنصور أسد الدين شيركوه (مفرج الكروب ١ / ٣) .

(٤) الملك المنصور : أسد الدين شيركوه ومعناه بالعربية أسد الجبل بن شادى بن مروان أبو الحارث ، الملك المنصور عم السلطان صلاح الدين الأيوبى وكان شجاعا عاقلا مقيما بدمشق . استنجد به المصريون حين دخل الإفرنج بلبيس وقتلوا أهلها سنة ٥٦٤ هـ فجاءهم وطرد الإفرنج وخلع عليه الخليفة العاضد خلع السلطة وعهد إليه بوزارته فأقام وزيرا شهرين وأياما ثم توفى فجأة فى السنة نفسها ٥٦٤ هـ (خريدة القصر وجريدة العصر تحقيق د / شكرى فيصل ١ – ١٩٣ – وانظر وفيات الأعيان ، النجوم الزاهرة ٥ – ٣٨٨ – الأعلام ٢ – ٤٢١) .

(٥) بنى الأصفر : يريد هنا الروم .

فقتلهم وكسرهم ، وأخذ أبطالهم وأسرهم . ولم يزل فيها بين الطارق والمنتاب ، والساكن والمرتاب ، إلى أن طواها طيّ السجلّ للكتاب . فلما انتهى إلى كماله ، وبلغ النهاية من آماله ، وفاز بالرضوان فى قُربه ، انتقل إلى ربه . وأجمع الناس بعد موته ، على تخليدها فى أهل بيته . لما يعلمون من رياستهم ، وحسن سياستهم ، وما يَخبُرُون عن سماحِهم وطول رِماحِهم . فاتفق أهل الحِل ، وأرباب العَقْد والحَل ، بعد النظر فى الأواصر ، والاختبار للعناصر ، على تقليدها لابن أخيه الملك الناصر(1) لما جبل عليه من حميد الأوصاف ، وإيثار العدل والإنصاف ، وما اجتمع فيه من أخلاق الملوك وتواضع الصعلوك ، وما خص به من شهامة الجَنَان ، وسماحة النفس والبنان . فتسلمها // مضطربة [ل٧] الأوائل ، محشوّة بالفتن والغوائل ، تسرى عقارب أصحابها ، وتغلى مراجل أربابها ، فوثب عليهم وثبة الأسد الكاشرِ ، وسطا عليهم(2) سطوة الأسدِ الباسر(3) ، فأخرج المفسد والمحارب ، وقتل الأفاعى والعقارب . فتمهدت له شعابها ، وذلت بسيفه صعابها . وصارت القاهرة بعدهم كجنة النعيم ، وكانت بهم كالبقعة فى سواء الجحيم . ولما انتظمت جواهرُ سِلكه ، واطمأن على سرير ملكه ، ساقت السعادة أهله أجمعين من العدو سالمين ، وبالقرب غانمين فأكثر الشكر لله رب العالمين ، وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين . ورفع أباه على العرش ، وبسطت له الخدود مكان الفرش . وأنشدهم بعض خدمهم فى ذلك المقام فى التهانى ، للخادم الوهرانى :

المُلْك مبتسمٌ من بعـــد تقطيبِ ... والسعدُ يخدمه فى كل تأويبِ(4)
بالناصر الملك الميمـــون طائرُه ... تخلصَتْ مصر من حرب وتخريب
قد صار يوسفُ فيها مثلَ يوسفها ... فذا ابن أيوبَ يحكى نجلَ يعقوبِ

---

(1) الملك الناصر : صلاح الدين الأيوبى حكم من سنة ٥٦٧ إلى سنة ٥٨٩هـ .

(2) عليهم : فى الهامش « بهم » .

(3) الباسر : بسر العدو : قطب وجهه ، ويقال للأسد البسور ويلاحظ أن السجعة ترجع (الكاسر) فى الأولى وأسلوبه يقتضى أن لا يكرر لفظ الأسد .

(4) تأويب : تأوب الشئ فلانا : عاوده .

[ل٨] وصلى الملك الزاهد، والبطل المجاهد نجم الدين[1] وسيف // المجاهدين ، أول جمعة صلاها أربعاً[2] ، ولم يجد فيها للسنّة مجمعاً ، فصعب عليه تبطيل هذا الفصل ، وإسقاط ذلك الأصل ، فأقبل يمهد القواعد ويهديها ، ويخمد البدع ويخفيها ، حتى كمل الإسلام ، وتم دين النبي عليه السلام . وأتى البيت من بابه ، ورد الأمر إلى أربابه ، أجراً ساقه الله إليه ، وفتحاً مبيناً قضى به على يديه . فأمر بذكر العشرة ، الكرام البررة[3]، وصرح بأسمائهم على المنابر ، وأرغم بهم أنف الحسود المكابر . ثم خرج من الشك والالتباس ، ودعا للأئمة من بنى العباس ، لعلمه أنه لا يتم الإيمان إلا بولاياتهم ، ولا تحسن المنابر إلا بسواد رايتهم ، ولكونه غُذى بلبانهم ، ونشأ فى إحسانهم ، فحصل بنو شادى على الرتبة الفاخرة ، وقطعوا عرض اللجة الزاخرة ، وفازوا بنعيم الدنيا وثواب الآخرة . فسار ذكرهم فى الأقطار ، وانثال عليهم ذوو الأخطار والأوطار ، وقصدهم الملك والمملوك ، وانتابهم الغنى والصعلوك . فوهبوا الجباد والعباد ، وفرقوا المال والأعمال، فقويت بهم كلمة الموحدين ، وخمدت
[ل٩] نيران المشركين ، // بسعادة المستضىء بأمر الله[4] أمير المؤمنين . فقال لله درك لقد أجبتنى وأعجبتنى ، وأنشد :

ستبدى لك الأيام ما كنتَ جاهلا ويأتيك بالأخبـــار من لم تزودِ

---

(١) نجم الدين : الملك الأفضل نجم الدين أبو الشكر أيوب بن شاذى والد الملوك توفى سنة ٥٦٨ هـ . كان جوادا رحيما ، كثير البذل حسن النية جميل الطوية ، واتفقت له سعادة عظيمة (مفرج الكروب ١ - ٢٣٠ ، وفيات الأعيان ١٤٩ : ١٥٢) .

(٢) يريد أن عدد المصلين لم يكن كافيا لامتناع المصريين عنها تشيعا للأئمة الفاطميين ، فصلى الجمعة ظهرا ، أى أربع ركعات .

(٣) العشرة الكرام البررة : هم أصحاب الرسول المبشرون بالجنة وهم : أبو بكر ، عمر ، عثمان ، على ، الزبير ، طلحة ، عبد الرحمن بن عوف ، سعد بن أبى وقاص ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سعيد بن زايد (تاريخ بن عساكر ٦ - ١٠٠) .

(٤) المستضىء بأمر الله : فى سنة ٥٧٥ هـ توفى الخليفة المستضىء بأمر الله ، أبو المظفر يوسف ابن المقتفى لأمر محمد لاثنتى عشرة مضت من شوال ، وكانت خلافته عشر سنين غير أربعة أشهر ، واستخلف من بعده ابنه الناصر لدين الله أبو العباس أحمد (السلوك للمقريزى ص٧٠) .

فقلت له : حدثنى أنت عن سيرة الإمام ، فى هذه الأيام . فإنى ذاهب إلى قوم يعتقدون إمامته حقاً لازماً ، وولايته فرضاً جازماً . يتقربون إلى الله بمحبته ، ويتوسلون إليه بحرمته . فقال : ما عسى أن أقول ، فى ابن عم الرسول ، خليفة الله فى بلاده ، ووصيه على أولاده ، ومسيح زمانه ، مهدى عصره وأوانه . عزيمته أمضى من الحسام ، ويمينه أندى من الغمام ، ووجهه أبهى من البدر ليلة التمّام . قد جمع الله فيه من الفضل والوفاء ، ما فرقه الله فى سائر الخلفاء . فكأنه السفاح فى حزمه وعزمه ، والمهدى فى دولته وصولته ، والرشيد فى سياسته ورياسته ، والأمين فى بهائه وسخائه ، والمأمون فى علمه وحلمه ، والمعتصم فى شهامته وصرامته(١) . فلا جرّم أن الخلافة حامت عليه ، وألقت زمامها // فى يديه ، وأمالوها عنه فالت إليه ، فبوّأته حجالها ، وفيأته ظلالها : [ل ١٠ ب]

فلم تك تصــلح إلا له ولم يك يصــلح إلا لها

فطبق البلاد عدله ، ووسع العالم فضله ، وكسف بنوره القمرين ، وأحيي بعدله سيرة العمرين(٢) ، فحسنت به الأيام وتجملت ، ونالت الرعية فوق ما أمّلت :

فالله يبقيه للإســلام يحرسه والله يبقيــه للدنيــا وللــدين

قلت : فما تقول فى عضد الدين(٣) . فقال جبل حلم راسخ ، وطود علم شامخ ، وسهم رأى صائب ، ونجم عدل ثاقب ، نجل الملوك الأكاسرة ، وابن التيجان والأساورة(٤) . أكرم من الغيث الهامر ، وأشجع من الليث

---

(١) س : وحزامته .

(٢) العمرين : يراد بهما أبا بكر وعمر .

(٣) الوزير عضد الدين : أستاذ الدار عضد الدين أبو الفرج محمد بن أبى الفتوح عبد الله ابن المظفر بن رئيس الرؤساء (مفرج الكروب ١ – ١٩٤ ، وانظر هامش مفرج الكروب ص١٩٦ حيث أحال الأستاذ الشيال إلى الفخرى لابن طباطبا ص٢٨٠ ، ٢٨٢) .

(٤) الأساورة : مفردها : أساور وهو قائد الفرس ، والأساور كذلك الجيد الرمى بالسهام وغيرها . والأصل أساورة الفرس .

الحادر . كان المستنجد بالله[١] – قدّس الله روحه وبرّد ضريحه – لما خَبَرَ ديانته وأمانته ، وفهم طريقته وحقيقته ، وضع كل الدولة عليه ، وألقى مقاليد الأمور إليه ، فأخذ القوس باريها ، ونزل الدار بانيها . فقلت له : ما تقول فى حلول بابه ، واستمطار سحابه ؟ فقال : والله لو قصدت باب الوزير ، لأمطرك من وبله الغزير ، مايبلغك إلى أوطانك ، [ل ١١٥] // ويُزهدك فى سلطانك ، ويزرى عندك بمن لقيته من الأمراء ، ومن شاهدته من الوزراء . فقلت له : إذن والله أشكره شكر الأرض للسماء ، والروض الزاهر للماء ، ولا سيما إن أخذ لى من الخليفة خلعة سنية منيفة ، استضىء باقتباسها وأتبرك بلباسها ، وأنشرها على منارة الإسكندرية ، وأطرحها على ساحل المرية[٢] ، وأكبت بها الأقران فى وَهْران ، وأطلق بشكره اللسان فى تلمسان[٣] ، وأدعو له فى مدينة فاس[٤] على عدد الأنفاس ، وأثنى عليه فى أغمات[٥] إلى وقت الممات

---

(١) المستنجد بالله هو الخليفة السابق على المستضىء بأمر الله .

(٢) المرية : مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس ، وكانت هى وبجانه بابى الشرق ، منها يركب التجار وفيها تحـل مراكبهم . فيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب . والمرية أيضا مرية بلسن : بلده أخرى بالأندلس من أعمال رية على ضفة النهر . كانت مرسى يركب منه فى البحر إلى بلاد البربر فى العدوة من البحر الأعظم – والرأى أنه يقصد الأولى (معجم البلدان ٨ – ٤٢ ، ٤٣) .

(٣) تلمسان : وبعضهم يقول تنمسان : وهما مدينتان متجاورتان مسورتان احداهما قديمة والأخرى حديثة ، والحديثة اختطها الملثمون من ملوك المغرب ، واسمها تافرزت فيها يسكن الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس واسم القديمة أقادير يسكنها الرعية فهى كالفسطاط فى القاهرة من أرض مصر (معجم البلدان ٢ – ٤٠٨) .

(٤) فاس : مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب وهى حاضرة البحر وأجل مدنه قبل أن تختلط مراكش وفاس (معجم البلدان ٢ – ٣٢٩) .

(٥) أغمات : ناحية فى بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش ، وهى مدينتان متقابلتان كثيرة الخير ، ومن ورائها إلى جهة المحيط السوسى الأقصى بأربع مراحل ، ومن سلجماسة ثمان مراحل فى بحر المغرب ، وليس فى بلد المغرب فيما زعموا بلدا جمع لأصناف الخيرات ولا أكثر ناحية ولا أوفر حظاً لا خصبا منها . . . تداولتها عدة دول منها دولة الملثمين وكان فيهم جد وصلابة فى الدين . . . ثم عبد المؤمن وبنوه ولهم قاموس يلتزمونه وسياسة يقيمونها لا يثبت معها مثل هذه الأخلاط والله أعلم . . . وبين مدينة أغمات ومراكش فراسخ ، وهى فى سفح جبل هناك (معجم البلدان ١ – ٢٥٩ ، ٢٩٦) .

فقال : أبشر ببلوغ الأمل ، ونجاح هذا العمل . فهل عرفت في هذا الأمد ، أحداً من أبناء البلد ؟ فقلت له : كنت أسمع عن مدينة السلام ، وأنه لا يطمع من أهلها غير السلام ، فوافق ذلك ما كان فى نفسى ، وطابق الذى وقع فى حدسى ، إلى أن دخلت فى هذا الأوان ، إلى جلال الدين[1] صاحب الديوان ، فرأيت شخصاً كثير الإنصاف ، كامل الأوصاف .

(وليس على الله بمستنكر[2])   أن يجمع العالم فى واحد

فأغنانى بخيره ، وأمدنى بميره ، ولم يحوجنى إلى غيره .

// قام بأمرى وقد قعدت به   ونمت عن حاجتى ولم ينم [١٢٥ ل]

قال : كيف رأيته فى نفسه وحسبه؟ فقلت : نجم ذكاء يتألق،وبحر علم يتدفق ، مروءته ظاهرة وأفعاله طاهرة .

وأخلاقُه كالراح شِيبَ ببارد   من الماء عذبٍ أو بريق الحبايبِ
أرقُّ من الشكوى حواشى طباعِهِ   وأحلى حديثاً من أمانٍ كواذبِ

فقال : تلك شجرة غرسها الإمام المرحوم بيده ، ورباها لولده . سقاها بماء الأمانة،وغذاها بِلِبان الديانة، فظهر[3] ذلك فى لُبّها وحَبّها ، ومنه تؤتى أُكلها كل حين بإذن ربها . فقال لى: إن أجراك هذا المذكور على عادته ، بلغت إلى أملك بسعادته . وودّعنى وانكفا ، وأودعنى ما كفى.

---

(١) جلال الدين صاحب الديوان : (ورد فى مفرج الكروب ١ — ١٩٤) .

(— ٢) س : وليس لله بمستنكر .   (٣) س : فظهر : الظاء غير منقوطة .

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن

(من كلام الشيخ الفقيه ركن الدين أبى عبدالله محمد بن محرز بن محمد الوهرانى)[1] :

قال الوهرانى : لما تعذّرت مآربى ، واضطربت مغاربى ، ألقيت حبلى على غاربى ، وجعلت مذْهَبَات الشعر بضاعتى ، ومن أخْلاف الأدب رضاعتى ، فما مررت بأمير إلا حللت ساحته واستمطرت راحته ، ولا بوزير إلا قَرَعْتُ بابه وطلبت ثوابه ، ولا بقاض إلا أخذت سيبه وأفرغت جيبه . فتقلبت بى الأعصار ، وتقاذفت بى الأمصار ، حتى قَرِبْتُ من العراق ، وقد سئمت من الفراق ، فقصدت مدينة السلام ، لأقضى حجّة الإسلام ، فدخلتها بعد مقاساة الضُّر ، ومكابدة العيش المر ، فلما قرّ بها قرارى ، وانجلى فيها سِرارى ، طفت بها طواف المفتقد ، وتأملْتُها تأمل المنتقد ، فرأيت بحراً لايعبر زاخره ، ولا يُبصر آخره ، وجنة أبدع غارسُها ، وفاز باللذة حارسُها ، لايضل عنها المتقون المنتقون ، ولا يرتقى إلى صفتها المرتقون ، « كمثل الجنة التى وعد المتقون » . فأرحت نفسى من سلوك الغَوْر والفج ، وجلست أنتظر أيام الحج ، فتاقت نفسى إلى معاشرة العقلاء ، واشتاقت إلى محادثة الفضلاء فسألت عن مَضِنَّة الآداب وعن مجتمع الكتب والكتاب ، فدلّنى بعض السادة الموالى ، على دكان الشيخ أبى المعالى

(1) هذه المقامة رأينا أن ننشرها كاملة ، فقد وردت فى النسخة « ب » مختلفة من حيث الأسلوب أو التقديم أو التأخير للجمل وبها بعض زيادات مما لا يمكن معه أن ندمجها مع أختها فى نسخة « س » كما أنها لم ترد فى نسخة « ق » ، « مج » .

وقال : هو بستان الأدب وديوان العرب ، يرجع إلى رأى مصيب ، ويضرب فى كل علم بنصيب ، فقصدت قصده حتّى جلست عنده ، وسألنى عن حالى وعن طريق انتحالى فقلت : إنى رجل غريب ، وعهدى بالسفر قريب . فقال : من أى البلاد خرجت ، وعن أيها درجت ؟ فقلت له : من المغرب الأقصى والأمد الذى لا يحصى ، ومن البلد الذى لا تصل إليه الشمس حتّى تكل أفلاكها ، وتضج أملاكها ، ولا القمر حتّى يتمزق سرجه ، ويتداعى برجُه ، ولا الرياح حتّى يحجم إقدامها ، وتحفى أقدامها . قال : فكيف معرفتك بدهرك ومن تركته وراء ظهرك ؟ قلت له : أما البلاد فقد قلبت جنوبها وكشفت عيوبها ، وأما الملوك فقد لقيت كبارها وحفظت أخبارها ، فأى الدول تجهل وعن أيها تسأل ؟ فقال : أول ما أسألك عن دولة الملثمين وأبناء أمير المؤمنين . فقلت له : تلك أمة قد خلت وروضة أمحلت ، أفلت بدورها فتعطلت صدورها ، وطلعت نحوسها فغابت شموسها ، وكانوا أشجع من الليوث وأكرم من الغيوث ، وأحسن من الأزهار ، وأبهى من شمس النهار . شعر :

إذا التثموا بالربط خلت وجوههم　　أزاهر تبدو من فتوق الكمائم
وإن ألثموا بالسابرية أظهروا　　عيون الأفاعى من جلود الأراقم

فلم تزل بدولتهم صروف الليال ، حتّى صيرتهم كطيف الخيال ، تنوح عليها القصور والمنابر ، وتبكى لها الأقلام والمحابر .

أمست خلاء وأمسى أهلُها احتملوا　　أخنى عليها الذى أخنى على لُبَدِ

قال : فما تقول فى عبد المؤمن وأولاده وسيرته فى بلاده ؟ . فقلت : مؤيد من السماء خوّاض للدماء ، مسلط على من فوق الماء ، حكّم سيفه فى القمم وأعمله فى رقاب الأمم ، حتّى خضعت له التيجان ، ودانت له الإنس والجان ، فأغمد الحلم شفاره ، وقلّم العلم أظفاره ، فلان مسّه وهدأ حسه ، ولو أن للعلم لساناً ، وللورقة إنساناً ، لتألمت وتظلمت ، ولأنشدتك فى الملا ، قول الشيخ أبى العلا :

جلَوْا صارماً وتلَوْا باطلاً　　وقالوا صَدقنا فقلنا نعم

ولكن السكوت عن هذا أرجح ، ومسالمة الأفاعى أنْجح ، وعند الله

تجتمع الخصوم . قال : فما تقول فى الدولة الصقلية ؟ فقلت: دم مَطْلول وصارمٌ مَفْلول، ودولة مائلة وسعادة زائلة، هلك طالوتها فاختلت، وانقرض جالوتها فاعتلت، وصاروا يمسكونها باللطف والمداراة ، بعد العنت والمماراة ، وبالهدايا والبراطيل، بعد الجيوش والأساطيل، وبالدعاء فى المحافل، بعد الكتائب والجحافل :

ومن ذا الذى يا عَزّ لا يتغَيَّرُ

قال : فما تقول فى الدولة المصرية ؟ قلت : عجوز محتالة ،وطفلة مختالة، وروضة زاهرة، وامرأة عاهرة، ولدت فى السعود، ونشأت بين الطبل والعود، حتى إذا هرمت سعودها، وذوى فى الترب عودها، رميت بالرواعد، فأتى الله بنيانهم من القواعد :

وإن الجـــرح ينغـــر بعد حين إذا كان البنـــاء عـــلى فســـاد

قال: وكيف انقلع أُسُّها، وكانت أبعد من السُّهى، وفيها جنود وأبطال وغيمُ أصحابها بالجود هطال ، يعطون الجزيل ويكرمون النَّزيل ، وفى مثلهم يقول الشاعر:

جمال ذى الأرض كانوا فى الحياة وهم بعـــد الممات جمال الكتب والسير

فقلت: إنه لما أحان الله حَيْنَهم وأظهر شَيْنَهم، ألقى بأْسَهم بينهم، فضرب زيدٌ عمرواً، وقتل خالدٌ بكراً، وكسر قراب السيف، وأعملوه فى الشتاء والصيف ، حتى انتهى فسادهم وفنيت آسادهم ، فقصرت حبال الدولة عن ربطها ، وضعفت رجالها عن ضبطها ، فبقيت كالجارية الحسناء التى أبرزها الحجال ، وأسلمتها الرجال ، لا تمتنع من عانس ولا ترد يداً من لامس ، فتغاير عليها الجيران ، وطرح عندها الجران ، وسبق إليها رجال الفرنج فصيروها كرقعة الشطرنج يجوسون خلالها ويتفيئون ظلالها ، ويأكلون حرامها وحلالها ، فأنف من ذلك ذوو الأحلام، وغضب لها ملوك الإسلام ، فانتدب لها من بنى شادى الأسد الهصور والملك المنصور ، فرماها بهمته وقصدها

برمته ، فاستعانوا عليه بالأَسْوَدَ والأحْمرَ والملوك من بنى الأصفر ، فهتك حجالهم وقتل رجالهم ، ورحل عن بلادهم وقد قدح الرعب فى أكبادهم ، ولم يزل يزورهم بين الطارق والمنتاب والساكن والمرتاب ، حتى طواها كطى السجل للكتاب. فلما انتهى إلى كماله ، وبلغ النهاية من آماله ، انتقل إلى ربه ، وفاز بالرضوان من قربه ، وأجمع الناس بعد موته ، على تخليدها فى أهل بيته ، لما يعلمون من رياستهم وحُسن سياستهم ، وما يجدون من سماحهم وطول رماحهم . فاتفق عظماء المحل ، وأرباب العقد والحل ، بعد النظر فى الأواصر والاختبار فى العناصر ، على تقليدها لابن أخيه الملك الناصر ، لما جُبل عليه من جميل الأوصاف ، وإيثار العدل والإنصاف ، ولما اجتمع فيه من أخلاق الملوك وتواضع الصعلوك ، وما خُص به من شهامة الجنان وسماحة البنان ، فتسلمها عطرية الأوائل ، محشوّة بالفتن والغوائل ، تدب عقارب أجنادها ، وتغلى مراجل أكبادها ، فمد لهم حبله وأباحهم عداه ، حتى حملتهم بواعث الحسد على استخلاصها من مخالب الأسد ، فقبض على الدولة بيمينه وقابلهم باليسار فى عرينه ، حتى أبادهم وقطع أكبادهم ، وتفاقم بعد ذلك أمرهم ، حتى التهب فى الناس جمرهم ، فوثب عليهم وثبة الليث الكاسر ، وسطا بهم سطوة البطلِ الباسر ، حتى أخرج المفسد والمحارب ، وقتل الأفاعى والعقارب ، فمهدت له شِعابها ، وزلت لسيفه صِعابها ، فصارت القاهرة كجنة النعيم ، وكانت كالبقعة فى سواء الجحيم ، ولما انتظمت جواهر سلكه ، وجلس على سرير ملكه ، قادت السعادة أهله أجمعين من الشام سالمين وبالقرب غانمين ، فأكثر الشكر لرب العالمين وقال : ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ، ورفع أباه على العرش وبسط له الخدود مكان الفرش وأنشده بعض المحبين :

المُلْك مبتسم من بعــد تقطيب ... والسَّعد يخدمه فى كل تأويب
بالناصر الملك الميمــون طائره ... تخلصتْ مصر من حرب وتخريب
قد سار يوسف فيها مثل يوسفها ... فذا ابن أيوب يحكى نجل يعقوب

ولما وصل الملك الأفضل نجم الدين أبو السلطان انقمع به حزب الشيطان ،

ورد الناس إلى الأوطان، ففتح الله به أبواب الجنة، ورفع ببركته منار السُّنة، فأحدث المدارس والمجالس، وشيد المساجد والمشاهد، وتفجرت يمينه بالنفقات حتى عم أهل الأرض بالصدقات، وجعل قبر الإمام محمد بن إدريس، زاوية للفقه والتدريس، فقويت به عرى الإسلام، واشتد به دين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. ثم التفت الملك الناصر بعد ذلك إلى الدين فكمَّله، وإلى الإسلام فجمَّله، وأتى البيت من بابه، ورد الأمر إلى أربابه، وأمر بذكر العشرة الكرام البررة، وصرح بأسمائهم على المنابر، وأرغم بهم أنف الحسود والمكابر. ثم خرج بعد ذلك من الشك والالتباس، ودعا للأئمة من بنى العباس لعلمه أنه لايتم الإيمان إلا بولايتهم، ولا يكمل الإسلام إلا بإمامتهم. فحصل بنو شادى على الرتبة الفاخرة، وقطعوا عرض اللجَّة الزاخرة، وفازوا بنعيم الدنيا والآخرة. فسار ذكرهم فى الأقطار، وانثال عليهم ذوو الأخطار، فقصدهم الملك والمملوك، وانتابهم الغنى والصعلوك، فوهبوا البلاد والتلاد، وفرقوا المال والأعمال حتى أخجلوا البحار، وفضحوا بجودهم الأنهار. فاشتدت بهم شوكة الموحدين، وخمدت نيران المشركين، والحمد لله رب العالمين، بسعادة المستضىء بالله أمير المؤمنين.

قال: فما تقول فى الملك العادل نور الدين؟. فقلت: سهم للدولة سديد، وركنٌ للخلافة شديد، وأمير زاهد وملك مجاهد، تساعده الأفلاك وتخدمه الجيوش والأملاك.

فلو رام أرض الصين لبَّاه ملكه كما دانت الأملاك للإسكندر

فقال لله درك، لقد أجبتنى فأعجبتنى، وأنشد:

ستبدى لك الأيام ماكنتَ جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

قلت له: فحدثنى أنت عن سيرة الإمام فى هذه الأيام، فإنى راجع إلى قوم يعتقدون ولايته فرضاً لازماً، وإمامته حتماً جازماً، ويتقربون إلى الله بمحبته، ويتوسلون إليه بحرمته. قال: وما عسى أن أقول فى ابن عم الرسول خليفة الله فى بلاده، ووصى آدم فى أولاده، مهدى زمانه، ومسيح عصره وأوانه، عزيمته أمضى من الحسام، ويمينه أندى من الغمام، ووجهه أبهى

من البدر ليلة التمام ، قد جمع الله فيه من الفضائل والوفاء ما فرقه فى كثير من الخلفاء ، فكأنه السفاح فى حزمه وعزمه ، والمنصور فى بذله وعدله ، والمهدى فى دولته وصولته ، والرشيد فى رياسته وسياسته ، والأمين فى سخائه وانتخائه ، والمأمون فى حلمه وعلمه ، والمعتصم فى شهامته وصرامته . فلا جرم أن الخلافة حامت عليه ، وألقت زمامها فى يديه ، وأمالوها عنه فمالت إليه ، فبوأته حجالها ، وفيأته ظلالها .

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

فطبَّق البلادَ عدلُه ، ووسع العالم فضلُه ، فكسف بنوره القمرين ، وأحيا بعدله سيرة العُمرَين . فحسُنت به الأيام وتجمَّلتْ ، ونالت به الرعيَّة فوق ما أمَّلتْ .

فالله يبقيه للإسلام يحرسه والله يبقيه للدنيا وللدين

فقلت : فما تقول فى وزيره عضد الدين ؟ فقال : جبل علم راسخ وطود عقل شامخ ، وسهم رأى صائب ، ونجم عدل ثاقب ، نجل الملوك الأكاسرة وابن التيجان والأساورة ، أكرم من الغيث الهامر ، وأشجع من الليث الخادر ، كان المستنجد بالله قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، لما خبر ديانته وأمانته ، وفهم طريقته وحقيقته ، وضع كل الدولة عليه ، وألقى مقاليدها بين يديه ، فأخذ القوس باريها ، ونزل الدار بانيها . فقلت له : فما تقول فى حلول بابه واستمطار سحابه ؟ فقال : والله لو قصدت باب الوزير ، لأمطرك من وبله الغزير ، مايبلّغك إلى أوطانك ، ويزهدك فى سلطانك ، ويزرى عندك بمن لاقيته من الأمراء ، ويكسف من شاهدته من الوزراء . فقلت له : إذاً والله كنت أشكره شكر الروض للماء ، وأثنى عليه من الأرض إلى السماء ، لاسيما أن أخذ لى من الخليفة خلعة منيفة أستضىء باقتباسها وأتبرك بلباسها ، أنشرها على منارة الإسكندرية وأجلوها على منابر المرية ، وأكبتُ بها الأقران فى وهران وأطلق بشكره اللسان فى تلمسان ، وأدعو له فى مدينة فاس على عدد الأنفاس ، وأثنى عليه فى أغمات إلى وقت الممات . فقال : أبشر ببلوغ أملك ونجاح عملك ، فهل

عرفت فى هذا الأمد أحداً من أبناء البلد ؟ فقلت له : كنت أسمع بمدينة السلام وأنه لا يطمع من أهلها فى غير السلام ، فوافق ذلك ما كان فى نفسى ، وطابق ما كان فى حدسى إلى أن دخلت فى هذا الأوان، إلى جلال الدين صاحب الديوان ، فرأيت شخصاً كثير الإنصاف، كامل الأوصاف، إليه ينتهى الكمال وبه يتشرف الجمال .

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

فقوانى بخيره وأمدنى بميْرِه وأغنانى عن التّبذل إلى غيره :

قام بأمرى وقد قَعَدْتُ به ونمتُ عن حاجتى ولم يَنَمِ

قال : فكيف رأيته فى نفسه وحسه ؟ فقلت : بحر علم يتدفق ونجم ذكاء يتألق ، مروءته ظاهرة وأفعاله طاهرة :

وأخلاقه كالراح شِيبَتْ ببارِد من الماء عذب أو بريق الحبايبِ
أرق من الشكوى حواشى طباعه وأحلى حديثاً من أمانِ كواذبِ

فقال : تلك شجرة غَرَسَها المرحوم بيده وربّاها لولده وسقاها بالأمانة، وغذّاها بالديانة، فظهر ذلك فى لبها وحبها، ومنه يؤتى أكلها كل حين بإذن ربها . فإن أجراك هذا المذكور فى التفضل على عادته، بلغت إلى أملك بسعادته ، ثم ودعنى وانكفى ، وقد أودعنى ما كفى والحمد لله وصلواته على عباده الذين اصطفى .

بسم الله الرحمن الرحيم(١)

(وكتب كتاباً وفيه المنام٢)

أيا نفحــةً أهدت إلىّ تحيــةً   يَنِمُّ عليها العَرْفُ من أم سالمِ
مشت فى أراكِ(٣) الواديين فنبهتْ   به كلَّ نشوانِ المعــاطفِ ناعمِ
ألا إنما أحكى بدمعى ولوعتى   بكاءَ الغوادى وانتحابَ الحمــائمِ

وصل كتاب مولاى الشيخ الأجل(٤) الإمام الحافظ (الفاضل الأديب الخطيب المصقع الأمين ، جمال الدين ركن الإسلام شمس الحفاظ تاج [ل١٣] الخطباء ، فخر الكتاب زين الأمناء٥) . أطال الله بقاءه ، وجعل خادمه من كل سوءٍ وِقاه . فكان ألذَّ(٦) من النار فى عين المقرور ، وأعذب من الماء البارد فى صدر المحرور . وتناولَه(٧) فكان فى قلبه أحلى من الدراهم ، وأنفع لجراح البعد من المراهم . فلما فضَّ ختامَه ، وحط لثامه ، أبصر فيه خطّاً أجمل من رياض المَيْطور(٨)، ولفظاً أرق من نسيم الروض الممطور . قد استفتحه سيدنا بكل لفظ مُذْهَب ، وذهب فيه من التعاظم إلى كل مَذْهب . وأرجو له ذلك من الله بحسن العون ، فإنه يُقال إن الفأل مقدِّمةُ الكَوْن .

على أنه وجد(٩) بين جوانح(١٠) الخادم من نار الشوق أجيجاً ، لو أن

---

(١) ز فى ق (-٢) يقابلها فى ق « مقام الوهرانى »

(٣) أراك : شجر ذو شوك (معجم أسماء النبات ١٦١) .

(٤) ز فى ق (-٥) ز فى ق ما عدا « جمال الدين » .

(٦) ق : أحسن . (٧) س : وتناقله .

(٨) ق : غياض الميطور : والغياض جمع غيضة بالفتح وهى الأجمة ، وهى مغيض مـاء يجتمع فينبت فيه الشجر والجمع غياض وأغياض – الميطور : قرية من قرى دمشق (معجم البلدان ٨ / ٢٢٦) .

(٩) عبارة س « على أنه لو وجد » . (١٠) ق : جوارح .

النار كلست الكلاَّسة[١] ، واشتملت على (الحيط الشمالى[٢]) ، (وعرست فى العروس[٣]) ، وأذنت بهلاك المؤذنين[٤] وأُهِلّت لغير الله بدار ابن هلال تكون[٥] مثلها ، لما اقتصرت على المقصورة ، ولا بردّتها البرّادة[٦] ، حتى تصحن[٧] الصحن وتنسر[٨] النسر ، وتجرّد[٩] القُبُبَّة من رصاصها ، وتكبها على عِراصها ، وترميكم بالحطب الفادح فى الحطيب ، [ل١٤] || وتحريبكم[١٠] إياه فى المحراب ، فلا ينبرى[١١] إلى المنبر[١٢] ، ولو أحفظ ذلك الحافظ ثقة الدين ، (ووقفه على مراثيه[١٣]) إلى يوم الدين . فأين ذات الطوق ، عن[١٤] التغريد على هذا الشوق وأين حمامة النَّيْربين[١٥] عن النياحة طول البين ، وأين شحرور منين[١٦] ، عن المساعدة بالحنين .

لا والله ما رجل من سادات بنى سارايا ، شرّده عن وطنه الغارات والسرايا ، كان قد ربى فى السروج ، ونشأ بين الجداول والمروج ، يتردد من حصن اللبوة[١٧] ، إلى بساتين الربوة[١٨] يرتاض فى عين سردا[١٩] ،

---

(١) كلست الكلاسة : كلس البناء كلسا : طلاه بالكلس والكلس : الجير – الكلاسة: الموضع يعمل فيه الكلس – وواضح من هذا النص أن الوهرانى يشير إلى حريق وقع بأحد المساجد فيجانس ويستمد منه معانيه .

(٢) ق : المحيط .
(–٣) ق : وعرشت فى العروش .
(٤) ق : المؤذيين .
(٥) س : يكون
(٦) البرادة : إناء يبرد فيه الماء . (٧) ق : يصحن .
(٨) ق : ينسر .
(٩) س : تحرد .
(١٠) تحربكم : حرب : أشتد غضبه وحرب فلانا على فلان أى حرضه عليه .
(١١) ق : تنبرى .
(١٢) ق : إلى المنبر أبدا .
(–١٣) ق : وأغراه بمراثيه .
(١٤) ق : على .
(١٥) النيربين : تسمية أخرى للنيرب وهى قرية مشهورة بدمشق على بعد نصف فرسخ فى وسط البساتين (معجم البلدان ٨ / ٣٥٥) .
(١٦) شحرور : عصفور، منين : قرية فى جبل سنير من أعمال دمشق (معجم البلدان ٨ / ٨٧) .
(١٧) ق : الكبوة . واللبوة علم على مكان فى الشام (مفرج الكروب ج ١ ص١٩٧) .
(١٨) الربوة : قيل أنها دمشق (معجم البلدان ٤ / ٢٢٤) .
(١٩) عين سردا : لم نجدها فى معجم البلدان .

إلى وادى بَرِدَى، ويصطبح فى سوق آبل(١) ، ويغتبق(٢) فى كروم المزابل، ويقيل فى عين جور(٣) ، ويصطاد(٤) فى الساجور(٥) — وفى هذه المواطن كما علمت رائعة الجنان ، ورائحة الجنان(٦)— فرماه الدهر بالحظ المنقوص ، وطرحه إلى أرباض(٧) مدينة قوص(٨) ، يتقلى فى حر السعير ، ولا يشبع(٩) من خبز(١٠) الشعير ، إدامه البصل(١١) والصَّبِر ، وفراشه الأرض(١٢) والحصير ، فألحت(١٣) عليه الهواجر ، شهرى ناجر(١٤) ، فتمنى على الله ريح صبا تَهب من نحو(١٥) بلاده وأولاده(١٦) ، لتبرد غليل فؤاده ، فهبت عليه من نحو صحراء عَيْذاب(١٧) ، بكل نقمة وعذاب ، فطلعت روحه(١٨) إلى التَراق ، « وقيل من راق » ، ومدَّ(١٩) يده إلى الماء ليبرد كبده مما يكابده، فوجده أحرَّ

---

(١) ق : شرق آبل . (٢) يغتبق: يشرب الغبوق وهو ما يشرب بالعشى .

(٣) ق : كور . (٤) ق : ويبيت .

(٥) س : الشاحور ، الساجور : اسم نهر بمنبج .

(٦) ن فى س ، كذا بالأصل — كرر لفظ الجنان ، ولعله يريد بالأولى الجنان الأرضية وهى الحدائق وبالثانية الجنان الأخروية .

(٧) أرباض جمع ربض ، ربض المدينة والقصر وهو ما حولها من مساكن الجند وغيرهم (أساس البلاغة ٣١٦) .

(٨) قوص: كانت قاعدة لإقليم يعرف بأعمال القوصية بصعيد مصر فى عهد الدولة الفاطمية إلى آخر أيام حكم المماليك (النجوم الزاهرة ٥ — ٢٩٢) .

(٩) ق : ويتمنى . (١٠) ق : خبز .

(١١) ن فى س . (١٢) ن فى س .

(١٣) س : أنحت .

(١٤) ق : آخر شهر ناجر : وهما أحر أشهر السنة دائما قيل شهرا ناجر لأن الإبل كانت تنجر فيها أى تمرض وذلك إذا اشتد عطشها بيبست جلودها .

(١٥) ن فى س . (١٦) ن فى س .

(١٧) ن فى س ، «صحراء» عيذاب : بليدة على ضفة بحر القلزم هى مرسى المراكب التى تقدم من عدن إلى الصعيد (معجم البلدان ٦ — ٢٤٦) .

(١٨) ق : بروحه . (١٩) ق : فمد .

[ل١٥] من زبل الحمّام ، ومن ماء الحمّام ؛ فتذكر[١] حينئذ[٢] ما خلفه من الربوع ، وحن إلى تسلسل الماء فى اليبنوع[٣] ، واشتاق إلى الجداول الساقية ، من عيون عرق الساقية ، فعظم حينئذ مصابه ، وتزايدت أوصابه ، وعلم أن سفره عن السفيرة والكبرا[٤] ، هى الطامة الكبرى ، وعدم الصبر والسلوان ، عن دير سلوان[٥] ، فقال[٦] فى نفسه أترى الذى خلقنى وبرانى ، يعيدنى إلى جنّة الزّبَدانى[٧] ؟ أتراه يجمع شملى فى كفر عامر[٨] ، بالسادات من بنى عامر ، أترانى أحرق[٩] الشيح[١٠] والحوذان[١١] ، الذى[١٢] عند عيون[١٣] حور بلودان[١٤] ؟ تمنيت أن أكون كالقن[١٥] والقين[١٦] ، وأعبر

---

(١) ق : وتذكر . (٢) ق : يومئذ .

(٣) ق : اليابوع . ولم نجد لها تعريفاً بالمعاجم .

(٤) س : السفيرة والكبرا : السفيرة : ناحيـة من بلاد طئ . . وقيل صهوة لبنى جذيمة من طىء بها الجبل ليس لمائها منفذ بحصن بنى جذيمة (معجم البلدان ٥ – ٩١) ، أما الكبرا فلم نجدها فى ياقوت .

(٥) ق : عند دير سلوان : لم نجد دير سلوان فى ياقوت والذى وجدناه عين سلوان وهى عين نضاحة يتبرك بها ويستشفى منها بالبيت المقدس تحت بئر أيوب عليه السلام (معجم البلدان ٥ – ١٤٤) .

(٦) ق : وقال .

(٧) الزبدانى : نهر بدمشق وقيل كورة مشهورة معروفة بين دمشق وبعلبك منها خرج نهر دمشق (النجوم الزاهرة ٦ – ١٥٠ ، معجم البلدان ٤ – ٣٧٤) .

(٨) كفر عامر : لا توجد فى ياقوت .

(٩) ق : أفر . (١٠) ق : السنح .

(١١) الحوذان : نبت واحدته حوذانة له زهرة حمراء فى أصلها صفرة وهو طيب الطعم (معجم أسماء النبات ١٩٢) .

(١٢) ن فى س ، ق . (١٣) ن فى ق

(١٤) ق : بلودان : اسم مصيف بلبنان .

(١٥) القن : العبد الذى كان أبوه مملوكا لمواليه .

(١٦) القين : الحداد .

تحت أبيات بقين (١) ، ثم أنَّ أنَّة مهجور ، وتنفس عن صدر مصدور ، وأنشد :

(ألا ليت شعرى هل أرانى ساعة أجــرر ذيلى فى ذيول سنير ٢)
وهل أردُ الماء الذى عند دمَّرٍ(٣) أصـيلاً وحولى ناصرُ بن مُنـير

ثم أقبل على (تعضيض كفيه، ولطم خديه٤) ، وبكى حتى وقع مغشياً عليه بأشدّ من شوق الخادم إلى || لقائه وتطلعه إلى ما يرد من تلقائه : [١٦ل]

فالله(٥) يطوى بساطَ البعد عن كثَبٍ حتى يرى الشمل منهم(٦) وهو مأهولُ(٧)

(وإلى هذا الموضع انتهى فشر الكتاب وهذيان الشعراء ٨) ، ويريد الخادم(٩) أن يطلق يده وقلمه، ويسابق بها(١٠) لسانه وفمه(١١)، فإنه قد لحقه من الضجر والكلال ما يلحق الجحش الصغير إذا حمل أحمال البغال القروح ، وانضاف إلى ذلك استعجال حامله وتوثبه للرواح ، فتناول(١٢) حينئذ كتابه الكريم(١٣) الوارد(١٤) ، وكرر نظره فى أثنائه(١٥) ليجاوب عن فصوله(١٦) المتضمنة(١٧) فيه ، فوجده صفراً من الأنباء خالياً من(١٨) غرائب أخبار البلد ، عارياً من طرائف أحوال(١٩) الإخوان ، قد استفتحه بطلب الثأر من مزاح(٢٠)

---

(١) ق : بقين : لا توجد فى ياقوت .

(٢) سنير : جبل بين حمص وبعلبك على الطريق وعلى رأسه قلعة سنير (معجم البلدان ٥ - ١٥٥) . ق :

ألا ايت شعرى هل أرى ساعة اللقا أجرجر ذيلى فى ذيول سبـير

(٣) ق : ديره ، دمر : مشرفة على غوطة دمشق لها ذكر فى حديث الإسكندرية وغيره وهى من جهة الشمال فى طريق بعلبك (معجم البلدان ٤ - ٧٢) .

(-٤) ق : لطم خديه وتعضيد كفيه .

(٥) ق : والله .

(٦) ق : الشمل عنها .

(٧) ق : ملتئم .

(-٨) س : وقد بعث الخادم من هذا الفشر الكتابى والهذيان الشعرى .

(٩) ز فى ق .

(١٠) ق : به .

(١١) ق : وفهمه .

(١٢) س : فيتناقل .

(١٣) ن فى ق .

(١٤) ن فى س .

(١٥) ق : أبياته .

(١٦) ق : الفصول .

(١٧) ق : المضمنة .

(١٨) س : عن

(١٩) ق : أخبار .

(٢٠) ق : مزاج وهى مصحفة .

الخادم معه فى كتابه الكريم(١) المقدم إليه من ثلاث سنين فى مخاطبته بمجرد الإسم وحذف جميع الألقاب(٢) ، وبطلبه(٣) لثأره فى أول هذا الكتاب ، أقام(٤) الدليل على بطلان قوله : أنه نفـّذ له(٥) عدة مكاتبات . لأنه لو كان ما ادّعاه من ذلك حقاً، لما قدّم على هذا(٦) الفَصْل شيئاً فى أول كتاب نفـّذه (غليانُه فى قلبه(٧) ، ثم ينهاه أدبه || وفضله بعد ذلك(٨) عن تكرار ذلك المعنى بعينه [ل١٧] فى أول(٩) كتاب آخر ، فصح(١٠) بطلان قوله بالدليل والبرهان .

وعجب الخادم من تمكن ذلك الحقد من قلبه واستيلائه عليه ، وثباته له بين الحشا والترائب ، ولم(١١) يخرجه من صدره ضجر القعود بدمشق(١٢) ولا(١٣) البطالة فيها(١٤) مع الزمان ، ولاطول الشقة وبعد المشقة إلى العراق ، ولا مكابدة(١٥) الجمالين والحمالين فى الطريق ، ولا مكابدة قذارة المساكن والمسالك ببغداد ، ولا ظلمة الدخان والخان(١٦) فى طرفى النهار ، ولا وخم (غبارها وآبارها فى الأصايل(١٧) ، ولاعيون المها وسوالف الآرام فى درب دينار(١٨) ، ولا دَخْمَسة(١٩) التجار ومطال(٢٠) الحاكة بالمتاع ، ولا تعذر السفر

---

(١) ن فى ق .
(٢) ق : الألفاظ .
(٣) ق : وتطلبه .
(٤) ق : قام .
(٥) ق : إليه .
(٦) ق : أهل .
(٧-) ن فى س .
(٨) ق : هذا .
(٩) ن فى س .
(١٠) ق : فصح .
(١١) ق : لم .
(١٢) ق : فى دمشق .
(١٣) ن فى ق .
(١٤) ن فى س .
(١٥) ن فى س .
(١٦) ق : كرب دخانها وخانها، س: الخان .
(-١٧) ق : وآثارها فى الأصيل .
(١٨) درب دينار : من مواضع بغداد الشرقية، وكذلك دار دينار التى هى فى التسمية محلتان الكبيرة والصغيرة وأشتهرت منهما الصغرى، وهى محلة صغيرة كانت تابعة لمحلة سوق الثلاثاء أى سوق الجندرخانة الحالى وما يليه من الجنوب فى شارع الرشيد حتى المدرسة المرجانية المعروفة بشارع الرشيد باسم جامع مرجان، وكان درب دينار فى محلة دار دينار المذكورة، ودرب دينار كان من مواضع النصارى ببغداد وفيه بيعة النصارى المشهورة باسم « بيعة درب دينار » ولذلك اشتهر بجمال نسائه وصباحة ولدانه ودرب دينار على تحقيقه الخطلى، وهو اليوم شارع الجسر العتيق المتفرع من شارع الرشيد المؤدى إلى الجسر على شاطئ دجلة .
(رسالة وصلتنا من بغداد بقلم د / مصطفى جواد بتاريخ ١٢ / ١٠ / ١٩٦٤)
(١٩) ق : دخنة، دخمس عليه : لم يبق له مايريد .
(٢٠) ق : بطلان .

والرفقة (١) والرجوع إلى الشام ، ولا قطع المفازة (٢) التى بين الجزيرة والمعشوق(٣) ، ولا الخوف من غارة خفاجة (٤) وسرايا غزية(٥) ولا الحذر من عيّارى السواد(٦) ، وحرامية الفرنج(٧) ، ولا تغير الملك(٨) (والإمارة فى الشام٩) ، ولا انقلاب الدولة وتغيرها(١٠) من قوم إلى قوم(١١) آخرين . كأنما لصق صدر كتابى(١٢) فى صدره بأمراس (١٣) أو كأنما سمر فيه بمسمار وثيق || وأظنه [ل١٨] (لو مات والعياذ بالله١٤) قبل أخذه لثأره لمزق(١٥) الأكفان ونبش المقابر ورجم أهل الآخرة بالحجارة .

ولقد فكر(١٦) الخادم ليلة وصول كتابه إليه فى سوء رأيه فيه ، وشدة حقده عليه ، وبقى (طول ليلته١٧) متعجباً من مطالبته له بالأوتار الهزلية بعد الزمان الطويل ، وامتنع عليه النوم لأجل هذا إلى هزيع من الليل .

ثم غلبته عينه بعد(١٨) ذلك فرأى فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت ، وكأن (١٩) المنادى ينادى هلموا إلى العرض على الله تعالى ، فخرجت من قبرى أيم الداعى إلى أن بلغت إلى أرض المحشر ، وقد ألجمنى العرق ، وأخذ(٢٠)

---

(١) ن فى س .
(٢) ق : المسافة .
(٣) المعشوق : اسم لقطر عظيم بالجانب الغربى من دجلة (معجم البلدان ٨ — ٩٧) .
(٤) غارة خفاجة : بطن من عقيل بن كعب من قيس بن عيلان من العدنانية . كانت لهم مقامات وذكر وهم أصحاب صولة وجولة (معجم قبائل العرب ١ — ٣٥٠) .
(٥) سرايا غزية : غزية بن أفلت : بطن من طى من كهلان ، من القحطانية كانوا مرهوبى الصولة بالشام والعراق وكانوا فى طريق الحاج بين العراق ونجد (معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ٣ — ٨٨٤) .
(٦) س : عيارين السواد : وهو خطأ ، والعيار من الرجال : الذى يخلى نفسه وهواها ولا يردعها ولا يزجرها .
(٧) ق : الإفرنج .
(٨) ق : الملوك .
(–٩) ق : مع الإمارة بالشام .
(١٠) ن فى س .
(١١) ن فى ق .
(١٢) س : كتابه .
(١٣) س : بأشراس .
(–١٤) ق : والعياذ بالله لو مات .
(١٥) ق : مزق .
(١٦) س : ذكر .
(–١٧) ن فى س .
(١٨) ن فى ق .
(١٩) ن فى ق .
(٢٠) ق : وبلغ .

منى التعب والفَرَقَ ، وأنا من الخوف على أسوأ (١) حال ، وقد أنسانى جميع ما أقاسيه (٢) عظيم ما أعانيه من شدة الأهوال(٣) . فقلت فى نفسى : هذا هو(٤) اليوم العبوس القمطرير ، وأنا رجل ضعيف النفس خوار الطباع ولا صبر لى على معاينة هذه الدواهى ، كنت أشتهى على الله الكريم فى هذه الساعة (فى هذا المكان ٥) رغيفاً عقيبياً(٦) وزبدية (٧) طباهجة (٨) ناشفة(٩) وجبن سنارى(١٠) ونعارة نبيذصيدنانى(١١)، والحافظ(١٢) العُليمىّ يُنادمنى [ل١٩د] عليها بأخبار خوارزم ، وفخر الدين بن هلال يغنى لى :

يا أهلَ نعمانٍ(١٣) إلى وجناتِكم تُعزى الشقائق لا (١٤) إلى النعمانِ

وأبو(١٥) العز بن الذهبي يغازلنى بعينيه ، ويسقينى الصرف(١٦) من النعارة

---

(١) ق : شر . (٢) س : قاسية .
(٣) ق :الأحوال . (٤) ن فى ق .
(٥-) ن فى ق . (٦) عقيبيا : مصنوع من اللوز الأخضر (أنظر دوزى ٢-١٤٧) .
(٧) زبدية : وعاء من الخزف المحروق المطلى .
(٨) طباهجة : طعام من بيض وبصل ولحم فارسية تباهة (أنظر كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ١١١) .
(٩) ن فى س . (١٠) جبن سنارى : لعلها نسبة إلى سنار بالسودان .
(١١) ق : حلبونى : نسبة إلى حلب . صيدنانى : نسبة إلى صيدا .
(١٢) ن فى س : العليمى : هذه النسبة إلى عليم وهو بطن من كلب وهو عليم بن جناب ابن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة ينسب إليه كثير (اللباب فى تهذيب الأنساب ٢ - ١٤٩) .
والحافظ العليمى هو الذى كتب له وعنه الوهرانى المقام ولعله أن يكون « أبو الخطاب العليمى عمر بن محمد بن عبد الله الدمشقى التاجر السفار ، طلب بنفسه وكتب الكثير فى تجاربه بالشام ومصر والعراق وما وراء النهر . روى عن نصر الله المصيصى ،وعبد الله الفراوى وطبقتهما توفى فى شوال ٥٧٤هـ عن أربع وخمسين سنة (شذرات الذهب ٤ - ٢٤٨) .
(١٣) نعمان : واد قريب من الفرات على أرض الشام من الرحبة . ونعمان كذلك معرة النعمان وهى المقصودة هنا (معجم البلدان ٨-٣٠٠) .
(١٤) ن فى ق .
(١٥) س : أبا وهو خطأ نحوى : أبو العز الذهبي : لم نجد له تعريفا .
(١٦) الصرف : الخمر التى لم تمزج بالماء .

حتى يغرق[١] حسى وأغيب عن الوجود فتنقضى على الشدايد وأنا[٢] فى غير معقول .

فما انقضت أمنيتى حتى طلع عبد الواحد بن بدر[٣] من جانبى وقال لى : الساعة رأيت عدة[٤] جوارٍ يطلبونك[٥] مع بعضهم أولاد يزعمون أنهم منك ، (وأنت تنفيهم عنك[٦]) ، وبعضهم يدعى أنك بعتهم لغيرك ، وهم حبالى منك ، فقلت له : هون عليك يا شيخ[٧] (ولا يكن عندك أخس منهم[٨]) .

قد باعت الأسباط قبلى يوسف وهم هم

ووجمت من كلامه ساعة وقلت : لو أنى مثل الحافظ العليمى[٩] الذى لا يقتنى إلا الغلمان الذكور كلما التحى[١٠] واحد باعه وأخذ[١١] آخر ، ماحلّت بى هذه المصيبة فقال لى عبد الواحد[١٢] : (ذكرتنى بهذا القول الساعة[١٣]) كان[١٤] الحافظ العليمى[١٥] يقلب عليك[١٦] الأرض فقلت له : وأين أجده ؟ فقال : (هذا هو[١٧]) واقف مع النبيه بن || الموصلى[١٨] يمسح أفخاذه من البول [ل ٢٠ أ] فقلت له : وأى شىء أصاب التوينة[١٩] المسكين ؟ فقال : إنه لما سمع انشقاق السماء الدنيا[٢٠] خرى على ساقاته[٢١] من الزمع ، فقلت له : التوينة معذور[٢٢]. وسرت إلى[٢٣] نحوك وناديتك فأقبلت إلىّ تجرى ، وما كلمتنى كلمة دون

---

(١) ق : يغيب .
(٢) ن فى ق .
(٣) عبد الواحد بن بدر : لم نعثر له على ترجمة.
(٤) ق : جماعة .
(٥) ق : يطلبوك .
(٦-) ق : قد بعتهم عنك .
(٧) ن فى ق .
(٨-) ن فى س .
(٩) سبق الترجمة .
(١٠) التحى : نبت شعر لحيته .
(١١) ق : واشترى .
(١٢) ق : ابن بدر .
(١٣-) ن فى ق .
(١٤) ق : رأيت .
(١٥) ن فى ق .
(١٦) ق : عليه .
(١٧-) ق : هذا هو هذا .
(١٨) ن فى ق .
(١٩) ن فى ق. هكذا بالأصل ولعلها النوبية تصغيرا للفظ النابه التى اشتق منها اسم النبيه الموصلى.
(٢٠) س : الثانية .
(٢١) ق : فى أفخاذه .
(٢٢) ق : هو معذور .
(٢٣) ن فى ق .

أن (١) لكمتني لكمة موجعة وشتمتني (ولعنتني وطيرت في وجهي خمس أواق بصاق كعادتك عند الكلام٢) وقلت لي : يا عدو الله ما كفاك(٣) أنك خاطبتني (٤) بنون الجمع وكاف المخاطب حتى(٥) ذكرت اسمي بغير كنية ولا لقب ؟ والله لأتوصلن إلى أذيتك بكل (ما أقدر عليه من القبيح ٦) ، فقلت لك(٧): يا كافر القلب أما ترتدع ؟ أما ترعوي ؟ أما ترى السموات(٨) تنفطر مثل فطاير(٩) المزة في الكوانين ؟ أما ترى الملائكة منحدرة من السماء إلى الأرض زرافات ووحداناً ؟ أما ترى الميزان يرتعد بما فيه مثل المحموم إذا أخذه النافض(١٠) البلغمي(١١) يوم البحران(١٢)؟ أما ترى الصراط يرقص بمن(١٣) عليه؟

رقص القلوص براكب مستعجل ؟

أما ترى مالك خازن جهنم(١٤) قد(١٥) خرج من النار(١٦) مبحلق(١٧) العينين في يده || اليمنى متصطيجة(١٨)، وفي يده الأخرى(١٩) السلسلة المذكورة(٢٠) في القرآن، وهو يدور في الموقف(٢١) على اللاطة والقوادين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ونحن متهمون(٢٢) [ل ٢١]
(بهذا الخلال الميشومة٢٣) بالله عليك اترك (الرقاعة عنك٢٤) في هذا الموقف(٢٥)

---

(١) ن في ق .

(-٢) ن في ق . هكذا في الأصل « أواق » .

(٣) ق : كفى .

(٤) ق : تخاطبني.

(٥) ق : دون .

(-٦) ق : بكل طريق.

(٧) ق : له .

(٨) ق : السماء .

(٩) ز في ق .

(١٠) ق : النافط .

(١١) ن في ق .

(١٢) يوم البحران : هو اليوم الذي يحدث فيه التغير للمريض من الأمراض الحارة يسميه الأطباء يوم البحران بالإضافة وهو مولد (هامش مقامات الحريري ٤٤٩) .

(١٣) ق: بما .

(١٤) ق : النار .

(١٥) ن في ق .

(١٦) ق : منها .

(١٧) ق : محلق .

(١٨) مصطيجة: الصحيح مصطيخة وهو كلمة يونانية الأصل وهو شجر ينبت في سواحل الشام ويستخرج منه صمغ طيب الرائحة (تذكرة أولي الألباب ٢ — ٦٥) .

(١٩) ق : اليسرى .

(٢٠) ق : التي .

(٢١) ق : يطوف .

(٢٢) س : متهومون .

(-٢٣) ق : بذلك ، الميشومة : ميشوم نحس أو سيء الطالع أو مشوم وهي كلمة عامية (قاموس العوام — حليم دموس ٢٧٨) .

(-٢٤) ق : دبارة القفا .

(٢٥) ق : الوقت .

وهون عليك هذا الأمر واتركنا لما نحن فيه فقلت لى : والله ما هو شيء[1] هين على (فأهونه ولا أسامحك به[2]) ولا أفارقك حتى أدفعك إلى كمال الدين ابن الشهرزورى[3] ينكل بك تنكيلا يردعك عن (استخفاف الفضلاء فى مخاطبتهم ، ويزجرك عن سوء الأدب باختصار ألقابهم[4]) ، فقلت[5] : وأى شيء[6] بينك أنت[7] وبين كمال الدين من المودة[8] وأنا أعرفك من أبغض[9] الناس فيه ، (وهو كذلك[10]) فقلت أنت[11] لى : يا جاهل بأحكام السفر . أما[12] تعلم أنى لما سافرت معه إلى العراق واجتمعت به فى الطريق وحدثته بأيشم أحاديث[13] خوارزم ، وأنشدته طرفاً من شعر ابن بابك[14] فتأكد ما بينى وبينه من المودة[15] ، وصرت عنده من المقربين فقلت لك[16] : وأى شيء لكمال الدين أيضاً[17] من هذا[18] الأمر فى هذا[19] اليوم أتبعتنا أحكامه

---

(١) ن فى ق . (-٢) ن فى س .

(٣) كمال الدين الشهرزورى : محمد بن عبد الله بن القاسم أبو الفضل كمال الدين الشهرزورى قاضى فقيه ، أديب من الكتاب كان عظيم الرئاسة ولد فى الموصل وانتقل إلى دمشق فولاه محمود بن زنكى الحكم فيها ، وارتقى إلى الوزارة واستمر حتى أيام صلاح الدين ، وتوفى بدمشق ٥٧٢ هـ . وشهرزور بلدة كبيرة معدودة من أعمال اربل بناها زورين الضحاك وهى لفظة عجمية معناها بالعربى بلد زور (الاعلام ٣ – ٩٣٠ ، طبقات الشافعية ٤ – ٧٤ ، الوافى بالوفيات ٣ – ٣٣١ ، خريدة القصر د / شكرى فيصل ٢ – ٣٢٣ واللباب فى تهذيب الانساب ٢ – ٣٤) .

(-٤) ق : يردعك عن الاستخفاف بى فى كل مكان .

(٥) س : فقلت له . (٦) ق : وأى شيء بينى وبينك .

(٧) ن فى س . (٨) ن فى س .

(٩) ن فى ق . (-١٠) ن فى ق .

(١١) ن فى س . (١٢) ن فى ق .

(١٣) ق : حديث : أيشم : يشم من كذا إذا سمّ منه (أساس البلاغة ٤٨) .

(١٤) ابن بابك : عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك شاعر مجيد مكثر يقع ديوانه فى ثلاث مجلدات . طاف البلاد ولقى الرؤساء ومدحهم وأجزلوا جائزته توفى ببغداد ٤١٠ هـ (وفيات الاعيان ١ – ٥٣٢ ، الاعلام ٢ – ٥٢٣) .

(١٥) ن فى س . (١٦) ق : له

(١٧) ن فى ق .

(١٨) ق : هذه . (١٩) ن فى ق .

إلى هذا المكان ؟ فتقول : نعم عرضوا اليوم(١) صحائف أعماله بين يدى الحق سبحانه وهى شيء عظيم مثل جبلى سنير(٢) فلبنان(٣) فقالت الملائكة · [ل٢٢] أى(٤) رب (أشغالنا كثيرة فى هذا اليوم٥) وقد جاء هذا الرجل بتخليط(٦) عظيم ، وقد سبقه أمم من الناس وهو يريد يوم قيامة(٧) وحده ، ولا(٨) يحاسب فيه سواه ، وموازين برسمه لا يشركه فيها غيره ، فيقول(٩) البارى جلت قدرته(١٠) : « ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة »(١١) (سلموه إلى الروح الأمين . فيقول جبريل عليه السلام : هذا شيخ من شيوخ الإسلام، ومن عظماء أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وله من أعمال البر ما يوفى عنه مظالم العباد ، أوقفوا أمره وصلوا عليه بالمطالبات فدخل فى زمرة الروح الأمين فما لأحد عليه من سبيل١٢) فتغاضى الحق سبحانه عنه بكرمه وأوقفه بين الجنة والنار ، وهو يحضر المقام المشهود فى كل يوم يعمل دهليزات(١٣) يتمم فيها كل(١٤) مايريد ، وقد قدم لابن عصرون(١٥) مقدمات ردية ما أظنه من شرها(١٦) بناج . فقلت لك : يا أخى وسيدى أنا فى حسب الله وحسبك

---

(١) ن فى س .

(٢) ق : ثبير : جبل من أعظم جبال مكة (معجم البلدان ج٣ – ٦) .

(٣) ق : ولبنان . (٤) ن فى ق .

(-٥) ق : أشغالنا اليوم كثيرة . (٦) ق : بأمر .

(٧) س : القيامة . (٨) ق : لا

(٩) ق : فقال . (١٠) ق : تعالى .

(١١) : ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير (لقمان آية ٢٧) .

(-١٢) س : فقال جبريل عليه السلام أخروه عنا فى هذا اليوم وعلى ضمانه .

(١٣) دهليزيات : الظاهر أن المراد بها مجالس للحكم ولفظ دهليز فى العصر المملوكى تطلق على سراديب السلاطين (المقريزى – هامش السلوك) .

(١٤) ن فى ق .

(١٥) ابن عصرون : أبوسعد عبد الله بن محمد هبة الله التميمى شرف الدين من أعيان فقهاء الشافعية . تولى القضاء فى دمشق سنة ٥٧٣ هـ توفى سنة ٥٨٥ هـ (وفيات الأعيان ٤٥٦/١ ، شذرات الذهب ٢٨٣/٤ ، الأعلام ٥٨٢/٢ ، نكت الهميان ١٨٥ : طبقات الشافعية ٢٢٧/٤) .

(١٦) ق : عقدها .

ما أرجع أخاطبك إلا مثل ما يخاطب البيدوحُ القواد المستضىء بالله أمير المؤمنين[١] .

فبينا[٢] نحن فى المحاورة وإذا نحن[٣] بمالك خازن النار قد هجم علينا وقبض على أيدينا (ورمى السلسلة فىأرقابنا ٤) وسحبنا إلى النار[٥] فارتعنا إلى [ل٢٣] ذلك[٦] ارتياعاً عظيماً . وقلت لك[٧] : هذا الذى خوفتك منه[٨] (قد وقعنا فيه ٩) فقلت له[١٠] : يا سيدى يا مال[١١] اسمع منى كلمتين لوجه الله تعالى[١٢] فيقول لك : كيف أسمع منك وقد حذفت ربع اسمى فى النداء[١٣] فتقول[١٤] : والله ماحذفته للترخيم فى النداء[١٥] الجائز عند جميع[١٦] النحاة وإنى لنى شغل عن ذلك وماحذفته إلا من شدة[١٧] الهلع وانقطاع مادة الكلام ، فيقول : هات كلمتيك[١٨] ، (قل ماتشاء أنتقول ١٩) . فتقول : ياسيدى[٢٠] هذا رجل[٢١] مغربى من أهل القرآن، وأنا رجل محدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبأى جرم تأخذ قبل (وقوف الرب سبحانه على حسابنا فلعله يتجاوز عنا ٢٢) ؟ فيقول لك : ياخبيث أنت كنت من المتفننين فى اللياطة ، (ومن المتبظرمين ، فقلت له : أنا ! كيف ذلك يا سيدى ؟ فقال لى : هذا كان يفسق بأولاد المسلمين ٢٣) وقال لك : كنت ... أولاد المسلمين[٢٤] وتثبت

---

(١) ن فى ق .

(٢) ق : وبينا .

(٣) ن فى س .

(-٤) ن فى ق .

(٥) ق : خلفه .

(٦) ق : لذلك .

(٧) ق : له .

(٨) ق : كنت أخوفك .

(-٩) ن فى س .

(١٠) ق : أنت .

(١١) هى ترخيم مالك .

(١٢) ن فى س .

(١٣) ن فى س .

(١٤) ق : فقلت .

(١٥) ن فى س .

(١٦) ن فى ق .

(١٧) ن فى س .

(١٨) ن فى س .

(-١٩) ن فى ق .

(٢٠) ن فى س .

(٢١) ن فى س .

(-٢٢) ق : للعرض على الله عز وجل واستعلام ما يعاملنا به الكريم .

(-٢٣) ن فى ق .

(٢٤) ن فى ق .

أسماءهم فى جريدة عندك[١] على حروف المعجم ، حتى لم يبق عليك منها[٢] إلا القليل . (وأنى عليك أجلك وأنت مجتهد فى تعليق بقية الحروف يا ديوث[٣]) (أليس أنت الذى أدخلت فلاناً الأمرد إلى الخرابة المظلمة ونيمته[٤]) تحت ضوء الروزنة [٥] فلما لم يطابق الضوء حجره قلت له بتحنن وتلطيف : يا سيدى [ل٢٤] || قرّبها إلىّ بفضلك [٦] . يا خنزير وأىّ فضل يكون [٧] لأمردَ منكوح يا مرجوس[٨] (أليس أنت الذى أخذت ؟) يحيى المطرز وما قام عليك[١٠] وراح عنك وأنت مغبون فلما اجتمعت به بعد ذلك بمدة[١١] طالبته[١٢] بالتمام ؟ ولو عددت عليك[١٣] (المخازى التى رأيتها أمس فى صحيفتك لضاع على الزمان[١٤]).

وأما (هذا المغربى[١٥]) فرجل قواد لا شك فيه ، فاستشطت أنا[١٦] عند ذلك غضباً وأظهرت القلق العظيم وقلت له : ألمثلى يقال هذا الحديث[١٧] ؟ والله لتندمن على هذا الكلام فقال لى[١٨] مالك : لعلك[١٩] تريد أن تهجونى بشعر مثل ما رأيت فى صحائفك[٢٠] اليوم أو تعمل[٢١] فىّ مقامة تذمنى فيها[٢٢]

---

(١) ن ى ق .

(٢) ق : عليه فيها .

(-٣) ن ى ق .

(-٤) ق : وسمعت أنه أدخل أمردا إلى خزانة مظلمة ونيمه .

(٥) الروزنة : الكوة غير النافذة .

(٦) ق : قال بتحنين تعطف يا سيدى وقدمها إلى بفضلك .

(٧) ن ى ق .

(٨) ن ى ق .

(-٩) ق : وسمعت أنه أدخل .

(١٠) ق : عليه .

(١١) ق : فتركه وراح عنك فلما كان بعد ذلك اجتمع به .

(١٢) ق : فطالبته .

(١٣) ق : عليه .

(-١٤) ق : ما قيل لى لضاع الزمان .

(-١٥) ق : أنت .

(١٦) ن ى ق .

(١٧) ن ى س .

(١٨) ن ى ق .

(١٩) ق : لعل مولاى .

(٢٠) ق : صحائفه .

(٢١) ق : يعمل .

(٢٢) ن ى ق ، ب .

مثل (ما تفعل مع[١]) بنى آدم ، والله لألطمنك بالفلع[٢] حتى يبول القندلانى[٣] على ساقيه ، واشتهيت أن[٤] أعلم (ما سبب غيظك على[٥]) . هل[٦] تقدر تحلف[٧] أنك ماكنت تقود[٨] على رفيقك هذا فى دار الفوارة[٩] بجيرون[١٠] فى سنة ثلاثة وخمسين وخمسمائة[١١] من الهجرة [١٢] ، فلما سمعنا ذلك خرسنا وأبلسنا[١٣] وعلمنا أن الناقد بصير لا يغادر[١٤] صغيرة // ولا كبيرة إلا أحصاها ، [ل٢٥] فرجعنا حينئذ إلى الملاطفة والسؤال وقلنا له : سألناك بالله لا تعجل علينا فنحن صائرون إليك بعد قليل ، وما لنا عنك من محيص ، فتركنا بعد الجهد الجهيد[١٥] فدخلنا فى غمار الناس فقلت لك[١٦] : يا أخى قد طير هذا الجبار عقولنا ومرت لنا معه[١٧] ساعة تشيب الولدان فأطلع بنا إلى جبل الأعراف[١٨]

(-١) ق : فعله فى بنى آدم ، ب : فعله مع بنى آدم .

(٢) الفلع : المقرعة التى يضرب بها (المنجد ٦٢٦) .

(٣) القندلانى : وفى ب : القندلاوى . يشير إلى رجل هذا لقبه .

(٤) ق : واشتهى أن ، ب : واشتهيت أعلم .

(-٥) ق : سبب ذلك غيظك . (٦) ن فى ق ، ب .

(٧) ق : أن تقول . (٨) ق : تقول .

(٩) دار الفوارة : قال الأصمعى : بين آكة الخيمة وبين الشمال جبل يقال له الظهران وقرية يقال لها الفوارة بجنب الظهران بها نخل كثير وعيون للسلطان، وبحذائها ماء يقال له المقنعة (معجم البلدان ٦/٤٠٣) .

(١٠) جيرون : من أبواب الجامع وهو بابه الشرق وتطلق جيرون على دمشق (هامش النجوم الزاهرة ٦/٣٠٢ ، الكنز المدفون ٤٠) .

(١١) فى أكثر من موضع من الكتاب يتضح أن وصول الوهرانى إلى المشرق لم يكن فى عهد صلاح الدين حوالى سنة ٥٦٧ هـ بل كان قبل ذلك فى عهد نور الدين .

(١٢) ن فى ق ، ب

(١٣) ق : بلسنا : أبلس من رحمة الله أى يئس ومنه سمى إبليس وكان اسم عزرائيل والإبلاس أيضاً الانكسار والحزن ، ويقال أبلس فلان إذا سكت حزناً .

(١٤) ق : لا يغادره . (١٥) ن فى ق .

(١٦) ق ، ب : له . (١٧) ن فى ق .

(١٨) جبل الأعراف : هو جبل بين الجنة والنار عليه الثمار والأنهار ،فولد الزنا إن كان —

لنشرف[١] منه على أهل[٢] الموقف ونتفرج على بساتين الفردوس[٣] فتستريح صدورنا[٤] وترجع إلينا أرواحنا (في ذلك المكان[٥]) فقلت لي[٦] : احذر [أن][٧] (تفعل ذلك اللهَ اللهَ في نفسك فقلت)[٨] (لك : ولم ؟ فقلت[٩]) : لأن يأسنا من الجنة أكثر من رجائنا[١٠] فيها ، ومتى رأينا أشجارها وأنهارها وفاتنا دخولها تضاعفت علينا الحسرات والأحزان وعظمت المصيبة بالحرمان[١١] ، وعدم ذلك في التخيل خير من وجوده في العيان ، فإنه[١٢] يُقال في المثل « عينٌ لا ترى قلبٌ لا يحزن » .

وحانت[١٣] مني التفاتة فأرى أبا المجد بن أبي[١٤] الحكم عابراً وفي يده ورقة[١٥] مذهبة حمراء ، وهو رايح بها يهرول فسلمنا عليه ، وسألناه عن حاله ، فقال : لولا ملازمة الصلاة (بين المقصورتين[١٦]) لكنت[١٧] من الهالكين [ل٢٦] فقلنا له : إلى[١٨] أين تريد ؟ فقال : أرد[١٩] هذه الرقعة على صاحبها . فقلنا : وأي شيء في الرقعة ومن صاحبها ؟ فقال : هذه (رقعة المؤيد[٢٠]) بن

= عبداً مخلصاً يكون على الأعراف ، والذي ذهب مقاتلا في بلاد الروم حتى قتل مقبلا وكان والداه كارهين لقتاله في الروم فشهادته تمنعه من دخول النار ، وعقوق الوالدين يمنعه من دخول الجنة فهو على الأعراف ، والمؤمن إذا مات عليه ديون للناس فذهب عمله كله في ديون الناس ويبقى مفلساً فهو على الأعراف وهكذا (المخلاة ٢١٢) .

(١) ق ، ب : تشرف . (٢) ن في ق ، ب .
(٣) ق ، ب : الجنان. (٤) ن في ق .
(٥) ز في ق (٦) س : له .
(٧) يستقيم الكلام بها .
(-٨) ق : تفعل ذلك الله في نفسك ، ب : تفعل هذا والله في نفسك .
(٩) ن في ق . (١٠) ق ، ب : رجانا .
(١١) ق : والحرمان . (١٢) ق ، ب : وإنه .
(١٣) ق ، ب : فتجول . (١٤) ق : أبا المجد بن الحكم : لم نعثر على ترجمة له .
(١٥) ق ، ب : رقعة . (-١٦) ن في ق
(١٧) ق : كنت . (١٨) ن في ق ، ب .
(١٩) ق ، ب : أردد .
(-٢٠) ق ، ب : هذه الرقعة للمؤيد بن العميد .

العميد بعثها معى إلى رضوان خازن الجنة[1]) يطلب منه (تطعيم كمثرى عتابى[2]) ورمان كابلى[3] (لأنهما لا يوجدان[4]) إلا فى الجنة وقد لقينى أبو الحسن بن منير[5] فخطف الرقعة من يدى وقرأهاوقال : هذه رقعة رجل دهان عارف بجل الأصباغ وإنزال الذهب ؛ لكنه[6] جاهل بصناعة الكتابة ظاهر التكلف فيها يريد أن يتمم نقص الصناعة ويستّر عوارها بالألوان المشرقة والأوراق المصبغة والتذهيب الرائق المليح[7] ومع هذا فلا[8] يجوز أن يكاتب بمثل هذه الرقاع إلا (القيان المعشوقات[9]) ، والظراف المساحقات[10] ، كن[11] عاقلا وردّهاعلى صاحبها قبل أن تُلطم على باب الجنة عشرة آلاف زربول[12] مثل هذا الملك الكريم على الله يخاطب بمثل[13] هذه الرقاع[14] ؛ هذا طلائع

(-١) ن فى ق ، ب . (-٢) ن فى ق ، ب : تطعيم كمثرى ثابورى .

(٣) ق ، ب : دبيقى : نسبة إلى بلدة بمصر قديمة زالت وكانت واقعة على بحيرة المنزلة بالقرب من تنيس وموضعها اليوم تل دبيق فى الشمال الشرقى بقرية صان الحجر بمركز فاقوس (هامش النجوم ٤ /٨١) .

(-٤) ن فى ق ، س : لا يوجد .

(٥) ب : الحسين بن منير : أحمد بن منير أبو الحسن الطرابلسى . شاعر الشام المشهور فى عهد نور الدين ، له ديوان مطبوع . كان مكثر الهجاء توفى بحلب ٥٤٨ هـ . وكان رافضياً خبيث اللسان (شذرات الذهب ٤ / ١٤٦ – مرآة الجنان ٣ /٢٨٧ – النجوم الزاهرة ٢٩٩/٥ وفيات الأعيان ٨٦/١ – خريدة القصر ٧٦/١ – الأعلام ٨١/١) .

(٦) ن فى ق . (٧) ن فى ق ، ب .

(٨) ق ، ب : لا .

(-٩) ق : القحاب المتماشقات ، ب : القحاب المتعشقات .

(١٠) ق ، ب : المتساحقات . (١١) ق ، ب : فكن .

(١٢) ق ، ب:زربون وجمعها زرابين ويقال لها زربون أو زربول . نوع من الأحذية وهى كلمة يونانية (قاموس العوام ١٢٩ ، Dozy ٥٨٤/١) .

(١٣) ق ، ب : فى مثل . (١٤) س : الرقعة .

ابن رزيك[١] مع سخافة عقله وسكره من خمر الولاية قال يوماً فى مجلسه لما عرض عليه الشيزرى[٢] قصائد// الشعراء (ورقاع المُكَدين[٣])من أهل الشام [ل ٢٧] وفى جملتها رقعة لابن العميد فيها[٤]سطر مكتوب بالأخضر اليانع ، وسطر بالأصفر الفاقع ، وسطر بالأبيض الناصع ، (وسطربالذهب الخالص[٥]) فى الورق الأحمـــر القانى مطرز الجوانب بالذهب الأبريزمن صاحب هذه الرقعة يازكى ؟.

فقال[٦] : رجل من رؤساء دمشق ومقدميهم[٧] ، أحذق الناس بالترويق[٨] فى الأوراق ،والتصحيف للألفاظ ، ومعرفة[٩] أصناف الفواكه والثمار[١٠] فقال له ابن زريك:ما أدرى ماتقول غيرأنك سلبتَ[١١] (هذا المذكور[١٢]) فضل الفضلاء ، ونسبتَه إلى الفلاحةِ والرعونة والجنونِ ،ومع هذا (فهى رقعة رجل مهين[١٣]) ،(تدل على جهل قائلها ومهانتِه[١٤]).ألاترى أن الناس(توصلوا إلينابالفضل والبلاغة[١٥]) ، وتوصل هذا الرجلُ[١٦] بلعب البنات وزخارف الصبيان ، لو كتب هذا الكلام الذى فى[١٧] رقعته علىفخذ خروف سمين ،

---

(١) طلائع بن رزيك : أبو الغارات طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصـــالح وزير مصر ، أصله من الشيعة الإمامية فى العراق كان فاضلا شجاعاً جواداً،وله شعر جيد أكثره فى مدح أهل البيت توفى سنة ٥٥٦هـ (وفيات الأعيان ٢/٤٢٦، الأعلام٢/٤٤٩ خريدة القصر قسم شعراء مصر ، شذرات الذهب ٤/١٧٧).

(٢) الشيزرى : هذه النسبة إلى شيزر – وهى قلعة حصينة بالشام قريبة من حماة أصحابها بنو منقذ يقال لكل منهم شيزرى ويقال هى قرية كبيرة بنواحى سرخس خرج منها جماعة من أهل العلم منهم أبو حفص عمر بن محمد بن على الشيزرى الفقيه الشافعى (اللباب فى تهذيب الأنساب ٢/٤٠ ، ٤٢).

(-٣) ن فى ق : المكدين : يكدى : يطلب الرزق .

(٤) ق : رقعة لابن العميد فيها رقعة فيها .

(-٥)ن فى ق ، ب .

(٦) ن فى س

(٧) ق ، ب : ومقدميها .

(٨) س : بالترويق

(٩) ن فى ق .

(١٠) ن فى ق

(١١) ق : سلبته .

(-١٢) ن فى ق

(-١٣) ن فى ق ، ب

(-١٤) ز فى ق .

(-١٥) ق : إلى برنا بالفضل والبراعة ، ب : يتوصلون إلى بالفضل والبراعة .

(١٦) ز فى ق ، ب .

(١٧) ن فى ق .

وألقى على[١] الطريق (لأنفت من أكله الكلاب[٢]) ثم ناولها لبعض الفراشين وقال : ادفعها لجارك[٣] الفقاعى[٤] يلصقها على عتبة[٥] باب // دُكانه ، [ل ٢٨] يستجلب بها الزبون . ثم التفت إلى الناس فقال[٦] : هؤلاء فضلاء الشام ورؤساء الدمشقيين[٧] . قال أبو المجد : وأنا[٨] والله ما أتجاسر[٩] أوصلها إلى رضوان بعد أن سمعت هذا الكلام ، وأنا رايح أردها عليه فقلت له : ادفعها إلى أقرنها مع أخواتها[١٠] فإنى قد حصلت من رقاعه إلى ملوك مصر[١١] خمس رقاع . وبينا (أنا أجاذبه عليها ويجاذبنى[١٢]) .

إذا بضجة عظيمة من جنب[١٣] المحشر والناس يهرعون نحوها[١٤] مستبشرين ، فملنا جميعاً نحوها[١٥] وإذا بحلقة (فسيحة عليها[١٦]) من الأمم مالا يحصى ، كلهم يصفقون ويزهزهون[١٧] ، وأربعة[١٨] فى وسطهم يرقصون (ويلعبون ، إلى أن سمعوا[١٩])ووقعوا إلىالأرض[٢٠] لاينفسون[٢١]. فسألنا بعض أولئك[٢٢] الحاضرين عن ذلك الفرح ، وعن الأربعة[٢٣] الذين

---

(١) ق ، ب : فى

(-٢) ق ، ب : لأنفت الكلاب من كله.

(٣) ق : لبعض جيرانك .

(٤) الفقاعى : بائع الفقاع وهو شراب يتخذ من الشعير يخمر حتى تعلوه فقاعاته .

(٥) ز فى ق.

(٦) ق ، ب : وقال .

(٧) ق : ورؤساء الشام الدمشقيين .

(٨) ق ، ب : أنا .

(٩) ق ، ب : استجرى.

(١٠) ق ، ب : بأخواتها .

(١١) ق ، ب : المصريين .

(-١٢) ق ، ب : نحن فى المحادثة عليها .

(١٣) ق ، ب : جنبى.

(١٤) ق : إليها .

(١٥) ن فى ق .

(-١٦) ق : عظيمة الأقطار فيها ، ب : بعيدة الأقطار فيها .

(١٧) ق ، ب : ويلعبون .

(١٨) ق : وثلاثة .

(-١٩) ن فى س : كذا بالأصل ولعلها تعبوا أو ثملوا أو ما فى معناهما .

(٢٠) ن فى س ، ق .

(٢١) ن فى ق .

(٢٢) ن فى ق .

(٢٣) ق: الثلاثة .

يرقصون[١] فقال : أما الثلاثة فعبد الرحمن بن ملجم المرادى[٢] ، والشمر بن ذى الجوشن الضبابى[٣]، والحجاج بن يوسف الثقفى ، والشيخ الكبير أبو مرة إبليس فجار[٤] الخلائق وهم[٥] مجرمو هذه الأمة . وأما الفرح الذى ألهاهم عن توقع العقاب حتى (استفزهم السرور[٦]) ورقصهم [٧] الطرب مع ما كانوا عليه[٨] من رجاحة العقول[٩] ونزاهة النفوس [١٠](وثبات// [ل٢٩] الجأش فهو [١١]) الطمع فى رحمة الله تعالى[١٢] بعد اليأس منها، (لعلمهم بما اجترحوا من العظائم وإنما قوى أطماعهم [١٣]) كون البارى – جلت قدرته[١٤]– غفر اليوم (للفقيه الحبر والمهذب النقاش[١٥]) ، فخذوا رحمكم الله بحظكم من (هذه البشرى[١٦]) والفرح والسرور[١٧] ، فقلت له[١٨] : وأى شىء ينالنا نحن من خلاص[١٩] هذين

---

(١) ز فى ق .

(٢) عبد الرحمن بن ملجم المرادى : أدرك الجاهلية وهاجر فى خلافة عمر وقرأ على معاذ بن جبل . ذكر ذلك أبو سعيد بن يونس ثم صار من كبار الخوارج . قتل على بن أبى طالب فقتله أولاد على ٤٤ هـ (الإصابة فى تمييز الصحابة ٢/٩٩ ، الأعلام ٢/٥١٣) .

(٣) شمر بن ذى الجوشن الضبابى : أبو السابغة من كبار قتلة الحسين رضى الله عنه ، كان فى أول أمره من ذوى الرياسة فى هوازن ، موصوفاً بالشجاعة ، شهد صفين مع على ، طلبه المختار الثقفى بدم الحسين فهرب من الكوفة وقتل خارجها سنة ٦٦ هـ (خريدة القصر ٢/٢٠٣ ، الأعلام ٢/٤١٦) .

(٤) فى الأصل فجهز ونرجح أن تكون مصحفة عن فجار .

(٥) ن فى ق . (–٦) ن فى ق .

(٧) ن فى ق ، ب . (٨) ق : فيه .

(٩) ق ، ب : العقل . (١٠) ق ، ب : النفس .

(–١١) ن فى ق ، ب . (١٢) ن فى ق .

(–١٣) ز فى ق : (١٤) ق ، ب : تعالى .

(–١٥) س : المهذب بن النقاش والفقيه .

(–١٦) ز فى ق ، ب . (١٧) ن فى ق .

(١٨) ن فى س . (١٩) ق ، ب : نجاة .

الرجلين ومن فوزهما بالنجاة(١) والرضوان ،(ونحن إلى الحزن أقرب منا إلى السرور٢) ، فقال :(أليس تعلمون أنه لم يولد فى الإسلام مولود ٣) قط أرق دينا من هذين الرجلين ، ولا أقل خيراً منهما ، وإذا (٤) غفر لهما فما عسى أن تكون ذنوب الحجاج وأصحابه فى جنب ذنوب هذين(٥) ، أن يكون ذلك إلا كالشعرة البيضاء فى الثوب الأسود .

فقال أبو المجد بن أبى(٦) الحكم : والعشرة دنانير(٧) التى لك عند ابن النقاش إلى متى تخليها(٨) . قم (٩) الحقه قبل أن يدخل الجنة فما ترجع تراه أبداً ، فأقوم(١٠) وأعدو ملء فروجى ، وأنتم خلفى إلى أن انتهيت إلى جماعة كثيرة(١١) من الملائكة والناس ، وهم(١٢) ينظرون إلى ويقولون (ها هو قد١٣) جاء ، فأخالط(١٤) ذلك الجمع وأتخللهم إلى صدر ذلك(١٥) الملأ ، فإذا(١٦) بملك عظيم مهيب (١٧) تقشعر من نظره الجلود ،// [ل٣٠] وتشمئز من طلعته النفوس ، والمهذب ابن النقاش قائم بين يديه يكلمه بالعجمية ، وهو مقبل بجملته عليه لا يريم(١٨) فلما أحس بى الملك قال: اذكر (سعيداً تره ١٩) . (وقال ابن النقاش ٢٠) : اذكر الكلب واستعدله بفهر (٢١) . أى شيء تعمل معى فى أيشم(٢٢) الذهب

---

(١) ن فى ق ، ب . (-٢) س : ونحن بحزن ا لحسد أجدر من السرور

(-٣) ق : أنه قد أجمع الناس أنه لم يولد ولد فى الاسلام مولود .
ب : قد أجمع الناس أنه لم يولد فى الاسلام مولود .

(٤) ق ، ب : فاذا . (٥) ق : هؤلاء .

(٦) ن فى ق .

(٧) س : والعشرة الدنانير ، ق : فالعشرة دنانير ، ب : فالعشرة الدنانير .

(٨) ن : تتركها ، ب :نتركها له (٩) ن فى ق ، ب .

(١٠) ق ، ب : وأقوم . (١١) ق : كبيرة .

(١٢) ق : كلهم . (-١٣) ق ، ب : هذا هو

(١٤) ق : وأخالط . (١٥) ز فى ق .

(١٦) ق ، ب : وإذا . (١٧) ن فى ق .

(١٨) ن فى ق . (-١٩) ن فى ق .

(-٢٠) ز فى س . (٢١) الفهر : الحجر يذكر ويؤنث .

(٢٢) أيشم الذهب : اليشم مصطلح عام يشمل مجموعة من المعادن الصلدة التى تتدرج ألوانها من الأبيض تقريبا إلى الأخضر الداكن وتتكون من سليكات الكالسيوم غير المتبلورة .

الذى لك فى ذمتى ، قد عاقونى[١] عن دخول الجنة لأجله فقلت له[٢] : طيب ، والله طيب[٣] فى قفاك[٤] ويبدو لهم — إن شاء الله — فيك ويردوك إلى الجحيم ، أريد الساعة آخذ من حسناتك بعشرة دنانير ما يساوى خمسة عشر ديناراً ، أو رح [٥] أنت إلى حيث شئت ، فما أشعر إلا بضرطة عظيمة هائلة [٦] (جاءت من خلفى[٧] طنت لها أكناف المحشر ، فالتفت عن يسارى فإذا بجماعة من أصحابنا كلهم[٨] قيام ينظرون [٩] ويضحكون ، فاتهمت بها[١٠] الصفى بن كريم الملك[١١] ، فاغتظت[١٢] وتوعدته فحلف إنه ما صفى لى إلا التاج بن أبى الصقر[١٣] ، فحردت[١٤] عليكم وقلت لكم : يا قوم هذا وقت المجون (فقال لى[١٥])ابن أبى الصقر : نعم إذا رأينا واحداً مثكلا[١٦] يطلب من ابن النقاش بعشرة دنانير حسنات ، (تساوى خمسة عشر ديناراً[١٧]) ، ما يضرط فى ذقنه ؛ أى والله[١٨] نعم ويخرى فى لحيته . والك يا أحمق[١٩] || يعطيك (بعشرة دنانير[٢٠]) أمن أوراده بالليل[٢١] أومن[٢٢] تهجده بالقرآن فى [ل٢١]

---

(١) ق ، ب : عوقونى . (٢) ن فى س .
(٣) ز فى ق . (٤) ز فى س .
(٥) ق : روح ، س : وبع . (٦) ز فى س .
(-٧) ز فى ق ، ب . (٨) ز فى س .
(٩) ز فى س . (١٠) ق : به .
(١١) الصفى بن كريم الملك : لم نعثر عليه .
(١٢) ق ، ب : واغتظت عليه .
(١٣) التاج بن ابى الصقر : محمد بن على بن الحسن المعروف بابن أبى الصقر كان فقيها شافعيا وتفقه على أبى اسحاق الشيرازى وغلب عليه الشعر فاشتهر به (تاريخ أبو الفداء ٢ — ٢٥٤) .
(١٤) س : فجردت .
(-١٥) س : فيقول ، ب: فقال . (١٦) ق ، ب : منحوسا .
(-١٧) ز فى س . (١٨) ز فى ق ، ب .
(١٩) ق ، ب : يا أبله .
(-٢٠) ز فى س — هذه العبارة تبدو قلقه بعض الشىء ، وربما استقامت إذا جعلنا (أنى لك) بدل « والك » وجعلنا « أمن » بدل « من » ، وأضافة « أن » قبل « يعطيك » .
(٢١) ق : فى الليل . (٢٢) ز فى س .

الأسحار[١] ، أو[٢] من صيام الاثنين والخميس ، أو من مواصلة (الثلاثة أشهر[٣] (أو يعطيك من حجاته حجة مبرورة[٤] (ما تستحى تتكلم بهذا الكلام فى هذا المقام فقلت : يا قوم فما أثبتوا له شيئاً من غزواته مع نورالدين ؛ فقالوا : ما كان يخرج بنية الغزاة والأعمال بالنيات . قلت : فما فعلت صدقاته ؟ فقالوا[٥] : (يتكلم بالهذيان فى هذا المقام ، ما أنت غريب من هذا الرجل ولا أنت جاهل به[٦] ، (جميع ما وجد فى صحيفة حسناته خمس قراطيس صدقة بيدك لابن الجليس الجبرونى[٧]، وهم فيها على قولين لأن ملك الشمال قال : هى تشريح[٨] وقال ملك اليمين : اسم الصدقة عليها مكتوب[٩]، وهى موقوفة إلى الآن . (قلت : فصلاته أى شىء فعل الله بها ؟ قد كان يصلى المغرب فى بعض الليالى إذا أقامت بغتة[١٠] وهو فى وسط الجامع . فقالوا : ووجدوا له ثمانين صلاة فى ستين سنة ؛ منها[١١] ثلاثون[١٢] بغير وضوء ، والخمسون[١٣] مثبتة له خذها[١٤] بارك الله لك فى جميعها[١٥] بخمسين قرطاس[١٦]، كل

---

(١) ق ، ب : السحر . (٢) ق : ويعطيك .

(-٣) س : الثلاثة الأشهر . (-٤) ق : أو يعطيك حجة مبرورة من حجاته .
ب : أو يعطيك حجة مبرورة مقبولة من حجاته .

(-٥) ق : ما تستحى بهذا الكلام : فقلت : يا قوم فما أثبتوا شيئا من غزواته مع نور الدين . فقلت : ما كان يخرج بنية الغزاة والأعمال بالنيات . قلت : فما فعلت صدقاته : فقال ...

(٦) ز فى س .

(٧) ابن الجليس الجبروقى : الجبروقى نسبة إلى جيرون ، وهو موضع بدمشق عند بابها وهو الذى بنته الشياطين لسليمان بن داود عليه السلام و اسم الشيطان الذى بناه جيرون فسمى به .

(-٨) ق ، ب جميع ما وجد له صدقة خمس قراطيس على يدك لابن الجليس الجيروقى وهم فيها على قولين فان كاتب الشمال قال : روائحها منتنه وأظنها تشريخ .

(٩) س : وهى صدقة . (١٠) س : إذا كانت بغتة .

(١١) ق : فيها . (١٢) ق ، ب ثمانية وعشرون .

(١٣) س : والخمسين والصواب والخمسون ، ق ، ب : والإثنين والخمسين .

(١٤) ز فى ق . (١٥) ق ، ب : فيها .

(١٦) ق ، ب : باثنين وخمسين قرطيا .

صلاة بستة[1] فلوس قلت لهم[2] : فلم يبق إذاً إلا أن أحط من سيئاتى (على سيئاته [3]) بقيمة عشرة دنانير فيقول لى[4] ذلك الملك المهيب بحمية وغضب:[5] الرجل[6] مغفور له لا تناط به[7] السيئات فقلت له : يا سيدى (فادفعوا لى[8] فى الجنة [9]) بالعشرة دنانير موضعاً صغيراً[10] بقدر[11] (إقطاع بن سعد الدولة الحموى فى البشمور [12])، فيقول[13] الملك : ماهذا إلينا ، هذا إلى // الحق سبحانه ، وهو الجواد الكريم وأنت إما تحالله[14] من دينك [ل٣٢] بطيبة من قلبك ، وإلا فاضرب برأسك الحيطان فأهج على رأسى وأعدو[15] ملء فروجى ، وأصيح بجميع حلقى دعوة مظلوم يا كريم . فلحقتمونى أنتم وأدركتمونى[16] وقلتم لى[17]: أنت مجنون تدرى[18] لمن تخاطب ؟ فقلت : لا فقلتم : هذا عزرائيل ملك الموت وهو يعنى بالمهذب عناية عظيمة وهو الذى شفع فيه وخلصه من العذاب المقيم[19] فقلت لكم : من أين[20] هذه المعرفة والمحبة[21] بين المهذب وبين عزرائيل ؟ فقال لى[22] أبو المجد بن أبى الحكم : من جهة الطب ، أما علمت أن المهذب كان من خيار[23] أعوان

---

(١) س : بست .
(٢) س : له .
(٣) ز فى س .
(٤) ز فى س .
(٥) ق ، ب : وتعصب .
(٦) ق ، ب : هذا رجل .
(٧) ز فى س .
(٨) ق : ادفعوا .
(٩) ز فى س.
(١٠) ز فى س .
(١١) ق ، ب : مثل .
(١٢) ق ، ب : إقطاع العز المكى فى البحيرة، وابن سعد الدولة الحموى: لم نعثر له على ترجمة . البشمور : كورة بمصر قرب دمياط فيها قرى وريف وغياض وكباش ليس فى الدنيا مثلها (معجم البلدان ٢ – ١٩٠) .
(١٣) ق ، ب : فقال .
(١٤) ن فى س .
(١٥) ق ، ب : فأعدو.
(١٦) ق : واسكتمونى ، ب : فاسكتمونى .
(١٧) ن فى س .
(١٨) ق ، ب : تعرف .
(١٩) ق ، ب : الأليم .
(٢٠) ن فى ق .
(٢١) ن فى ق ، ب
(٢٢) ن فى س .
(٢٣) ن فى ق .

ملك الموت فى دار الدنيا ما دخل قط إلى عليل إلا ونجزه[١] فى الحال ، وأراح ملك الموت من التّردد إليه وشم الروائح المنتنة[٢] ، (والنظر إلى شخصه المزعج [٣]) وخلصه من الانتظار الطويل ، فهو[٤] يرعاه لأجل [٥] هذا ويحبه من ذلك الزمان . وأما [٦] أنا ما [٧] أقدر (أوقع عينى [٨]) فى عينه ، ولا يبصر لى رقعة وجه أبداً لأنى كنت أضاربه على العليل مضاربة حتّى أخرجه من فكه وأخلصه بعد اليأس[٩] ، // فلا جرّم أنه ماأمهلنى أتمم الأرغن[١٠] الذى ابتدأته ، [ل٢٣] ولا تركنى أتملى فى الدنيا[١١] بأم أبى الحكيم[١٢] ساعة من الزمان .

فقلت لى : [١٣]قم وارجع[١٤] إلى الملك وقبل[١٥] يده . وقل له : قد تركت هذا المقدار لأجلك فافعل بمروءتك[١٦] ما تريد ، فقالت الجماعة كلها[١٧] : هذا هو الصواب . انهض على بركة الله ، فقمت معهم[١٨] إلى الملك ، وحاللت الرجل من الذى كان لى[١٩] عليه ففرح بذلك عزرائيل وقال ما أقدر لك اليوم على مكافأة إلا أنى أبشرك[٢٠] أنك تعيش فى الدنيا[٢١] بعد المهذب عشر[٢٢] سنين ، لكل دينار سنة فسررت بذلك ورضيت به ، وقمت وأنا له من الشاكرين .

---

(١) ق ، ب : وأنجزه .

(٢) ق ، ب : الكريهة .

(-٣) س : ونظر الأشخاص المزعجة .

(٤) ق : وهو .

(٥) ق : من أجل .

(٦) س : هذا .

(٧) ق : فما أقدر .

(-٨) ق ، ب : أقع .

(٩) س : اخلصه من فكه وأظهره للوجود .

(١٠) الأرغن لعله يريد كتابا فى الطب يسمى Organon

(١١) ن فى س ، ب .

(١٢) ق : بأمر الحكم .

(١٣) س : له .

(١٤) س : أنت قم فارجع .

(١٥) ن فى ق .

(١٦) ن فى ق ، ب

(١٧) ق ، ب : كلهم .

(١٨) ق ، ب : معكم .

(١٩) ن فى ق ، ب .

(٢٠) ق : أبرك

(٢١) ن فى ق ، ب .

(٢٢) س : عشرة .

فقلت لى أنت بعد انفصالنا عنه : قد تعبنا يا فلان من المحاورة والوقوف واشتد بنا العطش والظمأ . هل لك فى أن نأتى (١) الحوض فنمت عنده(٢) بالعلم والقرآن ، لعلهم يسقونا منه شربة لا نظمأ بعدها أبداً فقلت لك : سر بنا فتوجهنا نحوه وابن بدر معنا(٣) حتى إذا كنا قريباً منه رأينا أبا القاسم الأعور وحوله جماعة من الأشراف ، وهم(٤) يندفون شعر(٥) رأسه (بالمزادات والدلاء(٦) ، ويقولون : يا خنزير (٧) رح إلى يزيد بن معاوية يسقيك الماء ، توقفنا نحن حينئذ ساعة (٨) وأحجمنا عن الإقدام خوفاً من سوء الأدب ؛ [ل٢٤]

فرآنا تاج الدين الشيرازى فجاء إلينا وسلم علينا : فسألناه عن حاله فقال : (لو اتبعت مذهب أئمة الحنابلة فى التشبيه هلكت معهم ،ولكنى كنت أسر الأشعرية ، وأضمر التنزيه ؛ وقد وعدنى الإمام الشهيد سيبويه بأن ينفعنى(٩). (أنا والحمد لله فى كل نعمة قد عرف المولى زين العابدين ما عملت فى مشهده من الخير ، ومساعدتى لأولاده فى كل وقت ، وقد وعدنى أنه (١٠) إذا رآنى عند الميزان (يفعل معى كل جميـل ، لكنى ما خرجت من الدنيا الا بحسرة من فراق ططماج(١١) العماد ،وصابونية الضياء ، وهريسة ابن العميد(١٢) .

---

(١) ن فى ق ، ب .

(٢) ن فى س .

(٣) ن فى ق .

(٤) ن فى ق .

(٥) ن فى س .

(-٦) ق ، ب : بالدلا والتواسيم . التاسومة : ضرب من الأحذية تعريب تاسو ومعناه الصغيرة والقده والسير وفرعة الحذاء (كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ٣٣) .

(٧) ن فى ق .

(٨) ن فى س .

(-٩) ن فى س . الشهيد سيبويه : كذا بالأصل والاشارة إلى سيبويه فى هذا الموضع غير مفهومة وربما كان لفظ شهيد مصحفا عن شهير .

(-١٠) ن فى ق ، ب .

(١١) ططماج : يبدو أنها اسم طعام ولكن لم نعثر عليه .

(-١٢) ن فى ق ، ب .

وأنتم ما لكم ما (تتقدمون وتسلمون[١] على أمير المؤمنين وتأخذوا إذنه فى الورود ، فإنه أذن اليوم لجماعة من الأدباء [٢] أنحس منكم بكثير موّهوا عليه أو لعلكم خفتم مما وقع فيه أبو القاسم[٣] الأعور من اللطام . فقلنا له : نعم . فقال : حاشاكم أنتم من هذا . أبو القاسم رجل فضولى[٤] يكاشف الأشراف ويؤذيهم ويضاربهم[٥] فى كل مكان .

فتقدمنا إلى أمير المؤمنين فوجدناه على شفير الحوض وحوله جماعة من الهاشميين ، كأن الشمس تطلع من جباههم[٦] ، والمقداد بن الأسود الكندى[٧] على رأسه قائم[٨] ، وفى[٩] يده لواء أخضر من سندس الجنة منشور ، ومنير // الدولة[١٠] يخاطبه فى بنى سرايا ويقول له : [١١] يا أمير المؤمنين ما كان ظننا بك هذا فيقول [١٢] له : ما أوبقهم[١٣] وأوقف أمرهم[١٤] إلا معن بن حسن[١٥] بكثرة ما وقع عليكم من العظائم وإلا كنت قد خلصتهم [١٦] من أول النهار . فيقول له حاتم : هو أخى[١٧] يا أمير المؤمنين شتت شملنا فى الدنيا وأوبقنا فى الآخرة ، وهو[١٨] الميشوم الطلعة فى كل حين ، فيقول [١٩] له جحا : والله يا أمير [ل٢٥]

(١-) ق ، ب : تتقدموا وتسلموا .

(٢) ن فى س : وبدلا منها وضعت « من الشعراء » قبل لفظ بكثير .

(٣) ق ، ب : قسيم . (٤) ق ، ب : كان قسيم رجلا فضوليا .

(٥) ن فى ق ، ب . (٦) ق ، ب : وجوههم .

(٧) المقداد بن الأسود : صحابى هاجر إلى الحبشة . اشترك فى يوم بدر وفى فتح مصر (المنجد ص ٥٠٧) .

(٨) ن فى س . (٩) ن فى ق .

(١٠) منير الدولة : لم نعثر عليه . (١١) ن فى س .

(١٢) ن ، ب : فقال . (١٣) ق : أوقفكم . ب : أوبقكم .

(١٤) ق ، ب : أمركم . (١٥) معن بن حسن : لم نعثر عليه .

(١٦) ق ، ب : خلصتكم . (١٧) ن فى ق .

(١٨) ق ، ب : فهو . (١٩) ق ، ب : فقال

المؤمنين لتسمعن في صحيفة أعماله من الفضائح (ما لم تسمع بمثلها لسواه[١]) ، وأقل[٢] ما فيها أنه أخذ طفلا من أبناء الفلاحين اسمه يوسف بن بونيات[٣] فسق به حتّى التحى . ونشأ[٤] له أخ اسمه علاقة[٥] ففسق به حتّى التحى . ونشأ له أخ آخر[٦] اسمه فضيل ففسق به حتّى التحى . ونشأ له أخ آخر[٧] اسمه إسماعيل ففسق به حتّى التحى . وفرغ من الصبيان (فعمد إلى أختهم فعقد عليها[٨]) عقداً مفسوداً وفسق بها حتّى ملها . وعبرت يوماً أمها فكشفت[٩] الريح عن ساقها[١٠] (وقطعت عجيزتها[١١]) فمسكها وغصبها على نفسها . فلم يسلم منه[١٢] من أهل البيت إلا شيخهم الكبير بمصيره إلى التراب . فتنكر أمير المؤمنين من سماع هذا الحديث وثقل عليه حتّى ظهر ذلك في// وجهه . [ل٢٦]

والتفت إلينا فقال وأنتم ما تريدون ؟ فقلت له[١٣] : (إنا نحن قوم من أهل العلم والقرآن يا أمير المؤمنين[١٤]) وقد بلغ بنا الجهد من شدة العطش ، ونسألك[١٥] أن تنعم علينا وتطلق لنا الورود ، فقال لي[١٦]: صلوات الله عليه مسترسلا : أني يهزأ بي ويمجن معي ، (أي آية في كتاب الله تعالى[١٧] فيها مائة وأربعون عيناً[١٨]) ؟ فقلت: أعرفها والله يا أمير المؤمنين ، فقال : (وأي

(-١) ق،ب : مالم يسمع بمثله لمخلوق سواه (٢) ق ،ب : أقل .
(٣) ن في ق ،ب : تونيات . (٤) ق : انتشى .
(٥) ق ،ب : علامة .
(٦) ن في ق . (٧) ن في ق .
(-٨) ق ،ب فعقد على أختهم . (٩) ق : فكشف .
(١٠) ق ، ب : ساقيها .
(-١١) س : وقطعت عن عجيزتها ، والعبارة ن في ق .
(١٢) ن في ق ، ب . (١٣) ن في ق ، ب .
(-١٤) ق : ياأمير المؤمنين نحن قوم من أهل العلم والقرآن .
(١٥) ق : وتسلك . (١٦) ن في س .
(١٧) ق : عز وجل .
(-١٨) لعل الآية التي يشير اليها قوله تعالى « واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا ، فلما اخذتهم الرجفة قال : رب لو شئت اهلكتهم من قبل وإياى ، اتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين » سورة الأعراف الآية ١٥٥ » .

سورة لا يستغنى بها القارئ فى الصلاة وليست من القرآن(١) ؟ وأى آية وزنها أربعة عشر درهماً إلا ثلث (٢) ؟فقلت أعرفها والله (يا أمير المؤمنين فقال : صدقت فقلت له ٣) : (يا أمير المؤمنين ٤) ومن أين عرفت صدقه، ولم تعرفه (٥) فقال : بشاشة المعرفة بها(٦) ظهرت فى عينيه(٧) ثم قال صلوات الله عليه : هذا الحوض بين أيديكم ردوا كيف شئتم فصاح أبو القاسم الأعور(٨) من بعيد : الله، الله يا أمير المؤمنين يتم عليك محالهم(٩)هؤلاء والله أشد كفراً ونفاقاً ،وأكثرهم نصباً وانحرافاً عن أهل بيتك،وهم عبيد يزيد فقلت له(١٠) : يكذب والله علينا يا أمير المؤمنين(١١)،(ولنا جماعة من أهل بيتك يشهدون لنا بغير ما يقول فقال : مثل من ؟ فقلت : مثل الشريف قيفيفات الذى كان ضامن القيان بدمشق ،// وَمِثل الشريف بطرس المُسقف الهرات،والشريف [٣٧ ل] العصيدة الذى كان رسول القاضى ، والشريف زقازق الكادوم الذى يبيع اللحم فى القبة ، والشريف الدويدة الرواس : هؤلاء ذريتك ونسلك وهم يعرفون براءتنا من قول هذا الملعون، فقال أمير المؤمنين ١٢) :ولا شك أنك(١٣)

(-١) ن فى ق ، ب وأماه يريد آية وليست سورة وتكون آية « آمين » .

(٢) ن فى س : ولعل الآية التى يشير إليها هى قول الله تعالى « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة ، وكانوا فيه من الزاهدين » (سورة يوسف آية ٢٠) .

(-٣) ن فى ق .

(-٤) ن فى ق .

(٥) ن فى ق .

(٦) ن فى ق .

(٧) ق : على وجهه .

(٨) ق ، ب : قسيم الأعور .

(٩) ن فى س .

(١٠) ق ، ب : فقلنا له .

(١١) ق : يكذب والله يا أمير المؤمنين علينا .

(-١٢) ق : ولقد رمانا بالإفك والبهتان فقال : هل لكم من يعرفكم بغير الذى يقول : فقلنا : نعم يا أمير المؤمنين الشريف الدويدة والرواس والشريف العصيدة رسول القاضى والشريف زقازق الذى يبيع اللحم فى القبه والشريف قفيفات الذى كان ضامن الخمر والقيان بدمشق هؤلاء أولادك وذريتك صلوات الله عليك يشهدوا ببراءتنا من هذا الملعون، فاغتاظ الحسين صلوات الله عليه من ذكر هؤلاء وصفق بين يديه وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم اليوم تشمت بنا بنو أمية، فالتفت أمير المؤمنين إلينا وقال . والعبارة ناقصة فى ب .

(١٣) ق : أنكم

من عبيد بزيد، (ألاترى أنك شرعت تسبنا[١] بطريق لطيف إلحاق[٢] هؤلاء (الأرذالبي [٣] ؟ هؤلاء (الذين ذكرتم[٤] من ذرية إبليس اللعين ، ومن نسل[٥] الشيطان الرجيم، إن كان لكم ثقة (تشهد ببراءتكم[٦] فهاتوه [٧]، وإلا فلا تقربوا هذا المكان فيقول محمد بن الحنفية [٨]: اغتنموا أنفسكم قبل المبادرة والإحراق [٩]، فننصرف من بين يديه ونحن لا نبصر الطريق .

(فقلت لك: اطلب لنا[١٠] الشريف أبا العباس النقيب فمالنا ولا[١١] لهم مثله ، فخرجنا فى طلبه فلقينا زين الدين بن الحكيم[١٢] ومعه أمم من النساء لا يحصيهن[١٣]إلا الله سبحانه[١٤]، وهن يسحبنه [١٥] إلى عرصة القيامة[١٦] . وملك النحاة[١٧]رايح خلفه يحرضهن[١٨]عليه، ويغريهن به[١٩] ، ويقول

(-١) ق : قد شرعتم تسبونا . (٢) ن فى ق .

(-٣) ن فى س . (-٤) ن فى س .

(٥) أولاد . (-٦) ق : نشهد ببراءتكم .

(٧) ن فى ق .

(٨) محمد بن الحنفية : محمد بن على بن أبى طالب الهاشمى القرشى ، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية : أحد الأبطال الأشداء فى صدر الإسلام . وهو أخو الحسن والحسين غير أن أمهما فاطمة الزهراء وأمه خولة بنت جعفر الحنفية ، فهو ينسب إليها تميزا عنهما . مولده ووفاته فى المدينة ، وكان واسع العلم ورعا ،أخبار قوته وشجاعته كثيرة . كان المختار الثقفى يدعى الناس إلى امامته ، ويزعم أنه المهدى ، وكانت الكيسانية من فرق الإسلام تزعم أنه لم يمت وأنه مقيم برضوى (الأعلام ٣ – ٩٤٢) .

(٩) ق ، ب : الأخراق . (-١٠) ق ، ب : فقلت لكم هلموا بنا نطلب .

(١١) ن فى ق . (١٢) زين الدين بن الحكيم : لم نجد له تعريفا.

(١٣) ق،ب : يحصيهم وهو خطأ نحوى. (١٤) ق : تعالى .

(١٥) ق ، ب : وهم يسحبونه وهو خطأ نحوى .

(١٦) ق : القصاص ، ب : عرصات القصاص .

(١٧) ملك النحاة: اسمه الحسن بن صافى برع فى النحو حتى صار من أئمته، وقام بتدريسه فى بغداد وسكن واسط مدة وأخذ عنه جماعة من أهلها أدبا كثيرا ،ثم ولى وجهه شطر الشام فنزل دمشق وفيها قام بتدريس ماتثقف فيه ولا سيما النحو وتوفى بها سنة ٥٦٨ﻫ وترك مصنفات كثيرة فى النحو والفقه، والأصول والعروض ، والقراءات والأدب (وفيات الأعيان ١ – ١٣٤ ، النجوم الزاهرة ٦ – ٦٨ ، معجم الأدباء ٨ – ١٣٩ ، الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية ١٩٩) .

(١٨) ق ، ب : يحرضهم وهو خطأ نحوى . (١٩) ق ، ب : ويغريهم .

له (١) : ما يخلصك والله من هؤلاء فى هـذا(٢) اليوم لا شعرك الركيك ، ولا رسائلك الباردة // ولا بدّ لك من الاجتماع بأبيك الغسل (٣) فى أمك [ل٢٨] الهاوية ، وهو يقول له : خرب بيتك ، أى شىء بينى وبينك هجوتنى وهجوتك ، وشتمتنى وشتمتك ، وقد راح هذا بهذا ، ونحن من أهل العلم ولا يليق بنا إلا المـُحالـّة بعد(٤) والاستغفار ، وأنت(٥) فى موقف صعب ، وأنا رايح إلى رب كريم ، (ورجائى به جميل وظنى به حسن(٦) (فينثنى عنه أبو نزار وهو نادم(٧) خجلان .

ثم ترتفع(٨) الضوضاء وإذا بموكب عظيم قد أقبل(٩) من المقام المحمود كأنهم الشموس والأقمار ، ركبان على نجائب من نور يؤمون المشرعة العظمى من الحوض المورود (١٠) ، فسألنا عنهم فقيل لنا(١١) : (هذا سيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم١٢) ، فى أصحابه وأهل بيته . فنجرى خلفه ونجهد أنفسنا فى طلبه . فلم نصل إليه من شدة الزحام ، فطلعنا(١٣) على تل مشرف من جبل الأعراف (١٤) نرقبه(١٥) ، حتى عبر علينا (وعن يمينه أبو بكر ، وعن

---

(١) ن فى س ، ب . (٢) ن فى ق

(٣) ق ، ب : الدائص . (٤) ن فى س ، ب .

(٥) ق ، ب : لأنك .

(-٦) ق ، ب : رجائى به حسن وظنى به جميل .

(-٧) ق ، ب : فانكسر أبو نزار ورجع عنه .

(٨) ق : وترتفع . (٩) س : مقبلين .

(١٠) ن فى ق . (١١) ن فى ق .

(-١٢) ق : سيد البشر صلى الله عليه . (١٣) ق : فصعدنا .

(١٤) جبل الأعراف : سبقت الترجمة . (١٥) ن فى ق .

يساره عمر[١]) ، وبين يديه أولاده الصغار مع الحسن والحسين ، (وعثمان [ل٣٩] يقدمهم ، ومن ورائه[٢]) حمزة والعباس وجعفر وعقيل ، // (وبقية أصحابه يمشون فى ركابه[٣])(مع المهاجرين[٤]) والأنصار ، وهو يصغى تارة إلى حديث على (عليه السلام[٥])، وتارة إلى حديث عثمان . وهما فيما (بينه وبين أولاده الصغار[٦]) ، والناس يضجون[(٧)] بالبكاء ويشيرون إليه بالأيدى ، (ويستغيثون عليه من كل مكان[٨]) .

(فلما انتهى إلى شاطئ المشرعة وقف عندها[٩]) . فتقدمت[(١٠)] إليه الصوفية (من كل مكان[١١]) ، (وعلى أيديهم الأمشاط وأخلة الأسنان[١٢])، وقدموها بين يديه ، (فقال صلى الله عليه : من هؤلاء[١٣]) ؟ فقيل له: هؤلاء قوم (من أمتك[١٤])، (غلب العجز والكسل على طباعهم[١٥])، (فتركوا المعايش وانقطعوا إلى المساجد ، يأكلون وينامون[١٦]) ، فقال : فماذا[(١٧)] كانوا ينفعون الناس ، (ويعينون بنى آدم[١٨]) ، فقيل له : والله (ولا بشىء[١٩]) ألبته ، ولا كانوا إلا (كمثل شجر الخروع[٢٠]) فى البستان ، يشرب[(٢١)] الماء (ويضيق

(١-) ق : وعن يمينه ويساره أبو بكر وعمر . (٢-) ن فى ق .

(٣-) ق : وبقية أصحابه من ورائه يمشون . (٤-) ق : من المهاجرين .

(٥-) ن فى ق . (٦-) ق : بين أولاده الصغار وبينه .

(٧) ق : يصيحون . (٨-) س: ويستغيثون من كل جانب .

(٩-) ن فى س . (١٠) ق : فانجاب .

(١١-) ن فى س . (١٢-) ق : ويقدمون إليه أخلة الأسنان الشيشات .

(١٣-) ق : فسأل عنهم . (١٤-) ن فى ق .

(١٥-) ق : غلب عليهم العجز والكسل فى الدنيا .

(١٦-) ق : فهربوا من كد الصنائع والأعمال إلى زوايا المساجد والمشاهد بحجة العبادة والانقطاع فلا يزال أحدهم يأكل وينام حتى يموت .

(١٧-) ق : فبأى شئ . (١٨-) ن فى س .

(١٩-) ق : بلا شئ . (٢٠-) س : بمنزلة الخروع .

(٢١) ق : يشربون وهو خطأ .

المكان(١) (فساق ولم يلتفت إليهم ، فلما انتهى إلى شاطئ المشرعة وقف عندها (٢)) .

وأقبل(٣) نجم الدين(٤) وأسد الدين(٥) راكبين على فرسين كالعقابين(٦) (من خيل بنى ربيعة(٧)) ، وعلى كل واحد منهما خلعتان خلعة الحج وخلعة الجهاد ، وكل(٨) خلعة منها خير من خراج الأرض كلها(٩) سبعين مرة(١٠) وأسد الدين رايح يطلب من النبى صلى الله عليه وسلم خلعة فتوح مصر ، [ل٤٠] ونجم الدين يقول : لا(١١) تذكره بمصر فهو موغر الصدر لأجلها . فيقول له أسـد الدين : ذكر العلماء بالنسب أن ما بينه وبين ملوكها (١٢) قرابة ، (فكتبوا خطوطهم بذلك(١٣)) فى المشاريح ، فلو كان بينه(١٤) وبينهم قرابة ماضرّنا ذلك عنده ، لأنا ما قتلنا أحداً منهم ، ولا نقضنا له عهداً ، ولا قبضنا على أولادهم ، حتى بغوا علينا وأرادوا هلاكنا ، وإخراج الديار المصرية من يد الإسلام إلى أيدى المشركين ، ولو لم يكن إلا هذا لكان عند النبى صلى الله عليه وسلم من الأواخى الحسنة ، ومن القرابة والصحابة ، ما (يزيلون كل ما فى نفسه ، ويطيبون قلبه(١٥)) علينا : فقال له : قفهم فقال عمه العباس بن

---

(١) ق : ويضيقون الطريق .

(-٢) ق : وليس ثمرة فيكاسر عنهم فيأخذون شيئاتهم وينصرفون .

(٣) ق : ثم يأتى . (٤) نجم الدين : سبقت ترجمته

(٥) أسـد الدين شيركوه : أبو الحارث بن شادى بن مروان . عم السلطان صلاح الدين الأيوبى ، طرد الإفرنج حين دخلوا بلبيس ، وتوفى فى القاهرة ونقل إلى المدينة ٥٦٤هـ (وفيات الأعيان ، الأعلام ٢ - ٤٢١ ، النجوم الزاهرة جـ٥ ، خريدة القصر ١ - ١٩٣ ، ١٩٤) .

(٦) ق : كالهروسين . (-٧) ن فى ق .

(٨) ق : كل . (٩) ن فى ق .

(١٠) ق : سنه . (١١) ق : يقول لك .

(١٢) يريد الخلفاء الفاطميين ويشير إلى طعن بعض المؤرخين فى صحة نسب الفاطميين .

(-١٣) ق : وكتبوا بذلك خطوطهم . (١٤) السياق يقتضى ذلك أى بين الرسول .

(-١٥) ن فى س . وفى ق : يطيبوا .

عبد المطلب : رددنا الدعوة لأولاده[١] بعدانقطاعها عنهم مائتى سنة (والسور وأصحابه التسعة ٢) ، واليمامن والاهم ، وعادينا من عاداهم وأقصينا مبغضيهم ، ومزقناهم كل ممزق ، وأمرنا بالدعاء لهم والرّضى عنهم على جميع منابر الإسلام . هذا شيء قليل ! فقال له نجم الدين : على كل حال بحياتى عليك لا تذكرها فى الذاكرين ، وأرحْنا من الصداع[٣] ، وبعدهذا فما أذكرها له[٤] ، وانتهى إليهما صلاح الدين فأخذاه وأوصلاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمراه[٥] بتقبيل || رجليه ففعل ذلك ، (فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم ٦) ، [ل ٤١] ومسح على رأسه ودعا له بالنصر والتأييد[٧] ، وأوصاه بالضعفاء والمظلومين ، ونزلوا على المشرعة العظمى[٨] ، وأقاموا عليها ساعة زمانية ، ثم انصرفوا إلى المقام المحمود .

وأقبلنا نحن نطلب الشريف النقيب[٩] ، إلى أن وجدناه قائماً[١٠] مع جماعة من (علماء اليونان ١١) ، يسألهم عن بطليموس الحكيم[١٢] ، هل صح[١٣] عنده أن (الكواكب المتحيرة ١٤) طبائع أم لا ، (وهل قام له الدليل والبرهان

---

(١) كان السياق يقتضى « لأولادك » إذا كان الخطاب موجها إلى العباس من نجم الدين أو أسد الدين ويبدو أن النص فيه سقط .

(-٢) هذه العبارة قلقة : والسور وأصحابه التسعة كذا بالأصل ولحق فى هامش الأصل لفظ « نم » قبل كلمة أصحابه ، ولعل الكلمة الأولى مصحفه عن « والمودة لأصحابه » .

(٣) ن فى ق . (٤) ن فى س .

(٥) س : وأمر له . (-٦) ن فى ق .

(٧) ن فى س .

(٨) العظمى ن فى س والمشرعة : مورد الشاربة .

(٩) ن فى ق . (١٠) ق ، ب : واقفا .

(-١١) ق ، ب : اليونانيين .

(١٢) بطليموس الحكيم : رياضى فلكى جغرافى ولد فى الصعيد ونشأ فى الإسكندرية فى القرن الثانى للميلاد وأشهر مؤلفاته « المجسطى »، « آثار البلاد » وله النظرية البطليموسية فى هيئة الأفلاك القائلة أن الأرض لا تتحرك وأن الفلك يدور حولها وقد فندها كوبرنك (دائرة معارف البستانى ٥ - ٤٨٤ ، المنجد ٧٨) .

(١٣) ق ، ب : يصح . (-١٤) ق ، ب : للكواكب السبعة طبائع .

على أطوال الكواكب وعروضها [١]) ، أم لا ؟ فلما رآنا قطع الكلام والتفت إلينا ، فسلمنا عليه وقلنا له : يا سيدنا نظام الدين عمى تتفضل علينا وتمشى معنا ساعة ، تشهد لنا عند أمير المؤمنين بالبراءة ، مما قذفنا به عنده[٢] من النصب والانحراف عن أولاد فاطمة عليهم[٣] السلام ، فقال : أنا والله فى هذا الوقت مشغول بنفسى ، وعلى أن شهادتى ما تنفعكم عنده لأنى رميت فى مجلسه بالفلسفة والعمل بأحكام النجوم ،وقد أضر بى ذلك عنده وذوى وجهه عنى . وأنا من ذلك (على خطر عظيم[٤])،(ثم انصرف عنا فبتمينا بعده حائرين[٥]) .

وبينا[٦] نحن كذلك ، وإذا أنا بالأعور البغدادى ، وقد[٧] جاء إلينا فقال[٨] : كيف رأيتم فعلى بكم (وضرباتى النافذة فيكم[٩]) . أنحستكم أم لا ؟ (لاتحقرونى وتطرحونى[١٠])،(ما أنا إلا منحوس كبير[١١]) ، (ثم أخذ[١٢]) يعتذر [ك٤٢] إلينا ويتنصل مما جناه[١٣] علينا ، ويقول : والله ما أردت بذلك الكلام[١٤] إلا أن تصفعوا[١٥] بالدلاء والتواسيم[١٦]، مثل ما[١٧] صُفِعتُ أنا لأنى علمت أنكم قد شمتم بى ، وكنتم (لما حل بى من الصفع تفرحون[١٨]) . فأما[١٩] إذ قد سلمتم من ذلك ، فأنا أدلكم على من يسقيكم الماء[٢٠] من هذا الحوض ،

(-١) ق ، ب : وهل قام الدليل على أن للكواكب أطوال وعروض أم لا .
(٢) ن ق ق ، ب . (٣) ق ، ب : عليها .
(-٤) ق ، ب : فى خطر كبير . (-٥) ن ق ق ، ب .
(٦) ق ، ب : فبينا . (٧) ق ، ب : قد .
(٨) ق ، ب : وقال (-٩) ن ق ق .
(-١٠) ق ، ب : أنتم تحقرونى وتطرحونى .
(-١١) ق ، ب:أنا منحوس كبير . (١٢) ق ، ب : وأخذ .
(١٣) ق : جرى . (١٤) ق ، ب : القول .
(١٥) س : يصفعونكم . (١٦) التواسيم : سبق التعريف .
(١٧) ق ، ب : كما .
(-١٨) ق ، ب : بذلك مسرورين . (١٩) ق ، ب : وأما .
(٢٠) ن ق س .

ولا يحوجكم إلى أى[1] شيء من هذا الصداع الطويل . اتبعونى أهدكم سبيل الرشاد ، فتمتنع أنت من ذلك وتقول :

إذا كان الغراب دليل قوم ‏ ‏ فلا يعدو بهم طرق الخراب

وتقول[2] : الموت بالعطش ، ولا اتباع هذا الأعور الملعون ، فقلت لك : بالله اتركنا من خنفتك ، فليس هذا وقت (صلف ولا أنفة ٣) ، أما سمعت قول الشاعر[4] :

لا تعجبن لخير[5] إن أتاك به ‏ ‏ فالكوكب النحس يسقى الأرض أحيانا

ومشينا معه مقدار أربعة[6] فراسخ ، وإذا بجمع عظيم يحتوى على (شيوخ وكهول وشبان٧) ، قد حف مجلسهم بالسكينة والوقار ، وجلالة الملك والسيادة :[8] تلوح على وجوههم . فسألنا عنهم فقيل هؤلاء السادة || والقادة [ل٤٣] من بنى عبد شمس[9] ، فدخل أبو القسم الأعور[10] حتى وقف بين يدى عظيمهم ، فقال : يا خال المؤمنين ، يا كاتب وحى رب العالمين ، نحن قوم من محبيكم ، وقد طردنا عن الحوض لأجلكم ، ونحن هالكون من شدة العطش بسببكم ، ولنا جماعة من ثقات شيعتكم يشهدون لنا . فقال : ماتحتاجون إلى شهادة ، أنتم عندنا من الصادقين ، فيقول يزيد ابنه : ومن بينتكم ؟ فقال له[11] : القاضى صدر الدين عبد الملك بن درباس[12] قاضى مصر يشهد لنا .

---

(١) ن فى ق ، ب .
(٢) ن فى ق ، ب .
(-٣) ق ، ب : الصلف والأنفة .
(٤) س : الآخر .
(٥) ق : بخير .
(٦) ق ، ب : أربع .
(-٧) ق ، ب : مشايخ وشبان وكهول .
(٨) ق ، ب : والرياسة .
(٩) بنى عبد شمس ابن عبد مناف وهو أخو هاشم بن عبد مناف الذى من ولده النبى صلى الله عليه وسلم .
(١٠) ق : قسيم الأعور : لم نجد له تعريفاً بالكتب التى بين أيدينا .
(١١) فى الأصل : لى .
(١٢) عبد الملك بن درباس : صدر الدين عبد الملك عيسى بن درباس الكردى الموصلى قاضى القضاة بالديار المصرية ولد ٥١٦هـ وتفقه بحلب على أبى الحسن المرادى توفى بمصر ٦٠٥هـ (حسن المحاضرة ١ - ١٧١) .

فقال يزيد : أحضروه فإن هذا القاضى الكُردى من عجائب الزمان ، (فيقول: ابعث معى رجلا من جلاوزتك[١] يساعدنى عليهم ، فبعث معه [٢] رجلا شامياً فصعد على نشز من الأرض (وأقبل الشامى[٣]) يصيح بأعلى صوته [٤]) : يا عبد الملك بن درباس الكردى قاضى قضاة مصر فى أيام الملك الناصر صلاح الدين [٥] ، فلم يجبه أحد فوقع ابن بدر إلى الأرض مغشياً عليه من شدة العطش [٦] فقعدنا عند رأسه وسألنا (بعض الحاضرين[٧]) : هل عندكم قطرة ماء نبل بها حلقه ؟ فقال[٨]: لاوالله ، لوتقدمتم قليلا ما احتجتم إلى هذا كله ، فقلنا له : كيف ذلك؟ فقال : لأن[٩] أم حبيبة زوج// النبي صلى الله عليه وسلم ، [ل ٤٤]
تبعث إلى أخيها معاوية [١٠] كل يوم خمس ثلجيات مزملات[١١]، (كل واحدة بقدر جبل الثلج[١٢]) ؛ فيها الماء الخاص من عين التسنيم[١٣]، يدفع (منها واحدة[١٤]) إلى عمرو بن العاص وذويه[١٥]، (والأخرى إلى سعيد بن العاص وذويه ، والأخرى

---

(١) جلاوزتك : جمع جلواز بمعنى الشرطى . (٢) الأصل : معى .

(-٣) فى الأصل : وأقبل على الشامى -واضح أن لفظ (على) زاد على الجملة وهو ن فى ق.

(٤) ب : « فقالا ألك بينه تشهد بما تقول فقال : نعم جماعة من شيعتكم ومحبيكم الأكراد قال : أحضرهم فقال : ابعث معى رجلا من جلاوزتك يساعدنى عليهم فبعث معه رجلا شاميا فتخلل الناس ونادى بأعلا صوته .

(٥) ن فى س . (٦) ق ، ب : الأوان .

(-٧) ن فى ق ، ب . (٨) ق ، ب : فقالوا .

(٩) ن فى س . (١٠) ن فى س .

(١١) ن فى س .

(-١٢) ق ، ب : كل ثلجية مثل جبل الثلج عشرين كرة .

(١٣) عين التسنيم : إسم عين فى الجنة . (-١٤) ق ، ب : واحدة منها .

(١٥) ن فى ق .

إلى إخوانه وذويه ، والأخرى إلى ابن زياد وذويه[١]) ، ويقتسم[٢] الواحدة فى آل بنى[٣] سفيان .

وما كان بأسرع من أن حضر القاضى فى جماعة من الأكراد (ومعه الفقيه عيسى راكب على نجيب من نور ، والبقية يمشون فى ركابه[٤]) فتقدموا إلى معاوية فسلموا عليه ، ثم التفتوا إلى ابنه يزيد فقالوا له[٥] : السلام عليك يا إمام العدل السلام عليك يا خليفة الله (فى الأرض[٦]) السلام عليك يا ابن عم رسول الله ، السلام عليك (يا أمير المؤمنين[٧]) ورحمة الله وبركاته . نفعنا الله بطاعتك ، وأدخلنا فى شفاعتك ، ورفع درجتك فى الجنة كما رفعها فى الدنيا ، فرد عليهم رداً حفياً[٨] وقال للقاضى صدر الدين[٩] : الحمد لله الذى جعل فى أصحابى وشيعتى من[١٠] يصلح أن يكون قاضى قضاة المسلمين . فقال له القاضى : (كل هذا[١١]) ببركة هذا (المولى الزاهد المجاهد ضياء الدين الفقيه عيسى ، الذى هو بحر المعروف ، // وغياث الملهوف ، حسنة للدولة [ل٤٥] وسعادة للأنام ، فقال معاوية : ليهنك يا فقيه لقد عرض لك اليوم من أفعال

(—١) ق : إلى زياد بن سفيان وذويه والأخرى إلى مراوان بن الحكم وذويه والأخرى إلى سعيد بن العاص وذويه .

سعيد بن العاص بن هشام بن أمية الأموى القرشى : صحابى من الأمراء الولاة الفاتحين ، ربى فى حجر عمر بن الخطاب وولاه عثمان الكوفة وهو شاب ، فلما بلغها خطب فى أهلها فنسبهم إلى الشقاق والخلاف ، فشكوه إلى عثمان فاستدعاه إلى المدينة فأقام فيها إلى أن كانت الثورة عليه فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان فخرج إلى مكة فأقام إلى أن ولى معاوية الخلافة فعهد إليه بولاية المدينة فتولاها إلى أن مات سنة ٥٩ هـ وهو فتح طبرستان واعتزل فتنة الجمل وصفين ، وكان ممن جمع السخاء والفصاحة وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان ، وكان قوياً فى تجبر وشدة (الأعلام ١ – ٣٧٠ ، ٣٧١ ، الاصابة ٢ – ٤٦) .

(٢) ق ، ب : ويقسم . (٣) ق : أبى

(—٤) ن فى ق . (٥) ن فى ق ، ب .

(—٦) ن فى س . (—٧) ق : ياسيدى .

(٨) ق ، ب : خفيا .

(٩) ن فى س : وربما كانت العبارة : وقال معاوية أو يزيد .

(١٠) فى الأصل « من أن » والصواب حذف أن .

(—١١) ق ، ب : كل ذلك .

الخير ما غبطك عليه النبيون والملائكة المقربون ، ولولا ما ظهر من تعصبك لأهل الشر ، لطرت مع الملائكة إلى سدرة المنتهى من أول ، فقال له : مثل من يا خال المؤمنين ، فقال : مثل هذا المكى الأسود الكادوم ، أخذت له داراً فى القصر وضيعة مُقورة ، وعشرة دنانير فى الشهر ، وليس يستحق من هذا كله رغيف شعير ، فقال : ولمَ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لأنه أبخل من ابن بنت الكلب ، لا يشبع بالخبز فى بيته ، ولا يأكل اللحم إلا فى بيوت الناس ، وليس فيه راحة لأحد ، وهو من كوادن المدارس ، له أربعون سنة يقرأ لا يحفظ مسألة من الفقه ولا آية من كتاب الله تعالى ، فقال الفقيه عيسى : صدقت والله يا أمير المؤمنين ، وأزيدك زيادة فقال : وما هى ؟ فقال : الرقاعة والحماقة ، ما له فيها نظير يلبس العمامة الكبيرة المعروفة بأشقع طرز ، ويركب بغلته الملقبة بقَيسارية الفراء ، ويمشى وبين يديه عشرة من // الغِلْمَان كلهم يتد اقطون من الجوع ، ويقول لهم : قال لى السلطانُ وقلتُ للسلطان والسلطان لا يستطيع أن يبصره فى المنام ، وأنا وحاشيتى على مثل رأى السلطان فيه ، ولكننى قد انتشبت معه فما له منى انفكاك[1]) . [ل٤٦]

فيقول[2] (يزيد بن معاوية للقاضى صدر الدين[3]) : أوصيك بأصحابك الأكراد خيراً ، فإنهم أولى بحسن تدبيرك من سائر الناس ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ما احتاج فيهم (إلى زيادة تأكيد[4]) ، هذا أنا قد وليت القضاء لجماعة منهم ، أنا أعرفهم لا[5] يعيشون إلا من (اللصوصية وسرقة الحمير والبقر[6]) ،

(-١) ن فى ق . (٢) ق : فقال له ، ب : فقال .

(-٣) ق ببركة الفقيه عيسى ضياء الدين – ربما يقصد الفقيه ضياء الدين عيسى المكارى وهو من أعيان أمراء عسكر صلاح الدين ومن قدماء الأسد وكان فقيهاً جنديا شجاعا كريما ذا عصبية ومروءة وتقدم عند صلاح الدين تقدما عظيما توفى بالخروبة سنة ٥٨٥هـ (تاريخ أبو الفداء ٤ – ١٠٢ الكامل لابن الأثير ٩ – ٢٠٥ ، طبقات الشافعية الكبرى ٤ – ٢٩٠) .

(-٤) ن فى ق ، ب . (٥) ق : ما

(-٦) ق ، ب : لصوصية البقر فى الليل وسرقة الحمير بالنهار .

ولم أفعل ذلك إلالأنى ألزمت(١) باستقضاء قوم (لا يصلحون أن يكونوا إلا فى البدود[٢]) والمواخير، مثل ابن أخى اليايا وأنظاره(٣)، فلما رأيت ذلك رجعت إلى ما قيل(٤) فى المثل «إذا كانت حولا بحولا ربة البيت أولى»(٥) وأنا استغفر الله من ذلك وأتوب إليه.

فقال(له يزيد[٦]) : تعرف هذا وأشار إلى أبى القاسم الأعور، فقال : نعم يا أمير المؤمنين أعرفه حوسا، فقال له(٧) : وما الحوس؟ فقال : الذى يعمل (النحس منه[٨])، (قال : فإنه يقول[٩]) : إنه كان يدعو لنا، // (ويترضى [ل٤٧] عن أسلافنا، ويؤذى من يؤذينا[١٠])، فقال : (نعم يا أمير المؤمنين[١١])، كان يفعل ذلك كله (للتكسب والمعيشة[١٢])، ولو أن اليهود جعلوا له على (سب النبى صلى الله عليه وسلم جعلا[١٣])، لبادر (إلى ذلك مسرعاً[١٤])، ولم يصده (عن ذلك[١٥]) تقى ولا دين، (فيأمر به فيشرد عن تلك الرحاب[١٦]) فقال يزيد : إذا كان الأمر على ذلك فيصفع صفعاً جيداً، ويطرد من هذه الرحاب، فما استتم الكلام حتى اختطفت الأعور الأكف من كل ناحية ومكان(١٧).

ثم قال يزيد للقاضى(١٨) : ما تقول فى هؤلاء الرجال(١٩)؟ فقال :

---

(١) س : الزم.
(-٢) البدود : البد : الصنم أو بيته وهو يشير إلى أنها كانت أماكن للهو.
(٣) ن فى ق. وكلمة اليايا لم نجد لها تعريفا. (٤) ق، ب : قولهم.
(٥) س، ق : «حولا بحولا ربة البيت أو لا».
(-٦) ن فى ق، ب.
(٧) ن فى ق، ب. (-٨) ق، ب : منه المناخيس.
(-٩) ق : فقال. (-١٠) ن فى ق، ب.
(-١١) ن فى ق، ب. (-١٢) ق، ب : تكسبا ومعيشة.
(-١٣) ق : جعلا على سب أحد الصلحاء، ب : جعلا على سب من أرادوا.
(-١٤) ق، ب : إليه. (-١٥) ق : عنه.
(-١٦) ن فى س، ب. (١٧) ن فى ق.
(١٨) ن فى ق. (١٩) ن فى ق، ب.

أما هذا فإنه(١) رجل(٢) عُليمى ، وهو(٣) فخذ من كلب بن وبرة(٤) ، من (٥) أخوال أمير المؤمنين . (وأما هذا فإنه دمشقى من عبيد أمير المؤمنين٦) ، وأما هذا فإنه رجل(٧) مغربى حضرت معه (فى دار الدنيا ٨) فى دعوة فيها جماعة من الأعيان فى دار ابن الشهرزورى فى الجوانية(٩) ، (وسمعته يترضى ١٠) عنك ويسأل (١١) الله أن يحشره معك ، فقال : (وجب حقهم علينا ، وسوف نفعل معهم كل جميل١٢) . ثم استدعى عبيد الله بن زياد (١٣) ، وقال له(١٤) : خذ معك ألف رجل من(السكاسك والسكون١٥) ، // واقصد المشرعة [ل٨٤] التى عليها الأشتر النخعى (١٦) والنخع (فى جماعة من طيء ١٧) والهمدانيين ،

---

(١) ق : فهو . (٢) ن فى س .

(٣) ق ، ب : وهم .

(٤) ن فى س . وكلب به وبرة : جد جاهلى من قضاعة وقبيلة كلب بن وبرة من أهم قبائل العرب فى سوريا فى عهد الهجرة نالوا المناصب فى الإدارة والبلاط والجيش فى عهد معاوية الأول (المنجد ٢ – ٤٤٠ ، الأعلام ٣ – ٨١٤) .

(٥) ن فى ق ، ب . (–٦) ن فى ق .

(٧) ن فى س ، ب . (–٨) ن فى ق ، ب .

(٩) ن فى ب : الجوانية : نسبة إلى بنى الجوانى العوانى من العلويين (معجم البلدان ٢ – ١٥٦

(–١٠) ق ، ب : وجرى حديثك فترضى .

(١١) ق ، ب : وسأل . (–١٢) ق ، ب : وجبت .

(١٣) عبيدالله بن زياد : هو عبدالله بن زياد . كان واليا على خراسان والبصرة وفى سنة ٦١هـ انتدب يزيد بن معاوية عبيد الله بن زياد لقتال الحسين وقاتله حتى ظفر به وقتله . وفى سنة ٦٦هـ قتل عبيد الله بن زياد على يد المختار الكذاب ، وفى رواية أخرى أنه قتل على يد إبراهيم بن الأشتر النخعى سنة ٦٧هـ (النجوم الزاهرة جـ١) .

(١٤) ن فى : ب ، ق .

(–١٥) السكاسك والسكون : هؤلاء بنو أشرس بن كنده من بطون السكون ، بنو على ، وبنو سعد ابنى أشرس بن شبيب بن السكون ، لهم بمصر عقب ولهم ثروة عظيمة بالشام (جمهرة أنساب العرب – سلسلة ذخائر العرب ٢ – ٤٢٩ ، ٤٣١) .

(١٦) ب : ابن حنيف ، الأشتر النخعى : مالك بن الحارث بن عبد غوث النخعى ، المعروف بالأشتر : أمير من كبار الشجعان ، شهد اليرموك فذهبت عينه وشهد الجمل وصفين مع على ، وولاه على مصر فقصدها فمات فى الطريق سنة ٣٧هـ وله شعر جيد ويعد من الشجعان الأجواد والعلماء الفصحاء (الإصابة ٣ – ٤٨٢ ، الأعلام ٣ – ٨٢٦) .

(–١٧) ن فى س .

واضربهم بالسيف حتى تزيلهم عنها ، وأورد هؤلاء الرجال حتى ينالوا بغيتهم من الماء وينصرفوا سالمين[1]. (وإن أتاك الأشتر النخعي فى نخعه مدداً للطائيين فانزل على المشرعة واثبت لهم حتى تتصل بك الجيوش[2]) ، فقال له معاوية : لا تبعث معهم[3] ابن زياد فإنه مما[4] يهيج القوم ، (ودماء بنى أبيك[5]) فى ثيابه وسيفه يقطر منها إلى الآن[6] ، ولكن (قدم عليهم ذا الكلاع[7]) الحميرى فربما[8] انتفعوا هنالك باليمانية[9] ، وكسرت عادية الشر وحدة[10] القتال . فما استتم القول[11] حتى استلم[12] القوم وتقدموا بين يديه[13] يرفلون فى الحديد (وهم جمرة لا تطاق[14]) لا يلوون على شيء[15]. فقلت لك[16] : إن[17] كانت وقعة صفين (فى الدنيا[18]) على دم عثمان (رضى الله عنه[19]) ، ووقعة صفين فى الآخرة حتى نشرب نحن سم الموت[20].

ويسمع النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فيخرجنا من الشفاعة فنقول : النبي صلى الله عليه وسلم أجل من هذا . وبعد أن نروى من الماء ما نبالى . (فرآنا أبو القاسم الأعور فقال : ها أنا رايح أهيج عليكم قبائل العراق[21]) ،

---

(١) ق ، ب : ريانين .

(-٢) ن فى س .

(٣) س : مع .

(٤) ن فى س .

(-٥) كذا ونرجح « أبيهم » .

(٦) ن فى ق .

(-٧) ن فى ق .

(٨) ق : ربما .

(٩) س : باليمامة .

(١٠) ق : وحد .

(١١) ق : الكلام .

(١٢) ق : استلام

(١٣) ق ، ب : أيدينا .

(-١٤) ن فى ق ، ب .

(١٥) ن فى س .

(١٦) لعلها لا تكون جوابا للجملة المقبلة .

(١٧) ن فى ق ، ب .

(-١٨) ن فى ق .

(-١٩) ن فى ق .

(٢٠) رواية س : سم الموت ونحمى صدر النبى صلى الله عليه وسلم ونحرم الشفاعة . فرآنا أبو القاسم . والروايتان لم يذكرا فى ب .

(-٢١) ق ، ب : ورآنا أبو القسم الأعور فعدا إلينا وقال : خلونى معكم وإلا أنحستكم وهيجت عليكم قبائل العرب فقلت لك : خذه معنا أى شئ علينا منه فقلت : والله لأصحبنه فى طريقه ولا اتركه يذوق قطرة فصاح علينا إلى أين ؟ .

يا بقر الشام يا شيعة الطاغوت ، يا عبيد الطلقاء ، هذا الأنزع(١) البطين بين أيديكم . إلى أين تذهبون ؟(وغاب عنا(٢) ، وصمدنا صمد النخع والهمدانيين(٣) فلم يشعروا بنا(٤) ونحن وسط الماء سابحين ، وطاروا إلى عددهم(٥) وجاءوا إلينا // مرعوبين ، فلما أبصروا بنى أبيهم فى كتيبة لاتطاق(٦) أمسكوا عنهم(٧) ، [ل ٤٩] وتراطنوا بالحميرية ساعة ثم اختلطوا ، فلم يقع بينهم خصام(٨) وأقبلنا نحن نشرب ونستريح ، وتقول (لى(٩) : أين أنت(١٠) من ماء عين الديباج ؟ كنت أشهى الساعة(١١) قطعة صابون رقّى (١٢)، وشيئاً(١٣) من (التراب المراغى(١٤) ، أغسل بها لحيتى فإنها قد اتسخت من العرق والغبار(١٥) ، فقلت لك : ما تحتاج إلى شىء من هذه الساعة تستريح منها فقلت لى : وكيف ذلك ؟ فقلت لك(١٦) : لأنك إن كنت من أهل السعادة فما تدخل الجنة إلا أجرد أمرد ، وإن كنت من أهل النار فالزبانية يعملون منها (الفتايل توقد ليلة الميلاد(١٧) ، فتيلة على باب الجحيم(١٨) .

---

(١) ق : الأقرع ، والأنزع : الذى انحسر الشعر عن جانبى جبهته والمراد على بن أبى طالب .

(-٢) ن فى س .

(٣) ق ، ب : اليمانيين .

(٤) ن فى س .

(٥) ق : عدوهم .

(٦) ق ، ب : لا ترام .

(٧) ن فى ق ، ب .

(٨) ق ، ب : قتال .

(٩) ق : إلى ، ب : أنت لى .

(-١٠) س : أنت أين هذا ، ب : أين هذا .

(١١) ن فى س .

(١٢) رقى : الرقة مدينة مشهورة على الفرات ، وهى البستان المقابل للتاج من دار الخلافة ببغداد (معجم البلدان ٤ - ٢٧٣) .

(١٣) ق ، ب : وقليل .

(-١٤) ق ، ب : تراب مراغى : هذه النسبة إلى مدينة مراغة المشهورة من بلاد أذربيجان (اللباب ٣ - ١١٩) .

(١٥) ق ، ب : الغبار و العرق .

(١٦) ن فى س .

(-١٧) ن فى س .

(١٨) ق ، ب : جهنم .

(فبينا نحن فى أطيب عيش وأهناه ، وإدا[1])بضجةعظيمة قد أقبلت[(2)] (وزعقات متتابعة وأصحابنا يهربون . فقلنا : مالكم ؟ فقيل[3]) على عليه السلام : قد أخذ الطرقات على الشاميين ، وجاءنا سرعان الخيل فيها محمد بن الحنفية[(4)] يزأر فى أوائلها مثل الليث[(5)] الهصور. فلما انتهى إلينا صاح بنا صيحة عظيمة هائلة ، (أخرجتنى من جميع ما كنت فيه ، فوقعت من على سريرى ، فانتبهت [ل ٥٠] من نومى // خائفاً مذعوراً[6]) ، ولذَّة ذلك[(7)] الماء فى فمى وطنينُ الصيحة فى أُذنى ورعب الوقعة فى قلبى إلى يوم ينفخ فى الصُّور .

(كيف يرى سيدنا هذا النفس الطويل والهـــذيان الذى أثاره التعتب والانتقام[8]) ؟ (وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وأصحابه ، وسلم تسليماً كثيراً[9]) .

(١-) س : ولم نشعر إلا .　　　(٢) ن ق س .

(٣-) ق ، ب : « وأصحابنا يتطايرون لايلوى أحد على أحد ، فطارت عقولنا وبقينا حائرين لا ندرى إلى أين نروح وقلنا ؟ ياقوم ما هذا ؟ فقالوا . . . »

(٤) محمد بن الحنفية ، سبقت ترجمته .

(٥) ق ، ب : الأسد .

(٦-) ق : وصمم إلى بالسنان ليطعننى فوثبت من سرير النوم فوقعت وانتبهت خائفامذعورا

ب : وصمم إلى بالسنان ليطعننى فوثبت بين يديه فوقعت من سرير النوم فانتبهت خائفا مذعورا .

(٧) ن ق ق .　　　(٨-) ن ق ق ، ب .

(٩-) ن ق س .

وله نسخة رقعة على لسان جامع دمشق[1]

(قال بعض العارفين بطريق الانتحال على لسان الحال[2]) ، لما تحكمت[3] يد الضياع فى مساجد الضياع ، وأرتج[4] باب العدل وغلق[5] ، ونبذ كتاب الله وحلق[6] ، فزعت المساجد[7] إلى جامع جلق[8] ، وهو يومئذ أميرها ، وعليه مدار أمورها ، فلما(اجتمعوا على[9] بابه ، ودخلوا[10] تحت قبته ومحرابه ، كتب له[11] جامع النيرب[12] قصة إليه[13] ، وسألوا[14] عرضها عليه ، وكانت[15] الرقعة[16] مسطورة ، على هذه الصورة :

المماليك مساجد الكورة[17] ، يقبلون الأرض[18] بين يدى الملك المعظم[19] ، البديع الرفيع المكرم ، كهف الدين جمال الإسلام والمسلمين ،(بيت الأنبياء والصالحين[20]) ، مدفن الأنبياء والمرسلين ، ملجأ الفقراء والمساكين ، مأوى

---

(١) مج : من ترسل الوهرانى التى كتبها على لسان الجامع ، ب: نسخة الرقعة التى رفعوها المساجد إلى جامع دمشق . قال الوهرانى . . .

(–٢) ز فى س . (٣) مج : حكمت .

(٤) مج : وأرتجع . (٥) مج : وأغلق .

(٦) مج ، ب : وخلق . (٧) مج : الجوامع .

(٨) جامع جلق : اسم لكورة الغوطة كلها وقيل بل هى دمشق نفسها وقيل جلق موضع بقرية من قرى دمشق (معجم البلدان ٣ – ١٢٦) .

(–٩) مج ، ب : دخلوا إلى . (١٠) مج : اجتمعوا .

(١١) س ، ب : لهم .

(١٢) جامع النيرب : عند قصر شمس الملوك بقرب السهمين بناه نصر الفراش فى النيرب سفل فى السهم عند بستان بن الشحاذة مقابل جسر ثورا (تاريخ ابن عساكر ١ – ٢٢٨) .

(١٣) مج : قصته . (١٤) مج ، ب : وتوصلوا إلى من .

(١٥) مج : فكانت . (١٦) ن فى س .

(١٧) مج : اللورة . (١٨) ساقطة فى مج .

(١٩) مج : العظيم . (–٢٠) ن فى س ، ب : بيت الأتقياء والصالحين .

[ل٥١] الغرباء والمقلين ، بيت الأتقياء والصالحين [١] ، || معبد الملبين [٢] (صاحب الدواوين ، بنْية أمير المؤمنين [٣]) ، (أيد الله أنصاره وأعلا مناره [٤]) ، وعمر بالتوحيد أقطاره ، وينهون إلى مجلسه السامى[٥] ما يقاسونه[٦] من جور العمال ، وتضييع الأعمال ، ونهب الوقوف ، وخراب الحيطان والسقوف ، قد ألفهم الظلم والظلام ، وأنكرهم المؤذن والإمام ، فلا تسمع لهم[٧] (حسيساً ، ولا ترى فيهم أنيساً [٨]) إلا أذان البوم وتسبيح الغيوم ، وقد[٩] ركعت حيطانها[١٠] ، وسجدت سقوفها وأركانها[١١] ، (وانصرفت من الصلاة أربابها . وسكانها ، تنوح عليهم الأجراس والنواقيس ، وترثى لهم البيع والنواويس[١٢]،[١٣]) .

(يرثى لـــه الشامت ممـــا به   ياويح من يرثى لـــه الشامت [١٤])

وقد فزعنا أيها الملك إلى بابك ، وأوينا إلى[١٥] جنابك ، فافعل معنا[١٦] ما هو أولى بك ، (ورأيك العالى فى ذلك[١٧])، والسلام . فلما وقف الملك[١٨]

(-١) ز ف س .   (٢) معبد الملتين .

(-٣) ز ف س ، ب : « صاحب الدولتين » ، بنية أمير المؤمنين .

(-٤) مج ، ب : أعلا الله مناره وأيد أنصاره .

(٥) مج ، ب : إليه .   (٦) مج : يقاسون .

(٧) مج : يسمع منهم ، ب : يسمع فيهم .

(-٨) ز ف س .

(٩) مج ، ب : قد .   (١٠) مج ، ب : أركانها .

(١١) مج ، ب : وحيطانها .

(-١٢) النواويس : مفردها ناووس صندوق من خشب أو نحوه يضع النصارى فيه جثة الميت أو مقبرة النصارى .

(-١٣) مج ، ب : تبكى عليها النواقيس وترثى لها البيع والكنائس .

(١٤) مج : « يا ويح من يرثى له الشامت » ، ب .
أرثى له الشـــامت ياويح من يرثى له الشامت .

(١٥) مج ، ب : تحت .

(١٦) مج ، ب : بنا .   (-١٧) ز ف س .

(١٨) ز ف س .

على هذه الشكاية[١] ، وعلم[٢] بمقتضى هــذه[٣] الحكاية[٤] ، استوى جالساً فى مقعده ، وضرب بيده[٥] ، وقال : كيف وأنى أم للإنسان ما تمنى ؟ ثم رفع صوته[٦] وغنى :

وما شرب العشاق إلا بقيــتى   ولا وردوا فى الحب إلا على وِرْدى

// ثم أشرف الملك[٧] من إيوانه بين جنــده[٨] وأعوانه ، (فاستقبلوه [ل٥٢] بالسلام والتحية والإكرام[٩]) . وأقبل[١٠] وهو يقلب طرفه فى الجموع ، ويكفكف أسراب الدموع ، لما يرى من اختلالهم ، وفساد أحوالهم[١١] ثم رد عليهم السلام ، وأذن لهم فى الكلام[١٢] ، فابتدأ[١٣] جامع المزة[١٤] المقال[١٥] ، وتقدم بين يدى الملك وقال : الحمد لله الذى قضى علينا بالخراب ، وصير أموالنا[١٦] كالسراب ، وجعلنا مأوى البوم والغراب ، أحمده حمد من كان فقيراً ثم استغنى ، وأدرك بمال الوقوف ما تمنى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة عالم عامل متحمل لثقل الأمانة حامل ، وأشهد أن محمداً عبده المكين[١٧] ، ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين[١٨] الأكرمين . أما بعد أيها الملك السعيد ، ثبت الله قواعد[١٩] أركانك ، وشيد ما وهى من بذيانك ، فإن الخراب قد استولى على المساجد ،

---

(١) مج ، ب : الحكاية .

(٢) مج ، ب : وفهم .

(٣) ز فى س .

(٤) مج ، ب : الكناية .

(٥) مج : وضرب بيده على يده .

(٦) مج ، ب : رأسه .

(٧) ز فى س .

(٨) مج ، ب : حفدته .

(-٩) ز فى س .

(١٠) ن فى س .

(١١) مج : حالهم .

(١٢) ز فى س .

(١٣) مج : فانتدب ، ب : فابتدر .

(١٤) جامع المزة : المزة قرية كبيرة غناء وسط بساتين دمشق بينها وبين دمشق نصف فرسخ ، ويقال لها مزة كلب (معجم البلدان ٨ – ٤٧) .

(١٥) مج : للمقال .

(١٦) مج : أعمالنا .

(١٧) ز فى س .

(١٨) ن فى س ، ب : الطاهرين الطيبين .

(١٩) مج : قوى .

حتى خلت من الراكع والساجد . فأصبحت مساجد(١) الغوطة غيطان(٢) ، لا سقوف لها ولا حيطان ، وجوامع(٣) حوران(٤) مخازن وأفران ، ومشاهد البقاع(٥) صفصفاً كالقاع(٦) ، // فكم بنية لعب الجور بأثوابها(٧) . فنسج(٨) [ل٥٣] العنكبوت على بابها ، وكم بيوت لله غلقت دون أصحابها ؟ فعشش الحمام (في محرابها٩) ، « فمن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها(١٠) » ، وقد دخل أيها الملك على الوقوف ، بحجة العمارة والسقوف ، (فاختلفت فينا١١)الأهواء ، (واتفقت علينا الأنواء١٢) ، فلا يزال المسجد ينهار ، وتأخذه السيول والتيار(١٣) والأنهار(١٤) ، حتى ينمحي(١٥) رسمه ، ولا يبقى منه إلا اسمه(١٦) ، وأنت أيها الملك عمادنا ، (وإليك بعدالله معادنا ، فاكشف عن حالنا ١٧) ، وأنظر في صـلاح (١٨) أحوالنا ، يصلح الله أحوالك ، ويسدد أقوالك وأفعالك ، والسـلام (١٩) . (أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولـكم ولسائر المسلمين ٢٠) . ثم جلس فقال الملك : (قد سمعنا كلام٢١) المساجد ، فما بال المشاهد ، فبرز مشهد برزه (٢٢) ، متوكأ على مشهد الأرزة(٢٣) ، وهو يصلصل ويصول ، ويلطم وجهه ويقول :

---

(١) مج ، ب : وأصبحت جوامع .

(٢) مج : عيان . (٣) مج ، ب : مساجد .

(٤) حوران : كورة واسعة من أعمال دمشق جهة القبلة ، ذات قرى كثيرة ومزارع (معجم البلدان ٣/٣٦٠) .

(٥) البقاع : جمع بقعة : موضع يقال له بقاع الكلب قريب من دمشق ، وهو أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق وبالبقاع هذه قبر إلياس عليه السلام (معجم البلدان ٢/٢٥٠) .

(٦) مج : ومشاهد البقاع صفصفا كالقاع ، جوامع حوران مخازن وأفران .

(٧) مج ، ب : بأربابها . (٨) مج ، ب : ونسج

(٩) مج : على بابها . (١٠) سورة البقرة آية ١١٤ .

(١١) مج ، ب : فاتفقت علينا . (١٢) مج : وأختلفت الأمطار والأنوار

(١٣) مج : والأمطار . (١٤) ز في س .

(١٥) مج : ينمحي . (١٦) مج : رسمه .

(١٧) مج ، ب : وعليك بعد الله أعتمادنا فالتفت إلى حالنا .

(١٨) مج : مصالح . (١٩) ن في س .

(٢٠-) ز في س . (٢١-) مج ، ب : هؤلاء .

(٢٢) مج : مسجد برزة : قرية من غوطة دمشق وهذا الإسم يطلق على عدة قرى (معجم البلدان ٢/١٢٤) .

(٢٣) مج ، ب : مسجد الأرزة : قرية كانت عامرة فخربت (التاريخ الكبير لابن عساكر ١/٢٢٧) .

كلما حاولت أشكو قصتى   لا ألاقى غير ذى قلب جريح
(يتشكى مثل شكوى محنى[١])   يا لقومى ما عليها مستريح

أما بعد أيها الملك السعيد أدام الله جمالك ، //وبلّغك فى عدوك[٢] آمالك ، [ل ٥٤] فإن مقام إبراهيم ، أصبح فى كل واد يهيم ، ومغارة الدم[٣] لا تستفيق من الدم ، ومشهد الكهف[٤] لا يفتر من اللهف ، (ومشهد هابيل ، قد رمى بطير أبابيل[٥]) ، ومشهد شيث[٦] ، قد استأصله الخبيث ، ومشهد نوح[٧] (نبكى عليه وننوح[٨]) ، (وقبر حلة ما لنا فيه حلة[٩]) ، وقبر إلياس[١٠] (قد وقع منه الياس[١١]) ، فلحقت[١٢] المشاهد بأربابها[١٣] ، وأمست رميماً كأصحابها ، قد محتها الغوادى ، وحدا بها الحادى .

(جرت الرياح على محل ديارهم   فكأنهم كانوا على ميعاد[١٤])

(فتنحنح الملك عجباً ، وحرك رأسه طرباً ، وقال[١٥]) :

(-١) مج : يشتكى لى مثل ما أشكو له ، ب : يتشكى مثل شكواى له .
(٢) مج ، ب : العدو .
(٣) مغارة الدم : بها مسجد كبير وقد كان للرهبان والنصارى فجعل مسجدا (التاريخ الكبير لابن عساكر ١ – ٢٢٧) .
(٤) مج ، ب : مسجد الكهف فى الجبل يعرف بمغاير شداد وقيل إن الكهف والرقيم قرب عمان ، وذكروا أن عمان هى مدينة دقيانوس (تاريخ ابن عساكر ١ – ٢٢٨ ، معجم البلدان ٤ – ٢٧٤) .
(-٥) ز فى س .
(٦) مج ، ب : وقبر شيث : فى قرية بنى شيث تبعد نحو ١٥ كم شرقى زحلة (البقاع)
(٧) مج ، ب : وقبر نوح : فى قرية كرك نوح شرقى زحلة وبجوارها .
(-٨) مج ، ب : يبكى وينوح .
(-٩) ن فى س ، ب : وقبر جيلة ما لنا فيه حيلة .
(١٠) قبر إلياس : فى قرية قب لياس جنوبى غربى شتورة .
(-١١) مج ، ب : تعوضنا عنه باليأس .
(١٢) مج : واصبحت ، ب : وأمست .
(١٣) مج ، ب : كاربابها .
(-١٤) مج ، ب : جرت الديار على رسوم محلهم .·. فكأنما كانوا على ميعاد
(-١٥) مج ، ب : فقال الملك .

رب طارق على[١] غير وعـد وفى كـل واد بنو سـعد

ثم استفتح المقال ، بأن قال : الحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه ، (نصّب العدل وسواه ، وأمدّه[٢ـ]) بعونه وقوّاه ، فمن أضل ممن اتبع هواه ، (فأهواه بسلبه وأضله الله على علم، وختم على سمعه وقلبه[٣]) ، أحمده على ما رزقنى من الاحتمال[٤] ، وأشكره على ذهاب العرض والجاه والمال ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، (رب العالمين[٥]) (وحده ، لا شريك له ، شهادة من أعطى الأمانة حقها ، وكان أهلها ومستحقها[٦]) ،(وأشهد أن محمداً عبده المختار ، ورسوله الصادق البار ، // صلى الله عليه وعلى آله الأبرار[٧]) . أما بعد [ل ٥٥] يا معشر المتكلمين ، وطائفة المساجد المتظلمين ، إنه[٨] والله (لا ينتهى إليكم[٩]) من الجور إلا ما يفضل عنى ،(ولا يصل إليكم[١٠]) إلا ما يستعار[١١] منى ، فلولا[١٢] أن أركانى سليمة ، وبنيتى قديمة ، لأصبح جامع بنى أمية يغنى (عليه : يا دارمية[١٣]) ، وقد والله[١٤] شرقت بغصتكم ، وحرت فى قصتكم ، إن رفعت أمركم إلى الملك[١٥] العادل ، ردكم إلى الشيخ الغافل[١٦] ، فلا يراعى[١٧] لكم حرمة ، (ولا يكشف لكم غمة[١٨]) ، ولا يرقب[١٩] فيكم إلاً ولا ذمة .

---

(١) مج : من .　　(٢) مج : وأمد .

(ـ٣) ن فى س ، ب : وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله .　　(٤) مج : الأحمال .

(ـ٥) ن فى س ، ب .　　(ـ٦) ز فى س .

(ـ٧) مج ، ب : وأشهد أن محمداً سيد الأولين والآخرين رسول الله .

(٨) مج ، ب : فإنه .　　(ـ٩) مج: لا يصلكم ، ب : ما يصل إليكم .

(ـ١٠) مج : ولا ينتهى ، ب : ولا ينتهى إليكم .

(١١) مج : يستفاد .　　(١٢) مج : ولا أن ، ب : ولولا .

(ـ١٣) مج : على بأوازفيه : يغنى عليه يا دارمية ، ويقصد أنه أصبح كالأطلال .

(١٤) ز فى س .　　(١٥) مج : للملك .

(١٦) س : العالم العادل ، ب العالم العامل : هو نور الدين محمود زنكى .

(١٧) مج ، ب : يرعى .　　(ـ١٨) ز فى س .

(١٩) مج ، ب : يراقب .

شكوى الجريح إلى الغربان[١] والرخم

والرأى عندى أن تكتبوا إلى الشيخ[٢] قصة ، ولا تتركوا فى صدوركم غصة ، وأن تجعـــلوا[٣] فى الكتاب ، أنواعاً[٤] من العتاب ، فإن التأم رأيه برأيكم[٥] ، إلا فالسلطان من ورائكم ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

فنادوا بالغلام ، (فأتى بالدواة [٦]) والأقلام ، فقال : استعذ بالله من الشيطان الرجيم ، واكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من ملك الجوامع بجيرون[٧] إلى سعد بن أبى عصرون[٨] :

(لقـــد أسمعت لو ناديت حيـــا ولـكن لا حياة لمن تنادى[٩])

أما بعد (يا غدار لقد[١٠]) هيجت الألم ، وأبهمت الظلم ، ومن استرعى [ل٥٦] (الذئب فقد ظلم[١١]) ، (طالما تغافلنا//عن خيانتك ، وتغاضينا عن جنايتك[١٢]) ، حتى اكتنزت[١٣] الأموال واختزلتها[١٤] ، وجمعت الذخائر واعتزلتها ، من[١٥] أجل هذا كانت سياحتك ، ولأجله[١٦] طالت نياحتك ، وبسببه[١٧] كنت تسيح وتصيح ، حتى غبطك المسيح ، لقد عجبت أيها الشيخ من محالك[١٨] فى ابتداء حالك ، (ومن فساد أمرك عند آخر عمرك[١٩]) ، (ومن فساد دينك ،

---

(١) مج : العقبان . (٢) مج ، ب : للشيخ .

(٣) س : ويجعل . (٤) س : أنواع .

(٥) مج : ورأيكم . (-٦) مج : ليحضر الدواة .

(٧) جيرون : من أبواب الجامع بدمشق وهو بابه الشرقى وتطلق جـيرون على دمشق (النجوم الزاهرة ٦ – ٣٠٢ – الكنز المدفون س ٤٠) .

(٨) مج : سعد بن عصرون ، ب : سعد بن أبى عصرون وسبقت ترجمته .

(-٩) ن فى س . (-١٠) مج : فقد ، س : ياغدر لقد .

(-١١) مج : وظلم .

(-١٢) مج ، ب : طالما تغاضينا عن جنايتك وتغافلنا عن خيانتك .

(١٣) مج : أكثرت . (١٤) مج ، ب : وادخرتها .

(١٥) مج : ومن ، ب : أمن . (١٦) مج ، ب : وبسببه .

(١٧) مج ، ب : ولأجله . (١٨) مج : حالك .

(-١٩) ن فى س .

وضعف يقينك[١] ، صليت بالمسوح[٢] والقيد ، حتى ظفرت بأنواع[٣] الصيد ، وتقلدت بالقرون والعظام حتى تقلدت الأمور[٤] العظام أن[٥] كنت فى هذا العمل[٦] إلا كما قيل فى المثل :

صلى وصام لأمر كان يأمله[٧] حتى حواه فما صلى ولا صاما

وعرفنى[٨] أيها الشيخ المفتون ،والبائع المغبون لم بعت (الآخرة بالدانية ، والباقية بالفانية[٩]) ؟. إن فعلت هذا[١٠] إلا لعلّة أو لتحقيق ملة ،إما أن تكون قد استطبت السكباج[١١]،(واستلنت الديباج[١٢])،وإما أن[١٣] نصدّق أهل الأحقاد فى[١٤] أنك نصيرى[١٥] فى الاعتقاد ، لا تقول بالنجعة[١٦] ولا تصدق بالرجعة ، وكلاهما أنت فيه ملوم ومعاقب ومذموم ، وحسبك وقد[١٧] بلغنى[١٨] عنك ما أنت عليه من قلة الوفاء لهؤلاء[١٩] الضعفاء ، (فاحسم عنى // أدواءهم[٢٠]) ، ولا تمكن منهم أعداءهم والسلام . [ل ٥٧]

(فلما وصل الكتاب[٢١]) إليه ،(وقرأ ما قد انطوى[٢٢])عليه فكر وقدر فقتل كيف قدر ، ثم نظر ثم عبس ثم أدبر واستكبر ، ثم لعن[٢٣] المساجد وبانيها وشتم[٢٤] المشاهد وقانيها ، ثم قلب[٢٥] الرقعة وكتب فيها :

---

(١) ز فى س .
(٢) س : أصليت بالمسوح : المسح الكساء من شعر ، ثوب الراهب .
(٣) ز فى س . (٤) مج : بالذنوب .
(٥) مج : وإن . (٦) ز فى س .
(٧) مج : يطلبه . (٨) مج ، ب : تعرفنى .
(-٩) مج ، ب : الفانية بالباقية والقاصية بالدانية .
(١٠) مج ، ب : ذلك .
(١١) السكباج : مرق يعمل من اللحم والخل معرب سكبا (الألفاظ الفارسية المعربة ٩٢)
(-١٢) ز فى س . (١٣) ز فى س .
(١٤) ز فى س . (١٥) نصيرى : نسبة إلى طائفة دينية .
(١٦) مج : بالجمعة . (١٧) ن فى س ، ب .
(١٨) ن فى س ، ب . (١٩) مج ، ب : مع هؤلاء .
(-٢٠) مج ، ب : فاحسم عنهم إذاءهم . (-٢١) مج : وصلت الرقعة .
(-٢٢) مج : وفكر فيما انطوت . (٢٣) مج ، ب ، : وشتم .
(٢٤) مج ، ق : ولعن . (٢٥) مج ، ب : وقلب .

بسم الله الرحمن الرحيم[١] وصلت رقعتك أصلحك الله كأنها ضربة موتور، أو نفثة[٢] مصدور، وتخلط[٣] فيها الهزل بالجد، وتبدى غيظ الأسير على القد وأيم الله لقد قرفت سريا[٤] وقذفت بريا[٥] وجئت شيئاً[٦] فريا، فاشدد من عقالك، وتأيد فى مقالك فما كل شكل[٧] يذم شكله، ولا كل طائر يحل[٨] أكله، (وما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء فحمة[٩]) ولو كان لك عقل يهديك (أو رأى يهديك[١٠]) لواريت أوارك، ولسترت[١١] عوارك. أليس قد اشتهر عند الدانى والقاصى بأنك قطب (ما يتم فيك من[١٢]) من المعاصى؟ حتى لقبوك بسوق الفسوق، وميدان المروق ورحاب القحاب حتى قال فيك القائل[١٣]:

تجنب دمشق (فلا تأتها[١٤]) وإن راقك[١٥] الجامع الجامعُ

// فَسُوقُ الفُسُوقِ به قائمٌ وفجرُ الفجور به طالعُ [ل ٥٨]

فلا[١٦] جرم أن الله قطعك بالطريق، وعاقبك بالحريق وجعل الميض على أبوابك والزط فى قبلة محرابك (وعذبك بالنيران وقرنك بأشر الجيران، وجعل خطيبك أتوهاً دائصاً وإمامك أعمى ناقصاً[١٧]). فلو أنك[١٨] البيت المعمور لهجرت أو حرم[١٩] مكة لما حججت. فقف[٢٠] عند مقدارك، وانظر فى إيرادك وإصدارك والسلام.

فلمـا وقف الجامع على رقعته، ورأى ما[٢١] فيها من رقاعته

---

(١) ز فى س.

(٢) مج: ونفثه.

(٣) مج، ب: تخلط.

(٤) مج، ب: بريا.

(٥) مج، ب: سريا.

(٦) ز فى س.

(٧) ب: شخص.

(٨) مج: يجوز.

(-٩) ز فى س.

(-١٠) ز فى س.

(١١) مج: وسترت.

(-١٢) ز فى س، ب: المعاصى.

(١٣) مج، ب: الشاعر.

(-١٤) مج: ولافاتها، ب: ولاتأتها.

(١٥) مج: شاقك.

(١٦) مج، ب: لا.

(-١٧) ز فى س، ب: العبارة بعد الشعر هكذا «لاجرم أن الله قطعك بالطريق، وعاقبك بالحريق، وعذبك بالنيران، وقرنك بشر الجيران، وجعل الميض على أبوابك، والزط فى قبلة محرابك وجعل خطيبك أتوها دنصا وإمامك أعمى ناقصا».

(١٨) مج: كنت.

(١٩) مج، ب: بيت

(٢٠) مج، ب: فتوقف.

(٢١) ن فى مج.

قام وقعد وأبرق وأرعد وقال : اكتب يا غلام باسم الملك العلام . من العاتب[1] الواجد إلى الملك الزاهد قال الحائط للوتد لم تشقنى ؟ قال : سل من يدقنى لم يتركنى (وراثى الحجر الذى من ورائى[2]) . أما بعد أيها الملك العادل أدام الله أيامك ونشر فى الخافقين أعلامك ،(فقد طاولت بعدلك القمرين ، وسرت سيرة العمرين[3] وأنت تعلم[4]) (أن الله قد طهر بقعتى وكرمها ،وشرف بنيتى وحرمها[5]) . طالما زوحمت بالمناكب لما كنت هيكلا للكواكب ، // (وكم أمسيت[6]) مشكاة للأنوار وبيتاً (لاستقص النار[7]) ، ثم انتقلت إلى [ل٥٩] اليهود بعد انقراض ملة هود ، فتأنست[8] بالزبور وبالأنبياء فى القبور ، ثم جاءت دولة[9] الصلبان فقربت بالقربان ومعاشرة الرهبان ، ثم جاء الإسلام فتشرفت بدين محمد عليه أفضل[10] السلام ،(فأنا المشرَّفُ فى كل قرآن والمعظم فى كل أوان[11]) ، فكيف يسعك (أيدك الله[12]) (أيها الملك[13]) التغافل عن حالى (والتحين لنهب[14]) أموالى ويدك (مبسوطة فى العباد[15]) ، (ومطلقة فى جميع البلاد . ما يكون[16]) جوابك يوم النشور إذا بعثر ما فى القبور وقد أوقفتك[17] موقف الذليل بين يدى الملك الجليل ؟ (وأقول : أى رب سل هذا لم أهملنى وسلمنى لمن أكلنى ! فلا ترد يومئذ جواباً ولا تجد

---

(١) مج : الغائب (٢) مج ، ب : والحجر ورائى .
(٣) العمرين : يريد أبا بكر وعمر رضى الله عنهما .
(-٤) ز فى س .
(-٥) مج ، ب : فان الله شرف بنيتى وحرمها وطهر بقعتى وحرمها .
(-٦) مج : ولما أصبحت . (-٧) مج : لاسطرمن النار ، ب : لعبدة النار
(٨) مج : فتأيست (٩) ن فى س
(١٠) ن فى س
(-١١) مج : فأنا المعظم فى كل زمان والمقدم فى كل قرآن .
(-١٢) ن فى س (-١٣) ز فى س
(-١٤) س : والتحين فى نهب (-١٥) مج ، ب : مبذولة فى البلاد
(-١٦) مج ، ب : وتتحكم فى رقاب العباد وأى شىء يكون .
(١٧) مج : وقفت

خطاباً[1] ، ولا أقبل[2] منك جميلا ولا كفيلا ، ولا أقبل عنك شفيعاً ولا وكيلا[3] فتقول[4] :« يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتى[5] ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلا ، لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولا » . فقدم أيها الملك السعيد لنفسك ماتجده غداً فى رمسك وخذ هذا المذكور فى الحساب[6] قبل يوم الحساب فتبرأ[7] من التباعة وتدخل فى أهل// الشفاعة . والسلام على من حمَى[8] مساجدَ الإسلام ورحمة الله وبركاته[9]. [ل ٦٠]

فلما (وقف الملك العادل[10]) على كتابه ، وتجرع كأس عتابه (التفت إلى المساجد فرثى لهم وسدد أحوالهم[11]) ([ولما] علم فحوى شكيتهم ، وعرف كنه قضيتهم أزال عنهم ظلمهم[12]) ، « وأسرَّها يوسف فى نفسه ، ولم يبدها لهم » ثم نظر إلى ابن أبى عصرون[13] فأنزله واعتزله وحجبه عن بابه واختزله ، وألقاه فى سجن الصدود ، وخلده فيه إلى يوم الخلود ، وقرأ عليه ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود ، والسلام[14] .

(1-) ن فى س .

(2) مج ، ب : ولاأخذ .

(3) ن فى س .

(4) مج : وتقول ، ب فيقول .

(5) ساقطة فى س .

(6) مج ، ب : بالحساب .

(7) مج ، ب : تبدأ .

(8) مج ، ب : عمر .

(9) ن فى س .

(10-) مج ، ب : نورالدين .

(11-) ن فى س .

(12-) ز فى س .

(13) مج : عصرون ، ب : ابن عصرون .

(14) ب : والسلام .

(وكتب إلى القاضى الفاضل

عبد الرحيم بن على البيسانى رحمه الله[١])

ينهى إلى مجلس سيدنا القاضى الأجل الفاضل أدام الله ظله[٢] ، وكبت (كل عدوٍّ له[٣]) أنه وصل من الشام فى هذه القافلة رجل متأدب من ظراف المعلمين المتأدبين[٤] (ممتدحاً لرجال الدولة[٥]) بأشعار تميل إلى الركة والفتور ، فأنشد الخادم بعضها واستشاره فى نشرها فقال له : الدين النصيحة والمستشار مؤتمن . وعرَّفه أن جيد الشعر كاسد ، والردىء منه يردى بقائله ، ولا يحصل منه إلا على الحرمان بعد التعب الشديد ، فأمسك الرجل عن القول وأحجم عن الإقدام ، فاحتقنت فى جسمه تلك// الفضلات التى أراد أن يقذفها فى سبال [ل٦١] الممدوحين ، فأصابه منها داء يقال له إيلاوس وهو القولنج المستعاذ منه . فأشرف على الهلاك ، فعاتب الخادم على نصيحته وهو فى السياق وقال : أنت صرفتنى عن إخراج هذه الأدواء[٦] من القوة إلى الفعل حتى وقعت فى هذا[٧] الداء العضال وأنشد[٨] :

لو لم يكن فى شربها فرج إلا التخلص من يد الهم

(١-) ق : وكتب إلى القاضى الأجل أدام الله نعمته : وهوعبدالرحيم بن على بن السعيد اللخمى المعروف بالقاضى الفاضل لم يكن فى زمانه أحسن كتابة منه ، ولد بعسقلان بفلسطين وانتقل إلى الإسكندرية ثم إلى القاهرة وتوفى بها ٥٩٦ هـ ودفن بظاهر مصر بالقرافة وكان رحمه الله ديناً كثير الصدقة والعبادة وله وقوف كثيرة على الصدقة وفك الأسارى وكان من وزراء صلاح الدين الأيوبى (الكامل فى التاريخ ٩ – ١٥١ ، طبقات الشافعية الكبرى ج٤ ، الأعلام ٢ – ٥١٦) .

(٢) ق : نعمته ، ب : علوه .

(٣-) ق ، ب : عدوه .

(٤) ز فى ق .

(٥-) ن فى س .

(٦) ق ، ب : الفضلات .

(٧) ن فى ق .

(٨) ز فى س .

وتعصبت[١] له جماعة من المتأدبين فأنزاوه عند أنحلهم ، وأكثروا عليه فى إلزامه بالحمية[٢] فقال : مثلى لا ينبه على هذه المكرمة وليس عندى من أدوية العلل سواها . أنا أحميه بنار الجوع حتى يطير[٣] شرار الداء من أطرافه ، وأحميه ولو أنه حصن[٤] خراب على باب عسقلان[٥]، وأحميه[٦] من كل ما يدخل إلى صدره غير الهموم والأحزان . لكننى[٧] أونسه بشعر أبى نواس ، وانبذّه بأنباء المتنبي ، وأعلق عليه التمائم من شعر[٨] أبى تمام ، وأعلله بالشعر على ماء الشعير ، وبفقـه ابن الحلاب[٩] عن شراب الجلاّب[١٠] ، وبالأقلام والدواة عن شرب الدواء ؛ وإن ذكر السكنجبين[١١] سكنت جبينه بالقدم ، // وأريه الشراب مثل السراب ، وإن طلب الخبز خبزت فى رأسه ، [ل ٦٢] وإن استسقى[١٢] الماء أنزلت الماء الأصفر فى عينيه ، وإن ذكر اللحم أطعمته لحم كفيه ، ولا أفرج عنه بالفروج ولو سقطت قواه ، وبالجملة فلا يعض عندى على شىء إلا على أنامله من الندم ، ولا يتجرع فى بيتى إلا غصص الموت . فشكرته الجماعة على هذا الإنعام . فصاح المسكين بأعلى صوته : أنا بالله وبمنكر ونكير . أنا عبد لمالك خازن الجحيم يا قوم : ارمونى على المزابل وادفنونى بالحياة ولا تتركونى عند هذا الكافر اللئيم ، فقال له صاحبه وهو يحاوره : ويحك ياسخيف العقل أحسبتنى أطبخ لك السكباج[١٣] ، وأفرش لك الديباج ،

---

(١) ق ، ب : وتمصب . (٢) ق : الحمية .

(٣) س : تطير . (٤) ق : حضر .

(٥) باب عسقلان : عسقلان : مدينة واقعة على ساحل فلسطين جنوبا (معجم البلدان ٦ – ١٧٤ – المنجد : قاموس الأعلام ص ٣٥٠) .

(٦) ز فى ق . (٧) ق ، ب : لكنى .

(٨) س ، ب : ديوان . (٩) ق : من الجلاب .

(١٠) الجلاب : بذر نبات وله عدة أسماء فارسية ويسمى أيضا كحل السودان (معجم أسماء النبات ص ٤٢) .

(١١) السكنجبين : معرب عن سركا انجبين الفارسى ومعناه خل وعسل شراب مشهور (تذكرة أولى الألباب ٢ – ١٨) . (١٢) ق : استسقاه .

(١٣) السكباج : مرق يعمل من اللحم والخل معرب سكبا (الألفاظ الفارسية المعربة ص ٩٢)

وأطعمك اللحم(١) السمين ، وألقمك باليمين وأقد لك فى التور(٢) وأعلفك مثل الثور ، إن تخيلت هذا فأنت إلى مكاوى البيطار(٣) أحوج منك إلى نقوع العطار ، فقال له : يا هذا فما بين هذين المنزلتين مرقة فروج أمسك بها رمقى ؟ فقال له : لو أكل كل يوم ناقة ما أشبعه ذلك . الزم الحمية فإنها من الحمية ، واعلم أن الطبيب لا يداويك بشعر حبيب ، ولا يأخذ// [ل٦٣] منك فى العقار الطيب مذهبات شعر(٤) أبى الطيب ، ولو(٥) أنك المعرى عراك(٦) من ثيابك ، وزهد فى ثوابك ، ولا يعطيك المعجون بالمجون ولا الشراب بالضراب ولا المحمودة(٧) بالحمد ولا السكر بالشكر ، ولا يأخذ فى هذه العروض مستفعلات العروض ، ولا يسهل لك مجالس النجو بمعرفتك(٨) بالنحو والهجو ، فلو أن الحرارة الغريزية أملك تؤمل أن تورثك(٩) قوى الاستقصات الأربع لما أمهلتك أكثر من أسبوع اللهم إلا أن تتعلق بالفاضل من أذيال القاضى الفاضل ، وتسأله أن يزكيك عند أصحاب الزكاة ليعود عليك من بركاته ويسعدك بحركاته ؛ فربما توقف أمرك وطال بسعادته عمرك والسلام(١٠)

---

(١) ق : وأطعمك من السمين ، ب : وأطعمك بالسمين .

(٢) إناء يشرب فيه والجمع أتوار . (٣) البيطار : الحداد .

(٤) ز فى ق . (٥) ق : فلو . (٦) ق : عزاك .

(٧) المحمودة : هى السقمونيا وهى عبارة عن لبن ينوعات مخصوصة تنبت بالأحجار والجبال أصلا واحدا يتفرع عنه قضبان كثيرة تطول نحو ثلاثة أذرع تمتد وقد تقوم لها ورق كاللبلاب لكنه أدق وزهر أجوف مستدير أبيض ثقيل الرائحة وعلى القضبان رطوبة ريفية وأصلها يقارب الجزر (تذكرة أولى الألباب ٢ - ١٤) .

(٨) ق : لمعرفتك . (٩) ق : تربك ، ب : ترثك .

(١٠) ز فى س .

وكتب إلى الأمير نجم الدين بن مصال

كتب هذه الأحرف عبد مولاى المُفْضِل الأمير[١] نجم الدين علَمَ المسلمين أطال الله بقاه ، وجعله من كل سوء فداه[٢] ، وفى مرابط[٣] صدره من خيول الشوق جواد لو ركبه ضحوة من باب النصر[٤] لقاتل[٥] معه الحلبيين قبل// العصر. [ل ٦٤] فلا والله ما شوق رجل من أبناء الملوك طلعته كالشمس عند الدلوك[٦] له نضرة نعيم ، وهو بالرئاسة زعيم ، لبس الخز والأرجوان ، ونشأ[٧] فى حارة برجوان[٨] بحيث يناله من القصر بهجة أنواره ، ومن الكافورى نسيم أنواره ، ويضيق[٩] مربطه بالهماليج[١٠] ، ويزهو مطبخه بالأباليج[١١] لا يعرف طعم البوس، ولا يدرى ما خشونة الملبوس ، يرتاض فى طرف النهار، على شطوط الأنهار ، وينام فى الليل مع الحور بين الترائب والنحور ، وينصرف عند المقيل إلى العارض الصقيل[١٢] فى طلح منضود ،(وظل من السعادة ممدود[١٣]) ، وفاكهة وكوب[١٤] وماء مسكوب ، فعبر بهذه الأحوال مدة من الأحوال إلى أن صرف إليه الدهر[١٥] عنانه ، وصوب إلى صدره سنانه ، فحذفه بيده

---

(١) ق ، ب : الأمين . (٢) ق ، ب : وقاه .

(٣) ق ، ب : مربط .

(٤) باب النصر : كان قريبا من باب القوس وكان به جبانة القاهرة (النجوم الزاهرة ٤ — ٣٨) . (٥) ق : قاتل ، ب : لقابل .

(٦) الدلوك : وقت الغروب . (٧) ق : وترب ، ب : وربى .

(٨) حارة برجوان : منسوبة إلى الخادم برجوان من جملة خدام القصر فى أيام العزيز بالله نزار العبيدى الفاطمى ثم كان برجوان هذا مدبر مملكة الحاكم بأمر الله وحارة برجوان كانت فى المنطقة التى يتوسطها اليوم شارع برجوان وما يتفرع منها من العطف والأزقة بقسم الجمالية (النجوم الزاهرة ٤ — ٤٨) . (٩) ق : وتضيق ، ب : فيضيق .

(١٠) الهماليج : مفرده هملاج تعريب همله أى البرذون (الألفاظ الفارسية المعربة ١٥٨)

(١١) الأباليج : نوع من الأطعمة . (١٢) ق ، ب : الهيطل .

(-١٣) ق ، ب : فى ظل ممدود وطلح منضود .

(١٤) ن فى ق . (١٥) ق : الدهر إليه .

الشمال ، وألقاه إلى العدو فى بلد الشمال ، بحيث لا يعرف قراراً ، ولا يذوق النوم إلا غراراً ، ولا ينزع[١] له ساق عن قدم ، ولا يشرب الماء إلا بدم .

يقارع أتراك بن خاقان[٢] ليـــله ... إلى أن يرى الإصـــباح لا يتلعثم
فيصبح من طول الجـــلاد مُختبَّلا ... وكان قـــديماً دائماً يتنعـــم

[ل ٦٥ د] // فعوضه[٣] الدهر عن لباس المعتق الحديد بلباس ثوب[٤] الحديد ، وعن عمائم اللاذ[٥] بطراطير الفولاذ ، وعن أكل الفراريج والدراريج[٦] بلحوم الحراذين والبراذين ، وعن شم الرياحين الطرية إذا وافت ، بروائح المنزلة إذا جافت ، وعن سماع الطيور الأنيقات بفقع أصوات المنجنيقات ، وعن تقليب متاع البزاز بالتقلب تحت قلعة أعزاز[٧] وعن معاملة تجار الدكاكين بمعاركة أصحاب السكاكين ؛ يظل نهاره غرضاً[٨] للهام وللجيش اللهام ، وإذا غفا سلت عليه سيوفها الأحلام

فضج من عمل البيكار[٩] وانقطع إلى الوساوس والأفكار :

يلقى الرماح بصـــدره وبنحـــره ... ويقـــيم هامتـــه مقام المِغْفَـــر
ويقول للطرف اصطبر لشبا الظبى ... فعقرت ركن الدين إن لم تعقـــر[١٠]

فذكر يوماً منزله وداراً وهو فى أعمال[١١] مدينة دارا[١٢] ، وحن إلى تلك الصفف والمجالس وهو قريب من مدينة بالس[١٣] ، وتصوَّر الطبقة[١٤]

---

(١) س : برح . (٢) خاقان : يطلق لفظ خاقان على ملوك الترك .
(٣) ق : عوضه . (٤) ن فى ق .
(٥) اللاذ : اللاذة ثوب حرير أحمر فارسية لاذ (الألفاظ الفارسية المعربة ص ١٤٢) .
(٦) الدراريج : الدراج طائر جميل المنظر ملون الريش لذيذ اللحم تعريب براج ومنه التركى طوارج (الألفاظ الفارسية المعربة ص ٦١) .
(٧) قلعة أعزاز : بالقرب من حلب ، وبها مرج دابق وهو مرج معشب نزه (معجم البلدان ١ – ١٨٩ معجم الإدباء ٨ – ١١٨ ، النجوم الزاهرة جـ ٦) .
(٨) ن فى س . (٩) البيكار : الفرجار وهى كلمة فارسية (قاموس العوام ص ٥٢) .
(١٠) ن فى س . (١١) ن فى س ، ب .
(١٢) دارا : دارة من أعمال الخابور قرب قرقيسياء (معجم البلدان ٤ – ١٤) .
(١٣) بالس : مدينة بالشام بين الرقة وحلب وقيل قرية بقرب الحديثة وتسمى الآن « أسكى مسكنة » أنقاض وآثار فى سوريا الشمالية على الفرات (المنجد ص ٦١ ، فوات الوفيات ٢ – ٧٦ ، خريدة القصر – د/شكرى فيصل ٢ – ٢٢٦) . (١٤) س : تضور الطبقة : ولا معنى لها .

والروشن[١] وهو على سطح جبل جوشن[٢] ، وتخيل مربعه[٣] وحماه وهو فى الشرق من مدينة حماه ، فتمنى أن يطير إلى تلك الأوطان من تل السلطان[٤] وأن يثب من باب الجابية[٥] إلى رأس الطابية ، ثم تصور المسافة // الطويلة [ل٦٦] التى دون باب زويلة وأنشد :

أحن إلى أهلى وأهـــوى لقاءهم[٦] وأينَ من المشتاقِ عنقاءُ مُغْرِبِ

فتصعدت حينئذ زفراته ، وتضاعفت حسراته ، فأكب على تعضيض كفيه[٧] ، وبكى حتى خر مغشياً عليه بأشد من شوق الخادم إلى[٨] لقائه ، وتطلعه إلى ما يرد من تلقائه ، فنسأل الرب الذى هو بالإجابة جدير وهو على جمعهم إذا يشاء قدير أن يمتعه بنظره عن قريب إنه سميع مجيب :

(والله يطوى بساط الأرض عن كثب حتى نرى الشمل منا وهومقترب[٩])

ولا يعتقد المولى أدام الله عزه أن الخادم أشار[١٠] فى صدر الكتاب إليه ولا أنه (قصده بوصف الحال[١١]) الذى هو عليه لعلمه أن عنده من المحبة لسلطانه ما يسليه عن أوطانه ، ومن الغرام بأميره ما يلهيه عن سميره ، وأن خدمته أحب إليه من الخدم السنية ، وملازمته أشهى لقلبه من العيشة الهنية[١٢]. ولا شك أن أسعد الناس رجل يتصبح بوجه الملك الناصر ، ويقبل يديه[١٣]

---

(١) الروشن : البلكونة (ملحق المعجمات العربية ١ - ٥٣٢) .

(٢) جبل جوشن : يطل على حلب فى غربها فى سفحه مقابر ومشاهد للشيعة وقد أكثر شعراء حلب من ذكره (معجم البلدان ٣ - ١٧٢) . (٣) ق : مرتعه .

(٤) تل السلطان : موضع بينـــه وبين حلب مرحلة نحو دمشق وهو المعروف بالفندق (معجم البلدان ٢ - ٤٠٥) .

(٥) باب الجابية : باب من أبواب دمشق (معجم البلدان ٣ - ٣٣ ، النجوم الزاهرة ٦ - ٣٠٦) .

(٦) ق ، ب : لقاهم . (٧) ق ، ب : يديه .

(٨) ق : إليه . (-٩) ن ف س .

(١٠) ق ، ب : أساه (-١١) ق ، ب : وصفه بالحال .

(١٢) ق ، ب : الرضية . (١٣) ق : يده .

[ل ٦٧] التي هي كالعناصر ، ويخدم ركابه // الذى تتشرف بخدمته الأملاك ، ويتمثل[١] أوامره التي (تساعد إلى تنفيذها[٢]) الأفلاك ، فيسأل الباري جلت قدرته أن يمتعه بأطول الأعمار ، ويبسط له (خد كل[٣]) معاند جبار بمنه وكرمه . كان عبد مولاى الأمير أدام الله عزه قد أخذ نفسه فيما مضى[٤] من قرائن هذه الرُّقعة بلزوم مالا يلزم ؛ فمر فى ذلك الهذيان ، مثل الفرس الجواد ، إلى أن عنّ له أن يضيف إلى ذلك فصلا آخر منسوجاً على ذلك المنوال ؛ يشرح فيه قصته مع ابن ظفير[٥] وما دهى به فى هذا العام . فوالله ما لحق أن عبر بخاطره مروراً ما[٦] حتى يبست الأنامل ، ونشف اللسان ، وجمد الخاطر ، وتبلد الحس ، وعمى النظر[٧] ، وانقلب الكيموس[٨] ، وصعدت الصفراء إلى دماغه ، فاستحكم الفساد ، (وبرد الحس ، وتغير المزاج ، وانفسد الهندام ، واختلط عقله ، وأقبل يهذى هذيان المجانين[٩]) ، وبقى بعد ذلك ثلاثة أيام يتكلم بكلام مخبط غير مفهوم ، وهو إلى الآن فى عقابيل[١٠] ذلك . ألا ترى أنه قال البارحة لجماعة من أصحابه الذين (يكتبون عنده منكم[١١]) من يحفظ قول النابغة الذبياني [ل ٦٨] فى سيف الدولة بن حمدان لما شتمه المعتصم// بمحضر من أبي هريرة (رضى الله عنه[١٢]) ؟ ثم قال :

جـزاك الله يا بن ظفـير عنى … وأطعمـك الهريسة بالقـرون[١٣]

---

(١) ق ، ب : ويمتثل . (-٢) ق ، ب : تنفذها .
(-٣) ق : كل خد . (٤) ق ، ب : مر .
(٥) ابن ظفير : لم نعثر عليه (٦) س : ا.ا .
(٧) ن فى س ، ب .
(٨) الكيموس : الخلط وهو لفظ سرياني (المحيط ٢ - ٢٤٤) .
(-٩) ن فى ق ، ب .
(١٠) عقابيل : المقبول والمقبولة مفرد عقابيل وهى الشدائد وبقايا العلة أو ما يخرج على الشفة بعد الحمى (المنجد ٥٤٢) .
(-١١) س : يبيتون معه فيكم ، ب : يبيتون معه منكم .
(-١٢) ن فى س . (١٣) ق : القرين .

قعدت على المطارف والحشايا ... فلا غث تركت(١) ولا سمين
وأسكنك القصور من الخزاما(٢) ... وألبسك الثياب من البخاتى(٣)
جئت إلى بالأسمار تسعى ... فلا ذهباً تركت ولا قماشا
نصبت على يا خواف بظرا ... بصحن حلاوة من سم موت
(فأشمت الأعادى٤) بى فسروا ... ولا سيما أبو اليمن الكنيدى(٥)
يعيرنى ويضحك من بكائى ... كأن الدهر أعطاه الأمانا
فأصبحت(٦) كما قد كنت نحساً ... أُكدّى الناس بالشعر الركيك
أُكدّيهم بشعر مثل هذا ... فيعطونى الخرا وسط الدقون
(وأرجع للنساخة من جديد٧) ... وهذا بعد ما ضعفت جفونى
فيا لهفى ويا حزنى على (ما ... دهيت به من٨) الدهر الخؤون
لقد سادوا بنو شادى بنائى ... بعشرات المواهب والمئين
وقد ملأوا من النعمى جرابى ... فقطّعه الخُرافُ على جبينى
// برامكة الزمان بحار جود ... بدُور التمّ آساد العرين [ل٦٩]
لقد منوا علىّ وخلصونى ... من الأيام والرزق الحرون(٩)
ولكن الخُراف صديق بختى ... يطالبنى مطالبة الديون
لو أن الناصر الملك المرجّى ... حليف الجود مفتاح(١٠) الحصون
يخلصنى(١١) من ابن ظفير يوماً ... سجدت له على مر السنين

---

(١) ق ، ب : لديك

(٢) الخزامى : عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهرة طيبة الريح فيها نور كنور البنفسج وليس فى الزهر أطيب ريحاً منها .

(٣) البخاتى : الإبل الخراسانية واحدتها بختى .

(-٤) ق : وأشمت الحواسد ، ب : وأشمت الأعادى .

(٥) أبو اليمن الكنيدى : هذه النسبة إلى كندة وهى قبيلة كبيرة مشهورة ينسب إليها كثير لا يحصون (اللباب ٣ – ٥٦) .

(٦) ق : وأصبحت . (-٧) س : فأرجع للنساخة من جديد .

(-٨) ق : ذهيب أصول به . (٩) ق : الحزون .

(١٠) ق ، ب : فتاح . (١١) ق : يخلصنى .

ثم قام إلى الكيس الذى فرّغه(١) ابن ظفير فى كمه وفيه(٢) الدنانير وتركه فارغاً ، فملأه الخادم بفلوس النحاس ، ومثاقيل الرصاص ، ورءوس المسامير حتى صار مُرْبَطاً(٣) مثل ما كان ، ثم أضجعه معه فى الفراش ، وضمه إلى صدره وقال : لا إن شاء الله ما ضاع لى شىء ، هذا رحلى معى (للشيطان أبقاه ٤) الله أعقلُ من أن يوسوس لى بإتلاف مالى عندما ضعفت القوة وكثرت العائلة ،(ولا يزال يتلهى به وبلحيته حتى٥) يثوب إليه عقله،// ويعلم أن هذا هو المحال فيخرج الكيس من الفراش ويمده بين يديه (مثل القتيل٦) ويقعد عند رأسه (مثل المرأة الثكلى عند قبر ولدها ثم٧) ينشد : [ل ٧٠]

سراةُ الليلِ ما فعلوا ... أحبتنا الذى ارتحلوا
تراهم ذاكرين(٨) لنا ... وإلاّ (٩) غيرنا وصلوا
لتمد شط المزار بهم ... فلا كتب ولا رسُلُ
وقد شف الجوى كبدى ... وقد ضاقت بى الحيلُ

يكرر هذه الأبيات ويبكى ويلطم ساعة ، ثم يفرغ الكيس بين يديه فيقع منه(١٠) الخرا فى جوف لحيته ، فيضرط بفمه ضرطة صافية ، ويقول لنفسه فى أول شارب لقيت ، ثم يشيل(الكيس فارغاً فى يده١١) ،ويقول مثل ما تقول النائحة : هذه العمائم عندى أين الرجال ! أوّاه ! . يكرر هذا ساعة ثم يبكى ويقول: (حزينة ما ترى أبداً ، تسلّى أو مت كمداً . ثم يكرر هذا ساعة ويقول ١٢) :

(دارى غاب سكانك ... وهدّ الدهرُ أركانك(١٣)

---

(١) س : أفرغ . (٢) ن فى س .
(٣) ق : من بطرا ، س : مزبطرا . (- ٤) ق : للشيطان أحياه .
(-٥) س: ولا تر لك يتلهى بلحية وجهه إلى أن . (-٦) ن فى ق .
(-٧) ق : مثل القتيل . (٨) س : ذاكرون .
(٩) ق : وما . (١٠) ن فى ق .
(-١١) ق : الكيس فى يده فارغا .
(١٢) ن فى س ، ب : حزينة ما تراه أبدا،أو مت كمدا ، ثم يكرر هذا ساعة ، ثم يبكى ويقول . (-١٣) ن فى ق .

ثم يكرر هذا ساعة ، ويقول : دنانير كلمونى ، دنانير كلمونى ، (دنانير كلمونى[١]) ! يكرر[٢] هذا ألف مرة حتى خفت صوته ، وبرد جسمه[٣] ووقع رأسه فى الأرض ، فرت به عينه ، فرأى فيما يرى النائم كأن المولى صلاح الدين (أبقاه الله[٤]) واقف على باب سعادة مستنداً إلى الباشورة[٥] وأبو الفتح بن القابض[٦] عن يمينه ، // وأبو السعد البدليسى[٧] ، وأبو النصر [ل ٧١] التكريتى[٨] عن يساره ، فجئت حتى وقفت بين يديه وخدمته وقرأت : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » إلى آخرها ، فقال (حفظه الله : هذا فأل مبارك[٩]) إيش حاجة الوهرانى الزنديق . فقلت له[١٠] : من يصلى الخمس[١١] ، ويصوم الاثنين والخميس ، ويقرأ (سبع القرآن فى كل يوم[١٢]) ، ولا يتخطى إلى مكروه ما يكون هذا زنديق ؟ فقال سلمه الله : لو رأيتك تمشى على الماء ما رأيتك إلا فى صورة زنديق . فقلت له : المستعان بالله (ومالى فى القضاء من حيلة[١٣]) وأردت الانصراف فقال : ارجع فأنت[١٤] برصيص

(-١) ز فى س . (٢) ن فى س .

(٣) س : حسه . (-٤) ق ، ب : ثبت الله سعده .

(٥) الباشورة : تساوى العتبة الآن. (٦) أبو الفتح بن القابض : لم نجد له تعريفاً .

(٧) أبو السعد البدليسى : لم نجد له تعريفاً .

(٨) أبو نصر التكريتى : يحيى بن جرير أبو نصر التكريتى طبيب له اشتغال بالفلك من أهل تكريت — بين بغداد والموصل — سكن بغداد وصنف كتباً فى الفلك والرياضة توفى ٤٧٢هـ (الأعلام جـ ٩) .

(-٩) ن فى ق ، ب . (١٠) ن فى ق ، ب .

(١١) ن فى ق ، ب . (-١٢) ق : السبع .

(-١٣) ق : فى قضاء الله ، ب : فى القضاء حيلة .

(١٤) ق ، ب : وأنت .

العابد[1] . إيش حاجتك ؟ فقلت : يا مولاى (جميع ما[2]) أنعمت به[3] على أنت وقرابيك أخذه منى ابن ظفير فى ساعة واحدة . فقال أيده الله : أطعمك شيئاً من حلاوته ؟ فقلت له : الكثير الطيب فليته كان آخر رزقى . فقال : صدقت هى شبكته التى يصطاد بها أموال المدابير . ثم التفت إلى ابن القابض فقال : رح معه إلى ابن الأصفهانى[4] يدفع له مائتى رمانة مليسى[5] وندفع نحن له من سنجار[6] مائتى رمانة أخرى حتى نتخلص . فرحنا إلى ابن الأصفهانى فدفع لى مائتى (رمانة مقيَّرة[7]) ، // فقلت له[8] : ما هذا الذى عليها يا أبا الحسن ؟ فقال : هذه أوساخ الناس . فقال لى ابن القابض : وما أظنك تأخذها على هذه الصفة[9] ؟ فقلت له : آخذها ولو كان فيها خراهم[10] ، ثم قبضتها منه وانتبهت ، ففسرت المنام على خلاصى من ابن ظفير على يد المولى (الملك الناصر[11]) خلد الله ملكه فاستخفنى[12] الطمع إلى أن كتبت هذا الكتاب وهو : [ل٧٢]

أدام الله عزه[13] يعلم أن العرب قد قالت فى أمثالها « لاعطر بعد عروس » ، « وما حسن يَدُ هندٍ فى السوار بعد السبعين » ، « وما تصنعُ دعدُ

---

(1) برصيص العابد : إسم راهب أو متعبد ظل يتعبد ستين سنة ثم وقع على امرأة فحملت منه فقتلها ليخفى خطيئته ، وقيل أنه لما ظهرت الجثة أخذ الراهب وحكم عليه بالموت ، وعندئذ ظهر الشيطان وقال إنى أنا الذى زينت لك هذه الفعلة وإنى لمنجيك إذا سجدت لى ، فسجد له الراهب ثم توارى الشيطان (دائرة المعارف الإسلامية مجلد ٣ العدد ٨ - ٥٤٣) .

(-2) ز فى س . (3) ن فى س .

(4) ابن الأصفهانى : يريد العماد الأصفهانى أبى عبد الله محمد بن محمد الأصفهانى الكاتب المتوفى سنة ٥٩٧هـ ، وله ديوان رسائل وديوان شعره فى أربعة مجلدات ، وله ديوان صغير جميعه دوبيت . كتب لنور الدين محمود بن زنكى ولصلاح الدين (الكامل ٩ - ٢٥٦ ، كشف الظنون ١ - ٨٠٣) . (5) ق : رمانة مليس .

(6) سنجار : قرية فى سوريا (المنجد ٢٦٤) . (-7) ز فى ق .

(8) ز فى ق . (9) ق : الصورة .

(10) ق : خرا . (-11) ن فى ق ، ب .

(12) ق ، ب : واستفزنى . (13) ق ، ب : علوه .

بالشنوف إذا صرَّ النعش » وأما[١] أمثال العامة «فإنما تُخَبَّأ[٢] الدموع للشدائد» وما خدمك الوهرانى طول هذه المدة إلاَّ ليستعين بك فى وقت الشدة اللهم إلا أن تكون حقدت عليه كونه يغلبك فى الشطرنج فى كل وقت ، فهو يتوب إلى الله تعالى من ذلك ما[٣] يرجع يغلبك أبداً ، وربما أخذ منك الحظ ، ويتغالب[٤] لك فى الدسوت القائمة . نعم ،ويندس فى رحم عياله . كان له عند ابن ظفير خمسمائة دينار أخذ منها مائة تبقى له عليه[٥] أربعمائة دينار[٦] ، وهو يقنع منها بمائتى دينار ، // ويجعله فى حل من البقية إن رأيت أن تتلطف [٧٣ل] بحسن توصلك ، وفاضل عنايتك وسعادتك وتشفع لى[٧] عند الملك الناصر أدام الله أيامه أن يوقع لى بالمائتى[٨] دينار على ديوان الزكاة بالقاهرة[٩] إنعاماً عليه وإحساناً إليه . فهو[١٠] المقصود ، ونهاية المأمول ، ويكون المولى أدام الله عزه كمن نجاه[١١] من الموت واصطنعه من القتل ، وخلصه من الشنق ، وأنزله من الصلب ، واستوهبه من ضرب الرقبة ، وأفتكه من الأسر ، وأعتقه من العبودية ، واستنقذه من ماضغىْ الأسد ، وانتزعه من فك التمساح ، وقلعه من شدق التنين ، ونجاه من الحريق ، وخلصه من الغرق ، وأطلقه[١٢] من الهوة ، (وأدخله الجنة ، ونجاه من النار[١٣]) ، ويكون الوهرانى بعد هذا[١٤] العبد القن المملوك الملازم لباب داره حتى يموت .

كان الخادم قد عزم على مخاطبة القاضى الفاضل أدام الله عزه فى هذا المعنى فذكر قول المتنبي[١٥] :

---

(١) ق ، ب : ومن .
(٢) ق : تجنى .
(٣) ق ، ب : وما .
(٤) ق : ويتغالب ، ب : وينغلب .
(٥) ق ، ب : منها .
(٦) ن فى ق .
(٧) س ، ب : له .
(٨) ق : المائتى .
(٩) ز فى س .
(١٠) ق : فهذا .
(١١) ق : نجاه الله .
(١٢) س : وأطلعه .
(١٣-) ق: ونجاه من النار وأدخله الجنة .
(١٤) ق ، ب : ذلك .
(١٥) ق : القائل .

أتيت فـؤادها أشـكو إليـه   فلم أخلص إليـه من الزحـام

فتوقف[١] عن ذلك ، ثم حمله الحرص والطمع على المكاتبة . فلما تناول القلم ، وكسر الورقة أحس فى عظامه // بالفتور ، وأصابه من الزمع[٢] [ل ٧٤] والهيبة مثل ما يصيب الحمار الصغير إذا واجه الأسد الكبير ، والرجل[٣] الجبان إذا لقى البطل الشجاع . فتكلس[٤] ذهنه ، ونفر عنه ما كان يأتيه من المعانى الرقيعة[٥] فى اللفظ السخيف ، ثم ثاب إليه ذهنه[٦] بعد ذلك فقال يخاطب نفسه : أيها الرجل[٧] الرقيع . بأى شىء تريد (تخاطب هذا الرجل[٨]) الرئيس ؟ ما أنت من النظراء ، ولا من الأكفاء ، فتكتب إليه وتسأله عن حاله ، وتستطلع أخباره . ولو فعلت ذلك لكنت[٩] من الأغبياء المجانين ، ولا أنت من خاصته وجلسائه ، فتكتب إليه تصف[١٠] الشوق المبرح والحنين : ولو فعلت ذلك لقال هذا الكلام غير صحيح ، قد كان معى فى بلد واحد ، وما كنت أراه فى خدمة الباب إلا مرة واحدة فى الزمن الطويل . ولا أنت من حاشيته وخدامه ، فتكتب إليه تعرفه بأخبار البلدة[١١] ، وما يجرى فيها من العجائب بين الخواص والمقدمين . ولو فعلت ذلك لقال : إيش وجه هذا الانبساط البارد ؟ ومن سأله عن هذا الحديث ؟ هذا والله فضول عظيم : ولا هو[١٢] // طيب النفس عليك ، ولا جميل الرأى فيك ، فتكتب إليه تسأله [ل ٧٥] أن يصطنعك بعنايته ، ويدبر أمرك مع ابن ظفير بقول تتمه[١٣] السعادة ،

---

(١) س : فتوقفت .   (٢) ق : الفزع .

(٣) ق ، ب : أو الرجل .   (٤) ب : فتطلس .

(٥) س : الرفيعة .   (-٦) ق ، ب : ثاب إليه عقله .

(٧) ن فى س .

(-٨) ق : أن تكاتب الرجل ، ب : تكاتب هذا السيد .

(٩) ق : كنت .   (١٠) ق ، ب : وتصف .

(١١) ق ، ب : البلد .   (١٢) ن فى س .

(١٣) ق : يتمه .

وفعل[١] يقارنه النجح[٢] والتوفيق . ألا تراك سلمت عليه فى القاهرة ، فزوى وجهه عنك حتى كأن الشمس طلعت عليه من جبينك ، أو كأنك شاركت الكندى (فى قتل الوجيه[٣]) ابن صورة ، ابنى[٤] عثمان فى مجاهرتهما بأسباب العداوة على رءوس الأشهاد ، (والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[٥]) .

---

(١) ق ، ب : أو فعل .

(٢) ن فى س ، ب .

(-٣) ق ، ب : من قبل .　　(٤) ث : بنى .

(-٥) ز فى س ، ب : فحسبك هذا والسلام .

(وكتب أخرى(١) إلى

القاضى الأثير بن بنان ٢)

إنه وإن كان فى صدر المملوك من نار (ظلمك وعتبك ٣) حرارة لا يبردها بزر البقلة (٤) ولا قرص الطباشير(٥) فانه يقسم بطلاق(٦) زوجته أم ولده أنه لا ينالك بكلمة تسوءك(٧) أبداً لأسباب كثيرة .

منها أنى خرجت ليلة الجمعة إلى القرافة من درب الصفا . فلما كنت بين تلك الأكوام لقيت هناك شيخاً طويلا(٨) فى زى الصوفية عليه أثر السفر . فقلت له : من أين أقبلت أيها الشيخ ؟ فقد اشمأزت نفسى منك . فقال : كنت عند يغبور ملك الصين . بلغنى أنه قد(٩) // مالت نفسه إلى دين الإسلام، [ل ٧٦ ب] فخرجت إليه من بلاد الزنج بعد الظهر فثنيته عن رأيه ، ورجعت أطلب

(١-) ن فى س والعنوان فى ب : (رسالة أخرى له إلى ابن بنان لما خاف عليه فى أخذ المكين من الخشب) .

(٢) الأثير بن بنان : محمد بن محمد بن بنان الأنبارى أبو طاهر بن أبى الفضل الكاتب ، من أهل مصر وأصله من الأنبار . قرأ الأدب وسمع الحديث ، يقول الشعر الجيد ويترسل ، ولد ٥٠٧ هـ وتولى ديوان النظر فى الدولة المصرية وتنقلت به الخدم فى الأيام الصلاحية بتنيس وإسكندرية . وكان القاضى الفاضل يغشى أبوابه ويمدحه ويفتخر بالوصول إليه (فوات الوفيات ٢ — ٣١٩ ، شذرات الذهب ٤ — ٣٢٧ ، الأعلام ٧ — ٢٥٣) .

(٣-) ق : عتبك . (٤) بزر البقلة . اسم نبات طبى .

(٥) قرص الطباشير : الصفائح الجيرية الشفافة شديدة البياض الحريفة (كتاب الدرة البهية فى منافع الأبدان الإنسانية ص ١٥١) .

(٦) ق ، ب : بالطلاق . (٧) ق ، ب : سوء .

(٨) ق ، ب : كبيرا . (٩) ز فى س .

مدينة قرطبة في هذه الليلة أتم الفساد بين أولاد عبد المؤمن[١] ، وأرجع كما أنا إلى بلاد خراسان ، فاقشعر جلدى من هذا الكلام وقلت له : من أنت عافاك الله ؟ فقال : أو ما تعرفنى يا وهرانى ؟ فقلت : لا والله ما أعرفك . فقال : عجب[٢] أنا شيخك ومعلمك إبليس . حدثنى ما هذا[٣] الذى يختلج[٤] فى صدرك من ابن بنان[٥] ؟ هبك أنى[٦] سلمت لك ما وقع (عليه الإجماع من شعره الركيك ، وكتابته زقفيلم فتقدر[٧]) تقول : إن أكمامه ضيقة وإن[٨] بغلته قصيرة ، أو أن طعامه قليل الأبزار . فقلت : لا والله ياسيدى قال[٩] هذه الفضائل التى تقدم (بها أهل بيته[١٠]) فى سالف الأزمان[١١] قد حازها فأى شىء بقى لك تذمه به ؟ فقلت له[١٢] : ما أقول والله[١٣] فى الرجل إلا خيراً ، ولكن بحياة هذه الشيبة التى أنحست الأولين والآخرين ؛ أيجوز فى دين الفساد أن يكون لى فى صحبة هذا الرجل ثلاثة أعوام متلازمين على طاعتك وصحبتك لم نخرج فيها (عن نهيك ولا أمرك[١٤]) ، فلما وقعت له فى هذه الأيام استهلك مالى ، وضيع حلالى// [١٥] ، وذبحنى من الوريد [ل٧٧] إلى الوريد ، ولم يراقب فى إلاً ولا ذمة ؟ فقال : (أبك فعل هذا وحدك[١٦])

---

(١) عبد المؤمن : سبقت الترجمة . (٢) ق : عجيب .

(٣) ق : ما . (٤) س : يعتلج .

(٥) ابن بنان : سبقت الترجمة . (٦) ن فى س .

(٧) ق : الإجماع عليه من كتابته . . . . وشعره المكتل تقدر . . . .

(٨) ق ، ب : أو أن . (٩) ق ، ب : فقال .

(-١٠) ق : بيته بها . (١١) ق ، ب : الزمان .

(١٢) ن فى ق ، ب . (١٣) ن فى ق ، ب .

(-١٤) ق ، ب : أمرك ولا نهيك . (١٥) ق : حالى .

(-١٦) ق ، ب : أبك وحدك فعل هذا .

أم بكل من[١] استضعف جانبه (من الأصحاب[٢]) ؟ فقلت : (لا بل بكل من استضعف جانبه[٣]). (فسكت ساعة ثم قال[٤]) : فديتهُ هكذا وصيتهُ (باوهرانى يا وهرانى[٥]) . ستين سنة لى أتعب عليه إلى أن جاء هكذا[٦] ؛ شر كله ليس فيه من الخير وزن مثقال ذرة ، وهو فى أعراض بنى آدم مثل الطاعون فى الأجسام . أشهد أنه (من خاصتى[٧]) ، وقرة عينى . والله لئن آذيته بكلمة لأفرقن بينك وبين أم بنيك[٨] ، ولأجعلن بينكما سداً من حديد . ثم توجه إلى ناحية المغرب . فلما هم بالطيران التفت إلىَّ وقال : إن عثرت[٩] على الشيخ ابن الصابونى سلم عليه عنى ، وعرفه شكرى له ، وعتبى عليه ، وقل له : ترضى لنفسك أن تكون مثل العنكبوت نصبت[١٠] الشبكة على زاوية قبر[١١] الشافعى ، وقعدت تنتظر من يقع فيها ما اقتنع منك بهذا ، البس مرقعتك الملونة ، وعباءتك الصوف واركب حمارك القصير ، وشق أسواق مصر والقاهرة ، واخدع الناس بلطف سلامك وكلامك ، وغرهم[١٢] بسالوسك[١٣] وناموسك،// [ل٧٨] وعلمهم بلطيف احتيالك كيف يكون النصب والمحال . وإلا وحياة أبى القسم الأعور[١٤] الذى هو خليفتى على بنى آدم ، وقرينى فى نار جهنم محوتك من ديوان الطرارين[١٥] . ثم غاب عن (عينى فما رأيت[١٦])

---

(١) ق : ما .

(-٢) ز فى ق .

(-٣) ق : بل كل من وقع له من الأصحاب .

(-٤) س ، ب : فقال .

(-٥) ز فى س ، ب : يا وهرانى .

(٦) س : هذا .

(٧) س : كلمة غير مفهومة .

(٨) ق ، ب : أرمينيتك .

(٩) س ، ب : عبرت .

(١٠) ن فى ق .

(١١) ن فى ق ، ب .

(١٢) ن فى ق .

(١٣) ق : سالوسك ، سالوس : ثوب من الكتان يلبسه الصوفية (Dozy : ١ - ١٥٠)

(١٤) أبو القسم الأعور . سبقت الترجمة .

(١٥) ديوان الطرارين : الطرار : النشال يشق ثوب الرجل ويسلب ما فيه .

(-١٦) ق : عنى فلم أر .

إلا دخاناً صعد إلى السماء . فليطيب(١) المولى قلبه ويشرح صدره فوحياة الشيخ لا نالك منى مكروه أبداً إكراماً لوصية(٢) المعلم وخوفاً على نفسى منه وأنا أقول(٣) :

يا أيها القــاضى الأثير نداء من ... لم يتخذ أحــداً سواك خليلا
أيجوز فى دين الرئاســة أن أرى ... من جور حكمك فى ذراك قتيلا
أودى كليل وهو شيخ ضلالة ... بالنحس إحسانى فظلت عليــلا
لوكنت فى يوم السقيفة حاضراً(٤) ... لشفيت من شيخ الضــلال غليلا

(١) ساقطة فى ق . (٢) ن فى ق .
(٣) ب : والسلام . (٤) ق : حاضر .

وكتب رقعة[١] على لسان بغلته إلى

الأمير عز الدين موسك[٢]

(وربطها فى معرفتها ووقف له فى الميدان وهى[٣]):

المملوكة ريحانة بغلة الوهرانى تقبل الأرض بين يدى المولى عز الدين حسام[٤] أمير المؤمنين ، نجاه الله من حر السعير ، وعظم بذكره قوافل العير ، (ورزقه من القرط والتبن والشعير ما وسق مائة ألف بعير[٥]) ، واستجاب فيه صالح (أدعية الجم[٦]) الغفير من الخيل والبغال والحمير . وتنهى[٧] إليه ما تقاسيه[٨] // من مواصلة الصيام، وسوء القيام ، والتعب بالليل[٩] والدواب نيام . قد أشرفت مملوكته على التلف ، وصاحبها لا يحتمل الكَلَفْ ، ولا يوقن بالخَلَفْ ، (ولا يحل به البلاء العظيم إلا فى حاجتى إلى القضيم[١٠]) : لأنه فى بيته مثل المسك [ل ٧٩]

---

(١) ز فى س .

(٢) عز الدين موسك : هو موسك بن جكو خال صلاح الدين الأيوبى توفى سنة ٥٨٦ هـ ، ب : عز الدين بن موسك رحمه الله .

(-٣) يقابلها فى ق ، ك « بسم الله الرحمن الرحيم » .

(٤) ك : ظهير .

(-٥) ن فى س ، والوسق : حمل البعير وقد وردت هذه الكلمة فى « ق » بالشين المعجمة وهى مصحفة عما أثبتناه .

(-٦) ق ، ك : الأدعية من الجم . (٧) تنهى : أنهى إليه الأمر : أعلمه به .

(٨) س : تواصله . (٩) ق ، ك ، ب : فى الليل .

(١٠) س : ولا يقول بالعلف والقضيم ، ب : ولا يحل به البلاء العظيم إلا وقت حاجتى إلى الشعير والقضيم .

والعنبر[١] ، والإطريفل الأكبر[٢] ، أقل من الأمانة فى الأنباط[٣] ، والعقل فى رأس قاضى سنباط[٤] . فشعيره أبعد من الشعرى العبور[٥] ، لا وصول إليه ولا عثور[٦] ، وقرطه[٧] أعز من قرط مارية[٨] لا تخرجه صدقة[٩] ولا هبة ولاعارية ، والتبن أحب إليه من الابن، والحلبان[١٠] عنده[١١] أعز من دهن البان ، والحب أقل من الياقوت فى بيت النبطى والعقل فى رأس البلطى[١٢] ، والقضيم بمنزلة[١٣] الدر النظيم ، والفضة[١٤] أجل[١٥]

---

(١) ق ، ك : والعبير .

(٢) ق ، ك : والاطريفل الكبير : لفظة يونانية معناها الاهليلجات وهو من الأدوية المركبة جليلة النفع (تذكرة أولى الألباب ١ / ٢٧٠ ، ١ / ٢٨ Dozy) .

(٣) ق ، ك ، ب : الأقباط .

(٤) سنباط : ويقال سنبوطية ، بليدة حسنة فى جزيرة قويسنا من نواحى مصر (معجم البلدان ٥ - ١٤٢) .

(٥) الشعرى العبور : تسمى عند الأفرنج سيريوس وهى يونانيـــة ومعناها المحرقة ، وهى نجم ، والشعرى من أصل عربى كما يتضح من مادة شعر (المعجم الفلكى ص ٩٧) .

(٦) ق ، ك ، ب : عبور . (٧) القرط : إسم نبات .

(٨) قرط مارية : المثل يقول « ولو بقرطى مارية » . قال ابن الكلبى هى مارية بنت ظالم ابن وهب الكندية ومعنى الكلام أى بالشيء العزيز الذى لا يقدر عليه ولا يوصل إليه (الفاخر ص ٨٧) . (٩) ق : بيع .

(١٠) والحلبان من القطانى : وله قضبـــان مربعة ، ينبسط على الأرض مدور إلى البياض وليس بصحيح التدوير . حلو يؤكل نيئاً فى الربيع ثم يجفف ويطبخ .

(١١) ز ن ك . (١٢) ز ن س .

(١٣) ك : أعز من .

(١٤) ك : والقصعة : بقية الشيء (المعجم فى بقية الأشياء ص ٤٠) والفضة التى بالأصل صجين تعلفه الإبل أى أنه فى تجمده كالسبيكة وقد وردت الكلمة محرفة .

(١٥) ق ، ك ، ب : أجل .

من سبائك الفضة، وأما الفول فمن دونه باب مقفول، فما يهون عليه أن يعلف الدواب إلا بعيون الآداب والفقه اللباب والسؤال والجواب وما عند الله من حسن الثواب . ومعلوم يا سيدى أن البهائم لا توصف بالحلوم ، ولا تعيش بسماع العلوم ، ولا تطرب إلى شعر أبى تمام ، ولا تعرف الحارث بن همام[1]، ولا سيما البغال التى تشتغل فى جميع الأشغال . // [ل ٨٠] شبكة [2] من القصيل[3] أحب إليها من كتاب التحصيل[4] ، وقفة من الدريس أشهى[5] إليها من فقه محمد ابن إدريس[6] ، ولو أكل البغل كتاب المقامات[7] مات ، وإن لم يجد إلا كتاب الرضاع[8] ضاع ، ولو قيل له أنت هالك إن لم تأكل موطأ مالك ما قبل ذلك ، وكذلك الجمل لا يتغذى بشرح أبيات الجمـــل[9] ، وحزمة

---

(١) الحارث بن همام : هو بطل مقامات الحريرى .

(٢) س : مسكيه ، ك : سله .

(٣) القصيل : الشعير يجز أخضرا لعلف الدواب ، سمى به لسرعة اقتصاله من رخاصة .

(٤) لعله يريد كتاب التحصيل فى أصول الفقه للأمام أبى منصور عبد القـــاهر بن طاهر ابن محمد الفقيه البغدادى الشافعى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ (كشف الظنون م ١ - ٣٦٠) .

(٥) ك : أحب .

(٦) محمد بن إدريس : سبقت الترجمة .

(٧) كتاب المقامات : يقصد مقامات الحريرى .

(٨) كتاب الرضاع : لعله يقصد باب الرضاع وهو باب من أبواب الفقه .

(٩) أبيات الجمل : لعله يريد كتاب الجمل الكبير للزجاجى النحوى توفى ٣٣٩ هـ وقد شرح أبياته البطليوس توفى ٦٢١ هـ فى كتاب سماه « الحلل فى شرح الأبيات الجمل » كما شرحه ابن العريف الأندلسى توفى ٣٩٠ هـ فى كتاب سماه « شرح الجمـــل » وهناك شروح غير هذين إلا أنها لمؤرخين متأخرين عن الوهرانى (صحيفة دار العلوم السنة الثانية جـ١ - ١٠٥) .

من الكلا ، أحب إليه من شعر أبي العلا ، وليس عنـده طيّب[1] شعرُ أبي الطيب ، وأما الخيل فما تطرب إلا إلى سماع[2] الكيل ، وإذا أكلت كتاب الذيل ماتت فى النهار قبل الليل ، والويل لها ثم الويل . ولا تستغنى الأكاديش[3] عن أكل[4] الحشيش بكل ما فى الحماسة من شعر أبي الحريش[5] ، وإذا أطعمت الحمار شعر ابن عمّار[6] حل به الدمار ، وأصبح منفوخاً كالطبل على باب الإصطبل . وبعد هذا كله فقد[7] راح صاحبها إلى العلاف ، وعرض عليه مسائل الخلاف ، وطلب من بيته خمس قفاف فقام إليه بالخفاف ، فخاطبه بالتقعير وفسر له آية العير وطلب منه ويبة شعير ، فحمل على عياله ألف بعير ، وأكثر له من الشخير والنخير[8] فانصرف الشيخ منكسر القلب ، مغتاظاً[9] من الثلب[10] ، وهو أنحس من // الكلب ، فالتفت إلى المسكينة ، وقد [٨١ل] سلبه الغيظ[11] ثوب السكينة ، وقال لها : إن شئت أن تكدى فكدى لاذقت

---

(١) ك : بطيب . (٢) ق ، ك ، ب : لسماع .

(٣) الأكاديش : وهى الخيل أقل رتبه من الأصيلة (٢ – ٤٤٩ Dozy) .

(٤) ز فى ك .

(٥) أبي الحريش : هو الحريش بن هلال القريعى ، ب : أبي الجريش .

(٦) ابن عمار : محمد بن عمار المهدى الأندلسى ، أبو بكر ، وزير ، شاعر وهجاء ، يلقب بذى الوزارتين جعله المعتمد بن عمار صاحب غرب الأندلس وزيراً له ومشيراً وجليساً ثم خلع عليـه خاتم الملك وأبقاه بالإمارة ، فعلا شأنه وطمع إلى ما وراء ذلك . فأدرك منه المعتمد عقوقاً فقبض عليه وقتله بيده فى اشبيلية ونسبه المهرى إلى مهرة بن حيدان من قضاعة والشلبي إلى مدينة شلب بالإندلس (الأعلام ٣ / ٩٥٦) .

(٧) ق : قد . (٨) ن فى ق ، س ، ب .

(٩) ق : منغاظا . (١٠) ك : السب .

(١١) ك : اقه .

شعيراً ما دمت عندى . فبقيت المملوكة حائرة لا قائمة ولا سائرة . فقال لها العلاف : لا تجزعي من حباله[١] ، ولا تلتفتي إلى[٢] سباله ، ولاتنظرى إلى نفقته ولا يكون[٣] عندك أخس من عنفقته[٤] . هذا الأمير عز الدين سيف المجاهدين يده أندى[٥] من الغمام ، وعزيمته[٦] أمضى من الحسام ، ووجهه[٧] أبهى من البدر ليلة التمام ، يرثى للمحروب[٨] ، ويفرج عن المكروب ، وهو نبيّ[٩] بنى أيوب . لا يرد قائلا ولا يخيب سائلا . فلما سمعت المملوكة هذا الكلام ، جذبت الزمام ، ورفست[١٠] الغلام ، وقطعت اللجام[١١] ، وشقت الزحام حتى طرحت خدها على الأقدام ، ورأيك العالى والسلام .

---

(١) ك : خباله . (٢) ق : على .
(٣) ك : يكن .
(٤) ب : جوف عنفقته : شعيرات بين الشفة السفلى والذقن شعرها خفيف .
(٥) ك : أندى يدا ، ق ، ب : أندى .
(٦) ز ق س . (٧) ز ق س .
(٨) ق ، ك : المجروب . (٩) ب : ولى .
(١٠) س : ورفصت . (١١) ك : الحزام .

(وله خطبة على لسان المأذنة[١])

وهى[٢] : الحمد لله الذى شرف الحكم بمجلس سيدنا[٣] القاضى صدر الدين وجمَّله بإمام المهتدين، وطهَّر منصبه من أحكام الملحدين // [٨٢ظ] أحمده حمد مظلوم أوصله الله إليه ، وأنصفه من خصمه بين يديه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مؤمن . عمر بالإحسان ، وعلم أن القاضى صدر الدين نقى العرض واليد واللسان . وأشهد أن محمداً صلى الله عليه ، سيد النجد والغور ، وصاحب الكور والدور ، وأن صدر الدين مقتد به فى إزالة الظلم[٤] والجور . صلى الله عليه ما جرت (جارية فى الحور[٥]) ، وما نزلت الشمس برج الثور . أيها الناس إن الله تعالى أخرجكم من الشك والالتباس (وشرف دولة أئمتكم[٦]) من بنى العباس ، بالقاضى أبى القسم عبد الملك بن درباس[٧] ذى العقل الرصين ، والرأى الحصين ، وحسام الحق المنتضى ، والإمام الطاهر المرتضى ، جعله الله شفاءً للعقل[٨] السقيم ، وملجأ للمسافر

(-١) ب : العنوان : وله خطبة على لسان المأذنة فى حق قاضى القضاة .

(٢) ز فى ق . (٣) ز فى ق .

(٤) ق ، ب : الظلامة .

(-٥) ق ، ب: جارية فى الحور ، الحور : مصب المـاء فى البحر ، والمنخفض من الأرض بين مرتفعين والخليج .

(-٦) ق : دولتكم .

(٧) عبد الملك بن درباس : سبقت الترجمة .

(٨) ق : العقل .

والمقيم ، وهداه[١] بنوره إلى الصراط المستقيم ، وأيده[٢] بمرهفات العزائم ، ونزه نفسه عن الرشا والولائم (فلا يأخذه فى الله لومة لائم[٣]) . فاحمدوا الله على ما أسداه إليكم ، واشكروه على نعمته عليكم ، وأستغفر الله لى ولكم ولسائر المسلمين :

(١) ق : وهدى .

(٢) س : وأبره ؛ وأيده .

(-٣) ز ف س .

[ل٨٢]

// (وله أيضاً مقامة فى شمس الخلافة [١])

حدثنا عيسى بن حماد الصقلى[٢] قال : لما اختل فى صقلية الإسلام ، وضعُف بها دين محمد عليه السلام . هاجرت إلى الشام بأهلى وجعلت جِلّق[٣] محط رحلى ، فدخلتها بعد معاناة الضّر ومكابدة العيش المرّ . فلما[٤] انجلى فيها سرارى وقر فى بعض محلاّتها قرارى ، رأيت معى فى الحارة رجلا ثقيل الإشارة ، نَبَطِى الشكل والعبارة ، يأخذه التيه ويَدّعه ، ويرفعه الإعجاب ويضعه ، فقلت فى نفسى : ليت شعرى من ذا ومن أى كنيف خرج هذا ، وبَعُدَ على غَوْرُه وأشكل على أمْره ، فاعترضته فى الطريق ، وسلمت عليه سلام صديق وأنشدته :

أجارتنا إنّا غريبان ها هنــا وكل غريب للغــريب نسيب

وبسطته بالحديث حتى جاء بالقديم وبالحديث[٥] ، وقال : مولدى منُوشهر[٦] (ومنشأى ما[٧]) ، وراء النهر . لكن بالشام والعراق مدارى فأيقنت بالشكل المُغْرب أنه من بلاد المغرب ، وبان لى من خلال ألحاظه وفلتات[٨] ألفاظه أن الرجل يَقْطِينة وأنه مغربى الطينة .

(١-) ق ، ب : ومن رسائله . (٢) عيسى بن حماد الصقلى : لم نجد له تعريفاً .

(٣) جلق: إسم لكورة الغوطة كلها وقيل بل هى دمشق نفسها وقيل جلق موضع بقرية من قرى دمشق (معجم البلدان ٣ - ١٢٦) .

(٤) ق ، ب : ولما . (٥) ق ، ب : والحديث .

(٦) ق ، ب : فى منو شهر . (-٧) ق : ومنشئ من .

(٨) ق : وقلبات .

[ل ٨٤] قال عيسى بن حماد // فقلت فى نفسى : أكون فضولى الأرض بالطول[١] والعرض ويدخل علَىَّ هذا المحال المحض، واستدللت عليه برجل كان يأنس إليه فقال الرجل : أنا جُهَيْنة أخباره، وأحذق الناس بأدباره أعرفه صغيراً وكبيراً ، وإن شئت فاسأل[٢] به خبيراً . فقلت : عرفنى مربضه[٣] ، وأى بحر لفظه ، فقال : أما الطينة فمن قسطنطينة ، وأما القبيلة فمن زويلة ، وأما النحلة فمن حمير الفحلة ، فقلت له كيف ذاك جعلنى الله فداك ؟ فقال : اعلم أنه دخل هذه الحجة محرماً بحجة ، يعوزه من القوت ثمن رطل من الياقوت[٤] يتمنى رفسة[٥] من رجل رزاز[٦] ، أو صفعة من كف خباز ، وحاول كل معيشة فلم يقدر على حشيشة ، فساقه القلفندر[٧] ، والقضاء المقدر إلى عجوز مغربية مُحَكّمة فى خمسين صبية؛ تعلم البنات الغزل وتجنبهم المجون والهزل ، قد اشتهرت بالرفق والأناة[٨] ، والحذق فى تعليم البنات قد أخصب مكانها ، وامتلأت بالكسر أركانها . فجاء هذا الشيخ أبو الخرا يطلب عندها بيتاً للكرا ، وهو كما رأيت قد جمع بين الجفا وغلظ القفا ، فأبصرته العجوز على تلك // الحالة ، فتوسمت فيه عظم الآلة، فسرى خيالها ، وسال عليه[٩] [ل ٨٥] رِيالها ، ولم يفارق بابها حتّى كتبت عليه كتابها ، ولما اختلاها واعتلاها ، وكنف من ليلته خلاها ، أيقنت أنه يبرد غليلها ، ويداوى[١٠] عليلها فقامت على الفور ، وهو من ورائها[١١] كالثور ، حتّى دخلت السوق

(١) ق : فى الطول . (٢) ق ، ب : فسل .

(٣) ق : مربطه . (٤) ق : ياقوت : والسياق يدل على أنه طعام رخيص .

(٥) ق : رفضة ، ب : رفصة . (٦) الرزاز : بائع الأرز .

(٧) ق ، ب : القفندر ، والقلفندر : لم نجد تعريفا لهما .

(٨) ق : الإنارة . (٩) س : عليها .

(١٠) ق ، ب : ويبرئ .

(١١) ب : أوراكها .

بالهميان[١] المسوق، ففتحت له[٢] العباب وفصلت عليه[٣] الثياب، ولم يفارق[٤] الدكان حتى قالت له : كن فقيها فكان :

قال عيسى (بن حماد ٥) : فقلت للراوى : مثلك من أفاد ، وشفى بحديثه الفؤاد ، فكيف تمشى حاله ، وتغطى على الفقهاء محاله ، فقال : أعلم[٦] أنه لما اجتمعت[٧] العجوز على تعليمه ، ورده إلى المدرسة وتسليمه تخوف من ذلك الأمر ، وبات ليلته على الجمر. فلما أصبح قال (لها : يا هذه اعلمى ٨) أنى كنت فى بلدى اسكافاً ، وأصبحت اليوم فى مرحاضك كنافاً ، فكيف[٩] لى بالمدارس وأنا كالطلل الدارس ؟ ومن أين لى بالخبر[١٠] وأنا مثل حمار العُزَيْر ؟ والله ما أفرق بين الحروف (وبين قرون ١١) الخروف، فقالت: أنا أعلمك العلم كله إلا أقله ، وأعلمك فصلا فى التدريس تغلب به محمد بن إدريس[١٢] فقال لها : يا هذه والله[١٣] ما أرجو من المدرسة نفعاً،//وإنى [ل٨٦] أخاف أن يقتلونى صفعاً ، فدعنى من اقتحامك وإقحامك ، ووفرنى

---

(١) الهميان : فارسية هميان وهو كيس يجعل فيه النفقه ويشد على الوسط (الألفاظ الفارسية المعربة ص ١٥٨) .

(٢) ق ، ب : ففتحت له .

(٣) ق ، ب : له .

(٤) ق ، ب : تفارق .

(–٥) ن فى س .

(٦) ز فى ق .

(٧) ق : أجمعت .

(–٨) ق : أعلمى ياهذه ، ب : يا هذه اعلمى

(٩) ق : وكيف .

(١٠) ق : بالتخبيز .

(–١١) ق ، ب : وقرنى .

(١٢) محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع ولد سنة ١٥٠ ﻫ ومات سنة ٢٠٤ ﻫ وقدم مصرسنة ١٩٨ وظل الشافعى فى مصر ،وكان محببا إلى الخاص والعام لعلمه وفقهه وحسن كلامه وأدبه وحلمه (معجم الأدباء ١٧ – ٢٨١ ، حسن المحاضرة ١ – ١٢١ ، اللباب ٢ / ٥) .

(١٣) ز فى ق .

على لطم أرحامك . فقالت : أريد أن[١] أخرجك من المدابر وأضعك[٢] على رءوس المنابر ، فأحضر ذهنك ، وافتح لهذا الدرس أذنك ، اعلم[٣] أن الألف قائم كالمغزل ، وهو كباب المنزل ، والباء كالصنارة ، أو كرجل المنارة ، والهاء كالثقالة ، وفيها شيء كالعرقالة [٤] والطاء كالخف ، أوكطارة الدف ، وكل مُدَوَّرميم ،وكل معوج جيم ، والصاد[٥] تشبه نعالك ، والذال تشبه قذالك[٦] ، وإن القاف والكاف تشبهان اللكاف[٧] ، فاحفظ هذا الكلام ، وقد أصبحت مفتّى العراق والشام ، واحذر مخالفىّ[٨] واعتّزالى ، واعلم أن بهذا الفصل تقدم[٩] الغزالى . فأقبل التيس يكرر لفظه حتّى أجاد حفظه ، وعندها خرج فى القمة والعمة ، وعزم على مدرسة جمال الأئمة . فخرجت تبخره من العين وتقرأ عليه المعوذتين ، وقالت له[١٠] : إذا جلست فتربع ، ولا تتقنبع ، وانشر أكمامك ، وأظهر للناس أعلامك ، فإن الغريب ابن ثَوْبيه ، والمقيم ابن جديه . فقال لها : أوصيني رحمك [١١] الله . فقالت :
[ل٨٧] له[١٢] //إذا حضرت فانفخ حضْنك[١٣] وبطنك،وانفش بين الفقهاء ذقنك ، وباكر المدرسة فى[١٤] الصباح ، وسابقهم إلى[١٥] الرواح ، وإن غلبوك فى العلم

---

(١) ن ف ق ، ب .

(٢) ق : وأرفعك .

(٣) ق ، ب : وأعلم .

(٤) العرقالة : تعرقل : تعوج .

(٥) ق : كالصاد .

(٦) قذال : جماع مؤخرة الرأس من الإنسان .

(٧) اللكاف : لغة فى الإكاف ، وينسب إليه من يعمل الإكاف ويبيعه (اللباب ٣ / ٧٠) والإكاف : البرذعة ج أكف .

(٨) ز ف س .

(٩) ق ، ب : تقدمت .

(١٠) ز ف ق .

(١١) ق ، ب : يرحمك .

(١٢) ز ف ق .

(١٣) ق : خطنك .

(١٤) ق ، ب : عند .

(١٥) ق : فى .

فلا يغلبوك فى[١] الصياح . فقال لها : (أخاف والك[٢]) أن أقتل باللوالك[٣] ولكن أوصينى . فقالت : خذ اللفظ بأناملك من[٤] شفتيك ، وزاحم الفقهاء بمنكبيك ، وابصق[٥] فى وجه الشيخ ولا جناح عليك . قال : فهاتى إذاً شيئاً من قماشك ألق به[٦] صفع الشماشك[٧] . فقالت : أجسر على القوم فما هو إلا بياض اليوم ، واعلم أن الفقه ليس هو شىء غير[٨] النفاق والزعاق ، وتلويث وجه الخصم بالبصاق[٩] ، أما (سمعت ما قاله الشيخ أبو جابر المغربى ، لما رأى حالهم وخبر محالهم :

يا طالب العلم من كتاب ومن معيد ومن متفهم
بدون هذا ترى فقيها فوسع الثوب ثم عمم
والبس من الثوب طيلساناً واعقده فى المنكبين وانظم
واقعد مع القوم فى جلال لا بالبخارى ولا بمسلم
إلا صياحاً ونفض كُمٍّ وعقد لا لا وجمع لم لم
فما أرى عندهم علوما أكثر من لا ولا أسلم[١٠])

// فقال لها : إن صدقت فأنا أكون إمام الوقت . وقام فى ذلك الأوان حتى دخل [ل٨٨] على الفقهاء فى الإيوان ، فهابته قلوب الجماعة ، وخافوا أن يكون من أهل البراعة ، فأنصفوه فى السلام ، وبسطوه بالكلام[١١] ، وآنسوه بالمحاضرة حتى جاءوقت المناظرة ، فحينئذ برز (بالوجه الوقاح والإفك الصراح[١٢]) ، وأرهج[١٣]

---

(١) ق ، ب : عند . (٢–) ق ، ب : فقال والك وأخاف .
(٣) ب : بالكوالك . (٤) ق ، ب : بين .
(٥) ق ، ب : وازعق . (٦) ق ، ب : أرد به .
(٧) الشماشك : زى من ملابس الرعاة ويطلق على اللوالك (Dozy ٧٨٧ – ١) .
(٨) ق : إلا . (٩) ق : بالبزاق .
(–١٠) ز ق س . (١١) ق ، ب : فى الكلام .
(–١٢) ق ، ب : بالإفك والصراخ والوجه الوقاح .
(١٣) ارهج : أزعج (Dozy ٥٦٢/١) .

المدرسة بالصياح ، وأخذ يقول نوعاً من الهذيان ، وضرباً من الباذنجان ، فوقع الناس فى البلاء ، وعلموا أنه دلو من الدلاء ، وتحققوا أن الرجل كالسطل(١) لا يصلح إلا للإصطبل، فخرجت هيبته من صدورهم ، ونبذوه وراء ظهررهم .

قال الراوى : ولما ارتفعت عنه وحشته ، وزالت عن فؤاده دهشته ضاق بالعلم باعه ، ونفرت منه(٢) طباعه ، وعاد إلى ما يعرفه من الأخلاق الذميمة والسعى بالنمية حتّى طال على القوم أمره ، وانتهى فيهم عذره(٣) وعلم الشيخ من شيَمه الردية، وأخلاقه الدنيَّة أنه لا يصلح إلا للعوانية ، فأشار به فى بعض الأعمال ، فأخرج عاملا من العمال ، فكثرت عند ذلك بضاعته، // وازدادت دياصته(٤) ورقاعته ، واستخدم الجندار(٥) والسلاح دار [ل٨٩] واستعمل التركاش(٦) والحوائج كاش ، وصار بالأعوان والحاشية والغلمان والفاشية ، وصار الشيخ زوج العلافة يلقب بشمس الخلافة .

قال عيسى بن حماد : ولما ارتفعت(٧) الهمة وامتنعت(٨) الذمة ، تغير على زوجته بعد أن كان يفديها بمهجته، وصار (يجرى بينهما فى المجالس٩) ما يحفظ عنهما فى المدارس،ولقد رأيتهما يوماً يُشَالقها وتُشَالِقه،ويخالفها وتخالفه ، ويقول لها :(ألست تعلمين١٠) يا جيافة أنى لقبت (من أجلك١١) بزوج العلافة فلعن الله الأشفار(١٢) والأظفار وما تحويه الأخصار(١٣) من حانوت العطار .

---

(١) ق ، ب : كالطبل . (٢) ق ، ب : عنه .

(٣) ق : عورة . (٤) دياصته : داس ديصا صار خسيسا (المنجد ص ٢٢٩) .

(٥) ق ، ب الجندار : والجاندار حارس ذات الملك مركب من جان أى روح ونفس ومن دار أى حافظ (كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ص ٤٦) .

(٦) التركاش : لعله نوع من العصى . (٧) ق :ارتفعت .

(٨) ق : واتسعت . (-٩) س ، يحفظ بينهما فى المجالس .

(-١٠) ز فى س ، ب : ألستى تعلمى . (-١١) ق ، ب : لأجلك .

(١٢) ق : الأشعار . (١٣) ب : الأغضار .

(وكتب إلى تقى الدين[١])

وصل كتاب المولى الأمير[٢] الأجل الصاحب تقى الدين مصطفى أمير المؤمنين — أطال الله بقاه ، حتى يتوب المخلص من القيادة ، وينقطع المعيدى إلى الزهد والعبادة ، وأدام عزه ونعماه حتى يقر قرار المولى فى موضع واحد ، ولا يبقى فى مصياف[٣] باطنى ولا لاحد — بألفاظ أحسن من فتور الألحاظ ، // ومعان مثل ترجيع الأغانى فكان ذلك أجل[٤] فى عينه من الروض غب [ل ٩٠] السحاب، وأطيب من الصفع بخفاف القحاب، لا والله إلا أعذب من محادثة السمّار، (وألذ من[٥]) (مُماكسة الحمّار[٦]) ، لا والله إلا[٧] أحلى من مطابقة الزامر للعواد ، وأشهى إلى النفس من مواعيد القوّاد ، فطرب المملوك على كتابه ولا طرب هلال الدولة رجاء[٨] لما اجتمع بنصرة[٩] فى دعوة فلان ليلة السبت العشرين[١٠] من[١١] محرم هذه السنة وغنت له بالدف :

ما غيّر البعد عهداً[١٢] كنت تعرفه ولا تبدّلتَ بعد الذِّكر نسيانا

ولا ذكرت صديقاً كنتُ آلفه إلا جعلتُك فوق الكُلِّ عنوانا

فإنه لما سمع ذلك قام وقعد ، وصاح ولطم ، ونتف[١٣] شعر عنفقته[١٤] ،

(١-) ق : وكتب إلى المولى تقى الدين رحمه الله وهو مقيم بدمشق جوابا عن كتاب وصل إليه ، ب : وله جواب كتاب وصله من المولى تقى الدين من دمشق .

(٢) ن فى س ، ق . (٣) ق ، ب : مصياث .

(٤) ق ، ب : أجمل . (٥-) ق : والذين .

(٦-) س : مماكسة الحمار ، ماكسه فى البيع : طلب منه أن ينقص الثمن .

(٧) ز فى ق ، ب . (٨) هلال الدولة رجاء : لم نجد له تعريفا .

(٩) ب : بفلانة ، ونصرة: إسم مغنية. (١٠) ن فى س .

(١١) س : فى . (١٢) ق ، ب : ودا .

(١٣) ق ، ب : ونتل .

(١٤) عنفقته : شعيرات بين الشفة السفلى والذقن شعرها خفيف .

وأدار شربوشه[1] على رأسه،(وخرق غلالته ، وكانت طرح خُمْشُتني – قطيطى[2]) (كانت عليه[3]) وجرى إلى الشمعة ليحرق[4] لحيته فيها فلم يترك فحلف بحياة الجماعة ليسكبن قدحه فى سرتها ، ويتلقاه بفمه من بين أشفارها ، بحيث أن تكون لحيته ستارة على باب ثقبها[5] ، فلم يتركه عشيقها (فى هذه الأيام يفعل ذلك[6]) ، فحلف(برأس الملك[7]) المعظم ليشربن بخفها[8] ثلاث دزد كانيات[9]، // فقالت : هذا هين ولو أردت أن أسقيك بالخف [ل ٩١] ثلاثمائة فى ساعة واحدة فعلت ، وأحسن من هذا لو كان لهذا الطرب ثمرة : معجر دبيقى أو ثوب حريرى ، فتغافل (وتساكر ولا زال يعب بالخف إلى أن وقع[10]) ، لا والله إلا مثل طرب (ابن الريِّس فى دعوة فلان[11]) ليلة الثلاثاء[12] العاشر[13] من صفر لما غنت له فارس الشام :

أرى بيت لبنى أصبح اليوم يُهْجر ... (ومن أجل لبنى ذلك البيت يشكر[14])

(لقد كان فيها للأمانة موضع ... وللسر كتمان وللعين منظر[15])

فإن تكن الدنيا بلبنى تقلبت ... على فللدنيا بطون وأظهر

---

(١) شربوشه : قلنسوة طويلة معربة عن سربوس أى غطاء الرأس (الألفاظ الفارسية المعربة ص ٩٩) .

(-٢) ق ، ب : وحرق غلالة طرح خشتنى قطيطى ، س : طرخ . وواضح أن الصفتين الأخيرتين مما توصف بها أنواع الثياب . (-٣) ن فى س .

(٤) ق : ليحلق . (٥) ق : شقها ، ب : ثقبها .

(-٦) ن فى ق ، ب : فلم يتركه عشيقها فى هذه الأيام لذلك .

(-٧) ن فى ق . (٨) ن فى ق .

(٩) ق : دزدكانات ، ب : دردكانات .

(-١٠) ن فى ق ، ب : وتساكر ولازال ينب فى الخف إلى أن وقع .

(-١١) ق : ابن زين فى دعوة فلان ، ب : ابن ريس فلان بن فلان فى دعوة فلانة .

(١٢) ق : الثلاث . (١٣) ق : العشرين .

(-١٤) ب : وللسر كتمان وللعين منظر . (-١٥) ن فى ب .

فإنه لما سمع بذلك طرب طرباً عظيماً وضرب بعمامته وجه المغنية[١] وخلع ثيابه وبقى عرياناً بالفقس[٢] وأقبل يمشى على أربعة وفى ثقبته[٣] جرزة[٤] ريحان وهو ينبح ألواناً من النباح ويقول: أنا كلب ابن كلب اصفعونى بالنعال، لا والله إلا[٥] طرب التاج بن المقلع (رحمه الله لما شرب فى دعوة بالجزيرة[٦]) ليلة الأحد النصف من صفر وغنت له الحنونية[٧] (صوتها المشهور الذى أتلفت عليه الأموال وخربت عليه البيوت العامرة[٨]):

أنا البـاز المطل عـلى نمـير أتيـح له من الجـو انصبابا

فَغُضَّ الطرف إنك من نمـير فلا كعباً[٩] بلغْتَ ولا كِلابا

[٩٢ل] // فلم يبق أحد من المصريين (الحاضرين فى المجلس[١٠]) إلا خر ساجداً على وجهه، وأما فلان[١١] فإنه لما سمع ذلك طار عقله وزهق لبه، وأقبل يصيح صياح الديوك والغربان، وينهق نهيق الحمير والبغال، وأقسم برأس فلان ليقبّلنّ ...، وليمصّنّ[١٢] ...، وليرضعنّ ...، وأمسكت له حتى فعل

---

(١) ق، ب: المغنى.

(٢) هكذا بالأصل ولم نجد لها تعريفا، ب: فى الفقس.

(٣) ق، ب: ثقبه.

(٤) جرزة: عود من حديد أو فضة (الألفاظ الفارسية المعربة ص٤٠)، هكذا بالأصل

(٥) س: و لا

(٦-) ز فى س، ب: رحمه الله فلان بن فلان لما شرب فى دعوة فلان فى الجزيرة.

(٧) الحنونية: اسم مغنية. (-٨) ن فى س

(٩) ق: كعب. (-١٠) ن فى ق

(١١) فلم يبق أحد فى المجلس من المصريين إلا خر على وجهه وأما فلان بن فلان.

(١٢) س: ويمصن.

بها[1] ذلك (وأفدى يمينه[2]) بعد أن حشا فى ... عشرين ديناراً ، وفى ثقبها[3] عشرة دنانير ، لا والله إلا[4] طرب الصوفية فى دعوة ابن زين التجار[5] ليلة عيد الأضحى فى[6] هذه السنة وقد حضر عندهم مرتضى المغنى معشوق العماد الكاتب الأصفهانى ، وقد أسبلوا شعره على أكتافه وأمسك[7] أبوشعيب[8] الشمعة بين يديه وهو يغنى لابن رشيق القيروانى[9] :

فتور عينيك ينهـــانى ويأمـــرنى ووردُ خديك (يغرى بى ويغرينى[10])
أما لئن بعت دينى واشتريت به دنيا فما بعت فيك الدين بالدّون
سبحان من خلق[11] الأشياء قاطبة تراه صوّر ذاك الجسم من طين
استغفـــر الله والله ما نفعت من سِحْرِ ألحاظِه آيات ياسين

---

(1) ن فى ق ، ب .

(-2) ن فى س ، ق : وإلى هنا تنتهى القطعة بالآتى : وهذا ما انتهى الينا من كتاب جليس كل ظريف على التمام والكمال والحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من الزيادة والنقصان وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا . انتهت .

(3) س : ثقبتها . (4) س : وإلا .

(5) ابن زين التجار : هو أبوالعباس بن المظفر بن الحسن الدمشقى ، أحد علماء الشافعية ودرس بالمدرسة الناصرية مدة طويلة ، ثم نسبت إليه وعرفت باسمه توفى سنة ٥٩١هـ (هامش النجوم ٦ – ٥٥) .

(6) ق : من

(7) س : ومسك .

(8) أبوشعيب : بورى بن أيوب مجد الدين . له ديوان فيه الغث والثمين ، لكنه بالنسبة إلى مثله جيد هو ديوان تاج الملوك توفى سنة ٥٧٩هـ (كشف الظنون ١ – ٧٨٠) .

(9) ابن شيق القيروانى : مولى الأزد كان شاعر أديبا نحوياً لغوياً حاذقاً عروضياً كثير التصنيف . مات بالقيروان سنة ٤٥٦هـ (معجم الأدباء ١ – ١١٠ ، الأعلام ١ – ٢٢٥) .

(-10) ق : يغرينى ويغرى بى . (11) ق : صور .

//فإنهم لما سمعوا ذلك هاجوا وماجوا وصاحوا وباحوا(١) وزعقوا ونعقوا [ل٩٣]
وقفزوا إلى السماء ؛ ونزلوا إلى الأرض ، وضربوا بأرجلهم حتّى انخسف بعضهم الموضع الذى كانوا فيه فنُبشُوا من تحت الردم أمواتاً فغسِّلوا وكفِّنوا ودفنوا وبعضهم يرقص لا يعلم(٢) مما جرى حرفاً(٣) واحداً . لا والله إلا طرب الرضى بن سلام(٤) لما(٥) حضر دعوة ابن العميد وغنى له الكيكى(٦) .

نسيمُـــــهُ يتلقـــــانى بزورته ... مبشراً لى به من حيث(٧) يلقانى
مألته قُبْلَةَ تحيي(٨) النفوس بها ... فضمنى ضم مشتــاق فأحيـــانى
يا معشر الناس ما أحـــلى شمائله ... لو كان ينصفنى لو كان يرعانى(٩)

فإنه لما سمع ذلك طرب طرباً عظيماً ، ونتف جانب لحيته الأيسر ، وقام إلى باب المجلس فلطم رأسه باللوالك إلى أن تقطعت اللوالك وقفاه ، ثم حلف ليركبن الكيكى على قفاه ، ثم لا يبرح حتّى يشرب قدحاً ويغنيه صوتاً ففعل ذلك ، وما فرغ حتّى كاد يموت .

---

(١) ق : وناحوا .
(٢) ق : لايدرى .
(٣) ن فى س .
(٤) ن فى س .
(٥) ق : وقد .
(٦) الكيكى : اسم مغنى .
(٧) ق : قبل .
(٨) ق : يشنى .
(٩) ق : ينشانى .

فصـــل[1]

وبعد هذا كله فالذى فعله المولى تقى الدين أدام الله ظله من التقاء الجمع[2] الكثير بالعدد القليل عين الخطأ وضد الصواب لأن المُغرِّر ليس بمحمود وإن سلم . // [ل ٩٤] فالله الله الحذر ثم الحذر لا يكون له مثنوية أبداً ولا يرجع المولى يلقى (ألف وستمائة فارس إلا أن يكون فى خمسمائة وثلاثين ألفاً[3]) من خيار أصحابه بشرط أن تكون خيّالة[4] العـــدو كلهم مثل حمزة الزامر[5] ، وعثمان الجنكى[6] ، وأبى على العواد[7] ، وعزيز البربطى[8] ،(وأمثال هؤلاء الفرسان[9]) ويكون أصحابك أنت مثل (فلان وفلان وفلان[10]) الذى ما اجتمع المملوك بواحد منهم إلا تنخع[11] فى وجهه (سيوفاً وسكاكين[12]) (وزعم أنه يقرقش الحديد[13])، والرأى عند المملوك الوهرانى[14] غير هذا كله، وهو أن تستقبل[15]

---

(١) ن ف س . (٢) ق : الجيش

(-٣) ق : مائة وستين فارساً إلا بألف وستمائة فارس .

(٤) س : جبالة . (٥) حيزة الزامر : لم نجد له تعريفاً .

(٦) عثمان الجنكى : لم نجد له تعريفاً ، جنك وهى آلة من آلات الطرب(كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ص ٤٦) .

(٧) أبو على العواد : لم نجد له تعريفاً .

(٨) عزيز البربطى : البربط آلة موسيقية أيضا .

(-٩) ن ف ق . (-١٠) ن ف ق .

(١١) ق : تجشى . (-١٢) ق : سكاكين وسيوف

(-١٣) ن ف س . (١٤) ن ف س .

(١٥) ق : يستقيل .

من الخدمة ، وتنقطع[١] فى القابون[٢] ، وتنكث[٣] التوبة ، وتترك[٤] الصلاة ، وتجمع[٥] علوق دمشق وقحاب الموصل ، وقوادى حلب ، ومغانى العراق ، وتُلَذِّذْ حواسك الخمس ، ولا تبصر إلا الوجه المليح ، ولا تسمع إلا الغناء[٦] المطرب ، ولا تشم إلا الذكى الرائحة ، ولا تذوق إلا الطعام الطيب ، ولا تلبس إلا الثوب اللين ، وتقطع بقية عمرك على هذه الحال[٧] ، وتتكل (فى جميع ذلك[٨]) على عفو الغفور الرحيم ، وتعلم أن يوماً واحداً من أيامك فى دمياط ، أو ساعة من وقوفك يوم الرملة[٩] ، يكفر عنك أضعاف[١٠] ما أشار به عليك المملوك ، والسلام .

// وهذا الذى أشار به عليك[١١] المملوك[١٢] ، هو المحك والمعيار ، [٩٥ ظ]
وهو الفرق بين الصحة والمرض ، إن قبِله المولى[١٣] وعمل به ، علم المملوك أن المولى صحيح المزاج ، سالم العقل ، نقى البدن (من الأخلاط السوداوية[١٤]) ، وإن رد هذا الرأى ، ولم يقبل هذه المشورة ، ولعن وهران وكل من جاء منها[١٥] ، علم المملوك (أن المولى[١٦]) منحرف المزاج ، قد غلبت عليه الأخلاط

---

(١) ق : وينقطع .

(٢) ق : إلى القابون : موضع بينه وبين دمشق ميل واحد فى طريق القاصد إلى العراق فى وسط البساتين (معجم البلدان ٧ / ٤) . ويبدو أنه كان محل طرب .

(٣) ق : وينكث . (٤) ق : ويترك .

(٥) ق : ويجمع . (٦) س : الغنى .

(٧) ق : الحالة . (٨-) ن فى ق .

(٩) يوم الرملة : واقعة حدثت فى عهد صلاح الدين الأيوبى .

(١٠) ن فى س . (١١) ن فى س .

(١٢) ق : الخادم . (١٣) س : المملوك .

(١٤) الأخلاط السوداوية : خلط السوداء وهو يابس بارد متولد من عنصر الأرض ومسكنه الطحال والجميع يخدم القلب الذى هو بيت الحياة (الدرة البهية ص٣٥) .

(١٥) ق : من وهران . (١٦-) ق : أنه .

السوداوية ، فيأخذ على بركة الله وعونه أهليلج كابلى[١] ، وأسود[٢] ، من كل واحد درهمين ، أفتيمون أقريطش[٣] عشرون درهماً ، بسفايح[٤] وسنامكى من كل واحد عشرة دراهم ، (غاريقون وخربق أبيض[٥]) وملح هندى من كل واحد خمسة دراهم ، أسطخورس[٦] (سبعة دراهم أيارج[٧]) ، فيقرأ خمسة عشر درهماً ، يشرب الجميع آخر الليل، ويقطعه بعد العصر الغذا من[٨] مرقة فروج بأسفيدباج[٩] ، نافع إن شاء الله تعالى[١٠] ، (فإن فعل المولى[١١] هذا ونقى[١٢] بدنه من السوداء ، علم[١٣] أن (نصيحة الوهرانى هى النصيحة والصواب فيها[١٤]) ، والسلام .

---

(١) ق : هليلج كابل : بالهمز أشهر وقد تحذف الهمزة وقيل إنها شجرة وهو أربعة أصناف : الأصفر ، والصينى ، والهندى ، والكابلى وهو أكثرها نفعا (تذكرة أولى الألباب ١ / ٨٨) .

(٢) أسود : إسم نبات طبى .

(٣) س : أفتيمون أقريطش : نبات يونانى معناه دواء الجنون وأجوده الإقريطش وله أصل كالجزر شديد الحمرة ، وبذره دون الخردل (تذكرة أولى الألباب ١ – ٦٠) .

(٤) بسفايح : إسم نبات طبى .

(٥) ز فى س : أسماء نباتات طبية .

(٦) س : أيارج ، أسطوخودس : نبات يونانى معناه موقف الأرواح ، وبالمغرب الحلحال ، وبالبربرية ، سنباجس ، ويسمى الكمون الهندى ، وله سفا كالشعير (تذكرة أولى الألباب ١ – ٦٠) .

(٧) ن فى س .

(٨) ن فى س .

(٩) ق : أسفيدباج : معرب من الفارسية ، وفى اليونانية شميونيون ، وفى العربية سبيداج ، وأجوده الأبيض الناعم ويدخل فى المراهم (تذكرة أولى الألباب ١ – ٦٢) .

(١٠) ن فى ق .

(١١) ق : فان المولى متى فعل .

(١٢) ق : نقى .

(١٣) ق : وعلم .

(١٤) ق : الوهرانى نصيحته هى الصواب .

(وكتب إلى القاضى الفاضل[١])

لو[٢] أن بعض الفضلاء المتقدمين ، (أو أحد الفصحاء[٣]) المتكلمين ، // (خاض فى أودية[٤]) الأوهام، على بنات الأفهام وغاص فى بحار الأفكار [ل ٩٦] على المعانى[٥] الأبكار ليمدح بذلك[٦] السبعة الدرارى[٧]، (حتى يجعل النجوم الجوارى لها كالجوارى ، ثم يصفها[٨]) بما يشرفها فى أفلاكها ، ويجعلها فى عيون أملاكها[٩] ، لما وجد لها أكمل[١٠] من صفات مولاى[١١] القاضى الأجل (الفاضل أبقاه الله[١٢]) حتى لو أن شاعر الفلك وهو الشعرى العبور[١٣] (قصد إلى ملوك الكواكب وحلها[١٤]) ممتدحاً لها ، فوصف زحل بثبات المولى[١٥] وأناته ، ونسب (إلى المشترى ديانته[١٦]) وأمانته ، واستعار(للمريخ عزمه

(١-) ق : وكتب إلى الأثير بن بنان ، ب : وكتب إلى الأثير بن بنان وقيل للقاضى الفاضل .

(٢) ق : ولو . (٣-) ق ، ب : والفصحاء .

(٤-) ق : بحر ، ب : خاض أودية .

(٥) ن ق س . (٦) ق ، ب : به .

(٧) السبعة الدرارى : أسماء كواكب .

(٨-) س : يحمل النجوم لها كالسوارى ثم يصفها ، ب : ويجعل النجوم الجوارى لها كالجوارى ويصفها . . .

(٩) ق : ملاكها . (١٠) ق ، ب : أجمل .

(١١) ق ، ب : سيدنا .

(١٢) ق : الأثير أدام الله علوه وكبت عدوه علم علما يقينا أن الفلك الأثير لايحتوى على مثل القاضى الأثير ، ب : الأثير أدام الله علوه وكبت عدوه وعلم يقينا أن الفلك الأثير لا يحتوى إلا على مثل القاضى الأثير .

(١٣) الشعرى العبور : سبق تعريفه .

(١٤-) ق : قصدها وهو ، ب : قصدها وحلها .

(١٥) ق ، ب : سيدنا . (١٦) ق ، ب : المشترى إلى ديانته .

وحزمه(١) ، وأثنى على الشمس بسياسته ورئاسته ، ومدح الزهرة ببشره ونشره ، وذكر عطارد ببراعته وبلاغته(٢) ، وأثنى على القمر بإنجازه ونجازه لخلعوا عليه(٣) غلائل المجرة ، وكللوه بنجوم الإكليل(٤) ، وأنزلوه فى مضارب سعد الأخبية(٥) ، وأسرجوا له الكواكب مراكب ، ونصبوا له الفراقد مراقد ، وأنعشوا له جماعة بنات نعش (٦) ، وأوقدوا على رأسه نجوم الثريا ، ونثروا عليه كواكب النثرة(٧) ، وأنعموا عليه بمنزلة النعائم ، وأقطعوه بلاد البلدة(٨)، [ل ٩٧] // وأمروا سعد الذابح(٩) أن يذبح له الجدى، ويملأ له الدلو ، ويقلى له الحوت ، ويشوى له الحمل ، وأن يطبخ له الثور كله سكباجا(١٠) ، وأن يحمل له خبز السنبلة ، وثمرة(١١) الجوزاء ، ما يضعف ميزان الفلك عن حمله ، ووكلوا السماك الرامح (١٢) أن يرعاه برمحه ، من دبيب السرطان ، ومن شوكة(١٣) العقرب ، ومن(١٤) ذراع الأسد ، ومن سهام

(-١) ق : المريخ عزمه وحزمه ، ب : للمريخ حزمه وعزمه .

(٢) ق ، ب : وبراعته . (٣) ق : لجعلوا .

(٤) الإكليل : يوجد فى جهة العقرب (المعجم الفلكى ص ٧٧) .

(٥) سعد الأخبية : وهو المنزل الخامس والعشرين من منازل القمر (المعجم الفلكى ص٢٢).

(٦) بنات نعش : تعرف Ursae Majoris وهو اسم لعدة نجوم (المعجم الفلكى ص ١٠٥) .

(٧) النثرة : هو عنقود من النجوم فى السرطان (المعجم الفلكى ص ٨٨) .

(٨) البلدة : إسم نجم .

(٩) سعد الذابح : وهو المنزل الثانى والعشرون من منازل القمر (المعجم الفلكى ص ٣٧)

(١٠) سكباج : مرق يعمل من اللحم والخل معرب سكبا (الألفاظ الفارسية المعربة ص ٩٢) .

(١١) ق ، ب : ومن ثمرة .

(١٢) السماك الرامح : جعله بعضهم الشعرى اليمانية فى لمعانه (المعجم الفلكى ص ٢٣) .

(١٣) س ، ب : شولة . (١٤) ق : من .

القوس ، حتى يعود إلى فلكه ، وهو أسعد النجوم،وحقيق بمن هذه (بعض أوصافه[1])،(أن يسارع الدهر إلى إنصافه ، وبمن هذه النعوت من جلاله ، أن يتفيأ الزمن فى ظلاله ، وأن يخدم الأنام فى ركاب جلاله[2]) ، ومن هذه أوصافه ، أن يحمد وصافه،(فاسأل البارى تعالى أن يحمده العاقبة فى ماله ، وأن يبلغه النهاية من آماله ، بمحمد وآله) .

وأنت أجل من عيـــد يهنى   بعودته   فهنيت   الجلالا

(١-) ق ، ب : خلاله .

(٢-) ق : يمدح جلاله ومن هذه صفاته أن يتفخر بصفاته ، ب : أن يمدح جلاله ، ومن هذه صفاته . أن تتفجر صفاته .

فصل[1]

لا سيما ابن السبيل طالت به فى الشام الغيبة ، وعوقته عن الإسراع الهيبة حتى اكتال من اكتال ، وانكسرت الويبة ، وأنشد له :

والمرء يسعى ورزق الله مقسوم

هذا بعد ما ركب الليل جملا ، واحتذى[2] أديم الأرض[3] نعلا ، [ل٩٨] // وخرج من باب الجابية ، إلى رأس الطابية[4] متلذذاً بالغناء[5] ، طامعاً فى اليسار والغناء :

وإنما يقطّع أعناق الرجال المطامع

فوصل إلى القاهرة كالعاشر من خيول الحلبة ، والتاسع من أولاد الكلبة ، ليس له (طبي يخصه[6]) ولا لبن[7] يمصه ، فوجد الأمور قد تغيرت عن كيانها والقصور تبكى على سكانها :

ومن ذا الذى يا عز لا يتغير

فلولا الإخوان لما ردته أسوان ، ولولا الأصحاب لضاقت به الرحاب .

إن المعارف فى أهل النهى ذمم

(-١) ز ف س .

(٢) ق : واحتدى.

(٣) ق ، ب : النهار .

(٤) ب : باب الطابية .

(٥) ق ، ب : بالعناء .

(-٦) س : تخصه ، والطبى : جمعه أطباء : أثداء الكلبة . فى الأصل طى ولعلها ما أثبتناه .

(٧) س : بن ، ب : بر .

واجتمع يوماً ببعض المعارف ، الراسخين فى المعارف ، فسأله عن أسعار الأشعار ، فأخبره عنها بالكساد والفساد ، وعن أهلها بالحراف[1] والانحراف ، وقال : كل كلام مسجوع ، لا يسمن ولا يغنى من جوع ، وصاحب القصيد ، كالباسط ذراعيه بالوصيد ، وما عند الأمراء ، أخس من ذقون الشعراء ، فلو بشر أحدهم بشار ، وهنأه ابن هانى[2] ، وقصده أبو العلاء ، ونزل به صريع الدلاء[3] ، ومدحه الدؤلى[4] بداليته ، والطائى بطائيته ، والواوا[5] بواويته ، لما أجازه[6] على ذلك // بجوزة ، ولا أثابه[7] [ل٩٩] (على ذلك[8]) بثوب خليع ، وورد أمس الذاهب أهون عليه[9] من أخذ ذهبه ، وخلع الأكتاف أهون عليه من خلعه ، وحنوط الغاسل أقرب من

---

(١) الحراف : الحرمان ومفردها حرفة . (٢) ابن هانئ : أبو نواس .

(٣) صريع الدلاء : أبو الحسن على بن عبد الواحد البغدادى شاعر اشتهر بقصيدة مجونية عارض بها مقصورة ابن دريد ، له ديوان شعر توفى سنة ٤١٢هـ (وفيات الأعيان ٢ - ٥٦ وفوات الوفيات ٢ - ٤٦٩ والأعلام ٢ - ٦٨٠ والمنجد ص ٣٠٤) .

(٤) الدؤلى : هو أبو الأسود الدؤلى ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلى الكنانى : واضع علم النحو ، كان معدودا من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضرى الجواب من التابعين . وفى « صبح الأعشى » أن أبا الأسود الدؤلى وضع الحركات والتنوين لا غير . سكن البصرة فى خلافة عمر ، وولى إمارتها فى أيام على ، استخلفه عليها عبد الله بن عباس لما شخص إلى الحجاز ، فلم يزل فى الإمارة إلى أن قتل على ، وله شعر جيد فى ديوان ، توفى سنة ٦٩هـ (الأعلام ٢ / ٤٥٤) .

(٥) الواوا : أبو الفرج عبد القاهر بن عبد الله بن الحسين الحلبى : شاعر مجيد نشأ ومات بحلب سنة ٣٨٥ هـ (فوات الوفيات ٢ / ١٤٦) .

(٦) ق : أجازوه . (٧) ق : أثابوه .

(٨-) ز فى س ، ب . (٩) ز فى س ، ب .

حنطته ، والشعرى العبور أقرب من شعيره ، وقرط مارية[1] أسهل[2] من قُرطه[3] ، والتبن عنده مثل التبر ، (يعلم عليه بالمداد والحبر ، ويقيس بالشبر[4]) فليس لابن سبيل على ماله سبيل ، فلما سمع الخادم حديثه ، وفهم قديمه وحديثه ، رمى بأقلامه ودواته ، وكتم جميع أدواته ، تمت .

---

(١) قرط مارية : سبق ذكره . (٢) ق ، ب : أقرب .

(٣) القرط : نبات عشبى حولى كلئى مشهور ، من الفصيلة القرنية وهو يماثل البرسيم .

(٤) ن ق ق .

(فصل من أخرى[1])

مولاى القاضى – أدام الله سعادته[2] – يعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « خير القرون القرن الذى بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ، (ثم الذين يلونهم[3]) ، إلى يوم القيامة » ،وقال الله تعالى[4]،(فى أهل ذلك القرن بعينه[5]) : « فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون » فإذا[6] كان قول الله سبحانه[7] عن أهل[8] ذلك القرن الأول هذا[9] القول فكيف يكون الرجل من أهل هذا القرن وهو[10] السادس إذا لم يقنع رئيسه[11] فى حقه بإسقاط ذكر العطاء (فيما بينهم البتة[12]) حتى يتجاوز ذلك إلى انتهاك العرض ، واغتصاب المال// هل عليه من جناح إن[13] سخط وغضب (وشكا وبكى[14]) ولطم (وسود وجهه وشق ثيابه[15]) وقعد فى الشمس قال الشاعر : [ل١٠٠]

ولابد من شكوى ولو بتنفس   تبرد من حر الحشا والترائب

المملوك ينهى أن اليوم الذى أعطى فيه لابن ظفير[16] جميع مايملكه[17]

(–١) ق ، ب : ومن كلامه .   (٢) ق ، ب : سعده .
(–٣) ز فى س .   (٤) ق : سبحانه ، ب : سبحانه وتعالى .
(–٥) ق ، ب : فى أهل تلك القرون .
(٦) ن فى ق .   (٧) ق : تعالى .
(٨) ن فى ق .   (٩) ق ، ب : ذلك .
(١٠) ن فى س .   (١١) غير واضحة فى س .
(–١٢) ق : التيه ، س : إليه .
(١٣) ق ، ب : إذا .   (–١٤) ق ، ب : وبكى واشتكى .
(–١٥) ق : وشق ثيابه وسود وجهه ، ب : وسخم وشق ثيابه وسود وجهه .
(١٦) ابن ظفير : لم نعثر عليه .   (١٧) ق ، ب : ما يملك .

هو اليوم الذى (ركب فيه مع ابن أبى يعقوب[1]) إلى ابن بنان ، وأكد العقد بينهما حتى صار عنده من المقربين ، وكان[2] ذلك اليوم يوم الأربعاء رابع ربيع الآخر والقمر على تربيع زحل ، ورب الطالع العقرب ، والمريخ فى بيت المال ، فكانت العاقبة ميشومة ، وجرى الأمر على أنحس القضايا والأحكام .

أما[3] ابن ظفير فقد[4] مضى حديثه ، كان جرحاً فبرأ .

على أنها تعفو الكلوم [وإنمـــا يوكل] (بالأدنى وإن جل ما يمضى[5])

وأما ابن بنان فأنشب[6] مخالبه[7] فى المملوك من ذلك اليوم ، ولزمه ملازمة الغريم ، لم يخلصه منه تنائى المنزل[8] ، ولا بعد الديار[9] ، ولا مسافة ما بين مصر والقاهرة ، يستدعيه فى الحر والبرد ،(ويطلبه فى[10]) الشتاء والصيف [ل١٠١ظ] // (يأكل مالا يشتهى ويشتهى مالا يأكل[11])، ويجره خلفه ذنباً[12] من مكان إلى مكان ، ويحضره فى (موضع لا يريد مع من لا يريد[13]) كما لا يريد ، يتكلف له السمر[14] بالليل ، والانتصاب فى القائلة نصف[15] النهار بغير تخفيف . ينام فى ثيابه ، ويعاشر ابنه النجيب ، يقاسى الناموس فى الشتاء ، والبراغيث فى الربيع ، والبق فى الصيف ، والذباب[16] فى الخريف ، وكثيراً ما[17]

(-١) ق ، ب : رفع فيه على ابن أبى يعقوب .

(٢) ق : فكان . (٣) ق ، ب : أن .

(٤) ق ، ب : قد .

(-٥) ق ، ب : وإنما يوكل بالأدنى وإن جل ما يمضى .

(٦) ق ، ب : فانه أنشب . (٧) ق ، ب : مخاليبه .

(٨) ق ، ب : المنازل .

(٩) ق ، ب : الدار . (-١٠) ن فى س .

(-١١) ق ، ب : يأكل وقت لا يشتهى ويشتهى وقت لا يأكل .

(١٢) س : ذنب . (-١٣) ق : مع من لا يريد فى موضع لا يريد

(١٤) ق ، ب : السهر . (١٥) ق ، ب : وسط .

(١٦) س : والذبان . (١٧) ن فى س .

تجتمع هذه الأشياء[١] كلها عليه[٢] فى زمان واحد ، هذا[٣] بعد أن[٤] يترك جميع [٥] ما يلزمه من أموره كلها مضيعاً على الشياطين فلو أن المملوك قطع سواد[٦] عمره مع الرؤساء على هــذه القضية لما صبر على تلك[٧] الحال شهراً من الزمان .

---

(١) ن ق ق ، ب .
(٢) ن ق س ، ب .
(٣) ن ق ق ، ب .
(٤) ق ، ب : ما .
(٥) ن ق س ، ب .
(٦) ن ق ق .
(٧) ق ، ب : هذه .

فصـــل

ولا[١] يظن ظان، ولا يتوهم متوهم، أنه يعوضه عن هذه الخدمة[٢] كلها بشيء يقع عليه قيمة من قليل أو[٣] كثير إلا الركوب إلى داره[٤] والصعود في ثلاثمائة درجة ، والمخــاطبة في الرقاع[٥] بالعبد المملوك ، وفي وقت الحضور[٦] بالمولى ركن الدين ، والقيام التام عند (الدخول والخروج[٧]) ، وأشباه هذه الأشياء التي هي[٨] المنة فيها عظيمة ، ولا ترجح[٩]// في الميزان [ل١٠٢] مثقال ذرة وليس الخادم من الناس المتمشقعين الذين يفرحون بهذه المنزلة ويتنافسون[١٠] بها في المجالس لأن هذا الإكرام الذي يعاملني[١١] به هو[١٢] بضاعتي التي منها أنفق ، وعليها أعول في تحصيل فضل المتفضلين ، فإذا كان الرئيس لا يعطي مرءوسه إلا من هذا النقد[١٣] « فأمه هاوية ، وما أدراك ما هية ، نار حامية »[١٤] .

---

(١) ق ، ب : : لا .

(٢) ق : الحالة .

(٣) ق ، ب : ولا .

(٤) ق ، ب : دار الخادم .

(٥) ق ، ب : رقاعة .

(٦) ق ، ب : المحاضرة .

(٧) ق : الخرج والدخول .

(٨) ن في ق ، ب .

(٩) س : يرجح .

(١٠) ق ، ب : ويترفعون .

(١١) ق ، ب : يعاملوني .

(١٢) ق ، ب : هي .

(١٣) ن في س .

(١٤) سورة القارعة آية ٨ ، ٩ : ١٠

فصـــل

وليت هذا المذكور إذ قد علم نزاهة نفس المملوك عن ماله أن يكف عن[1] أذيته ، ثم يخاطبه بعد ذلك بالكلب والخنزير ، ويصفعه بالنعال ، اللهم إلا إن كان[2] الخبز عند الرؤساء مما يعتدون به على الأتباع ؛ فقد أكل من طعامه شيئاً كثيراً لكن هذا المذكور يتيقن[3] أن الخادم قليل الشره إلى طعام المصريين ، وأنه مغربى الطباع إذا وجد الثريد زهد فيما سواه من الألوان؛ لا سيما وقد أملى عليه[4] بديع الزمان لما اجتمع به فى النوم وشكا إليه ما حل به من هذا الرئيس ؛ فقال له فى بعض كلامه الذى لم يظهر بعد : « كسرة من[5] كسر بيتك أحب إليك من المأمونية[6] يمتن بها عليك » وقال له [7] أبو العيناء[8] وكان إلى جانبه : « كف[9] قراقيش من كف قراقوش [10]

---

(١) ق ، ب : عنه .

(٢) ق ، ب : يكون .

(٣) ق ، ب : يعلم .

(٤) س : عليه نسخة .

(٥) ق ، ب : فى .

(٦) المأمونية : نوع من الأطعمة .

(٧) ن فى ق ، ب .

(٨) أبو العينا : محمد بن القاسم أبو عبد الله المعروف بأبى العيناء الإخبارى الأديب الشاعر كان فصيحا بليغا من ظرفاء العالم آية فى الذكاء واللسن وسرعة الجواب ولد سنة ١٩١هـ وتوفى فى بغداد سنة ٢٨٣هـ (معجم الأدباء ١٨/ ٢٨٦ ، الكنز المدفون ص ١٩٤ ، الأعلام ٣ / ٩٦٥) .

(٩) ب : كف من .

(١٠) قراقوش : الأمير قراقوش بن عبد الله الأسدى الملقب ببهاء الدين كان خادم صلاح الدين وقيل أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين فأعتقه ، وكان رجلا مسعوداً صاحب همة عالية ، والناس ينسبون إليه أحكاما عجيبة فى ولايته حتى أن الأسعد بن مماتى ذكر له جزءاً لطيفا سماه الفاشوش فى حكم قراقوش ، وفيه أشياء يبعد وقوع مثلها منه والظاهر أنها موضوعة ، =

ولا الخشكنـــاك (1) من بنان ابن بنان ، فقال لهما هــذا والله مذهبي

[ل١٠٣] // لأني مغربي .

= فإن صلاح الدين كان معتمداً في أحواله الملكية عليه توفي سنة ٥٩٧ﻫ (وفيات الأعيان ص ٦٠٠: ٦٠١ وشذرات الذهب ٤ – ٣٣١) .

(1) ق : الخشكنان : إسم نبات يقال له خشكنانج ويسميه أهل الشام المكمن (تذكرة أولي الألباب ١ – ٢٠١) .

فصـــل

لما يئس[1] الخادم من ابن ظفير وتيقن أن الحرص لايفيد عاهد الله تبارك[2] وتعالى أن[3] لا يأخذ من أحد شيئاً أبداً، وعلم أيضاً أن جارى السلطان (مثل الظل[4]) الزائل لا يستقر له قرار ، وسمع قول الحكيم المروءة كلها فى حفظ المال وتثميره يصان به ماء الوجوه[5] (ويقضى منه[6]) الحقوق ، ووصل إليه من الشام عائلة أخرى لا يكتفون بالقليل أحوجته الضرورة إلى سكنى الساحل ومشاركة التجار ليتحمل[7] ثقلته عن الإخوان والمعاشرين ، فوصل له من الصعيد (وهو غائب فى الإسكندرية خشب عمل[8]) ، فقوموه[9] فى أيام ابن النبيه[10] بسبعين ديناراً ، وعزل قبل انفصال أمره وولى هذا الرجل[11] عند[12] وصول الخادم (من الثغر[13]) فنقم عليه صحبته لابن أبى الحجاج[14] ، فحكى له قول عبد الله بن الزبير للأعرابى : « أجع كلبك يتبعك » فقال له : ما قال[15] الأعرابى ، فإن لوح له الآخر برغيف أليس

---

(١) س ، ق : أيس .　　(٢) ن ف ، ب .

(٣) ق ، ب : أنه .　　(-٤) ق ، ب : كالظل .　　(٥) ق : الوجه .

(-٦) ق ، ب : وتقضى به .　　(٧) ق ، ب : ليحمل .

(-٨) ق ، ب : خشب عمل وهو غائب فى الإسكندرية .

(٩) ق ، ب : قوموه .　　(١٠) ابن النبيه : لعله موظف يتولى أمر الضرائب .

(١١) ق : هذا الرجل عند انفصال أمره .

(١٢) ق : بعد .　　(-١٣) ن ف ق ، ب .

(١٤) ابن أبى الحجاج : لعله يريد موفق الدين ابو الحجـاج يوسف بن الخلال من كتاب السركتب بقية أيام الحافظ إلى آخر أيام العاضد ، وبه تخرج القاضى الفاضل ثم أشرك العاضد مع ابن الخلال فى ديوان الإنشاء القاضى جلال الدين محمود الإنصارى ثم كتب القاضى الفاضل بين يدى ابن الخلال فى وزارة صلاح الدين فلما ملك صلاح الدين كتب له القاضى الفاضل (حسن المحاضرة ٢ / ١٣١) .　　(١٥) ن ف س .

[ل ١٠٤] (يتركك ويجرى وراءه[١]) ؟ ثم جرى فى حديث الخشب // من الكلام ما لا حاجة إلى ذكره ، وبعد (كل حيلة[٢]) أحضر المقومين فقال[٣] لهم : لا تنظروا إلى محل هذا منى والله لئن قومتم خشبه بتقويم الولاة الخونة الذين يضيعون مال[٤] السلطان لأصفعنكم بالنعال ، فقوموه بثمانين[٥] بعد سبعين يأخذ السلطان نصفها ، فخرج المملوك هارباً على وجهه خوفاً من الكلام ، ثم اجتمع بعد ذلك فى عرس ابن ابنه بمصر فلم يفاتحه (فى ذلك[٦]) بكلمة ، وجرى على عادته فى الأنس بالهذيان ، فلما كان نصف الليل صاح عليه من الفراش ، وقال : يا مولاى ركن الدين[٧] علمت[٨] أن كتاب الديوان تفقهوا فى خشبك بعد خروجك فلم يجدوك تستحق منه[٩] سوى سبعة دنانير فأمرتهم بأن[١٠] يثبتوا أمره على هذا المقدار لئلا (يتعقبوا أمره[١١]) كرة ثالثة فيخرجوك على لاشىء .

فوالله ياسيدى[١٢] الذى أنا عبده وخدى لك فى التراب لقد صبحت[١٣] الخوارج وهران[١٤] (فى سبعين ألف مقاتل سوى الأتباع[١٥]) (فى هدوء السحر على غفلة وصاحت صيحة رجل واحد[١٦]) فما شك أحد فى[١٧] أنه النفخ فى

(-١) ق ، ب : يروح وراءه ويتركك .

(-٢) ق : هذا ، ب : هذا كله . (٣) ق ، ب : وقال .

(٤) ق ، ب : أموال . (٥) ق ، ب : بثلاثين .

(-٦) ن فى ق .

(٧) ق ، ب : الركن . (٨) ق ، ب : تعلم .

(٩) ق ، ب : فيه . (١٠) ق ، ب : ان .

(-١١) ق : يتبعوك ، ب : يتعقبوه مرة .

(١٢) ق ، ب : سيدنا . (١٣) ق ، ب : صبح .

(-١٤) ن فى س ، ق . (-١٥) ن فى س .

(١٦) ق : وصاحوا كلهم صيحة واحدة على غفلة ، ب : وصاحوا كلهم فى هدوء السحر صيحة واحدة على غفلة .

(١٧) ن فى ق .

الصور ، فزال كل فؤاد عن مستقره ، وأسقطت(١) كل حامل من النساء والحيوان ، ولقد ركبت بعد ذلك مركباً إلى صقلية ، فأخذنا النوم وهاج(٢) علينا البحر ، فنمت آخر // الليل من شدة الهموم والأحزان ، فما استيقظت(٣) إلا (٤) على [ل ١٠٥ ظ] ارتفاع الأصوات بتكبيرة الغرق ، ولقد بشرت فى الشام بابنة مخدوجة(٥) ناقصة الأعضاء لو عاشت لما عشت ولولا أنها ماتت بالعجلة لمت قبلها(٦) ، ولقد نعى إلى ابن عشر(٧) سنين مثل الدرة المكنونة أذكى من عطارد ، ولكنه(٨) يا سيدى ما(٩) قرع مسامعى (١٠) قط صوت (١١) (أو حش ولا أثقل١٢) (ولا أمقت١٣) ولا أنكى من حديث ذلك المقدم فى ذلك الحين بذلك الحديث (١٤) .

وبعد هذا كله فما اقتصر على ما ضيعه على المملوك(١٥) فى مصر حتى انحدر(١٦) إلى الإسكندرية فتوصل(١٧) إلى استهلاك صبابة كانت له(١٨) هناك ، فلما تعذر عليه ذلك صار لا يقطع مجالس أنسه إلا بتقطيعه ، ولقد حكى لى(١٩) من حضر مجلس الأمير(٢٠) تقى الدين (سلمه الله٢١) أن رجلا من فقهاء

---

(١) س : وانقطعت .
(٢) ق ، ب : وهال .
(٣) ق : انتبهت .
(٤) ن فى س .
(٥) ن فى س ، مخدوجة : ناقصة .
(٦) ن فى ق ، ب .
(٧) س : عشرة .
(٨) ق ، ب : والله .
(٩) ق : لما .
(١٠) ق : سمعى .
(١١) بالأصل : صوتا .
(١٢-) ق : أثقل ولا أوحش .
(١٣-) ن فى ق ، ب .
(١٤) س : الحين .
(١٥) ق ، ب : للمملوك .
(١٦) ق ، ب : نزل .
(١٧) ق ، ب : وتوصل .
(١٨) ق : لى
(١٩) س : له .
(٢٠) ق ، ب : المولى .
(٢١-) ن فى س .

أهل[١] الإسكندرية قال لما جرى ذكر الوهرانى عنده قال[٢] : كنت أعرف[٣] أن الوهرانى متمكناً من[٤] القاضى الأثير وهو روحه التى بين جنبيه ثم[٥] سمعته فى هذه الأيام بالإسكندرية [٦] يهتف به ويقول فيه العظائم ويقطع عليه الشهادة بالكفروالإلحاد فقال له (بعض الجماعة[٧]) //: صحبة فى غير الله [ل١٠٦] آخرها إنا لله ، وقال آخر : سلط الكلب على الخنزير وقال تعالى[٨] : « وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً » وقال آخر : هذا كلام ابن بنان فى الوهرانى اشتهينا نسمع كلام الوهرانى فى ابن بنان وقال آخر :(العير يضرط والمكواة فى النار[٩]) وقال ابن الشهرزورى : وأما رميه له [١٠] بالكفر[١١] والإلحاد فكذب وبهتان من ابن بنان ، لى فى (معاشرة الوهرانى[١٢]) أنا وهذا[١٣] والفقيه البهاء من سنة ست وخمسين وخمسمائة[١٤] فى دمشق ما رأيناه (قط قطع صلاة يوم ولا قراءة سبع من القرآن[١٥]) وقال تقى الدين : كنت أغصبه على منادمتى فلا يزال قاعداً حتى يسمع المؤذن فيقوم من وسط ذلك ويتوضأ[١٦] ويصلى ويرجع يقعد فكنت أعنفه على ذلك فيقول : أبلق خير من أسود هذا الذى جرى فى المجلس بلا[١٧] زيادة ولا نقصان .

---

(١) ن فى ق ، پ .

(٢) ز فى س ، ب . (٣) ق : أعرف أن .

(٤) ق : عند . (٥) ن فى ق ، ب .

(٦) ن فى س . (-٧) ق ، ب : بعضهم .

(٨) س ، ب : آخر .

(-٩) ن فى س . (١٠) ن فى س ، پ .

(١١) ن فى ق . (-١٢) ق ، ب : معاشرته .

(١٣) ن فى س . (١٤) ن فى ق ، ب .

(-١٥) ق ، ب : قطع صلاة من الخمس ولا قراءة سبع من القرآن قط .

(١٦) ق ، ب : فيتوضأ . (١٧) ق : من غير .

فصـــــل

إنما قدم المملوك هذه المقدمات وعدد هذه الجنايات لئلا يظهر عنه بعد هذا نفثة مصدور أو ضربة موتور فيظن ظان (أويتوهم متوهم[1]) من الناس // أن الوهراني شريروسخ اللسان لا يسلم منه(عدو ولا صديق[2]) ومعاذ الله وحاشا لله والله يعلم ويشهد (وكفى الله [3]) شهيداً أن المملوك (يخاف الله فيمن يخاف الله ويراقب الله فيمن يراقب الله [4]) وإنه يراعى هذا الباب مذ كان ، ولقد آذاه جماعةمن أهل الدين والصلاح لتوهم فاسد توهموه فترك أذيتهم والولوع بهم لوجه الله تعالى وخوفاً من عقوبته[5] والله لا يضيع أجر المحسنين ولا يصلح عمل المفسدين والرأى (العالى سموه [6]) فى بسط عذره فى السقطات وقبول(ما اعتذر منه [7]) والسلام[8]) . [ل١٠٧]

(١-) ز فى س .　　(٢-) ب : صديق ولا عدو .

(٣-) ب : وكفى بالله .

(٤-) ب : يخاف الله فيمن يخافه ويراقب الله فيمن يراقبه .

(٥) ب : عقابه .　　(٦-) ب : أعلا .

(٧) ب : ما اعتذرته عليه .　　(٨-) ن فى س .

(وكتب إلى أبى القسم الأعور الملقب بالعون[١])

يا مولاى الشيخ الإمام الزاهد دبوس الإسلام لت[٢] الشريعة جرخ[٣] الفقهاء قنطارية[٤] العلماء تافروت الأئمة طبل باز السنة نصر الله خاطرك وستّر باطلك أنت تعلم أن الله تعالى ماخلقك إلا قلعة؛ ولا تصلح أن تكون إلا قلعة ولكن فى رقاب الرفضة[٥] والملحدين ، وما صورك إلا لالكة ولا يجوز أن تكون إلا لالكة ولكن فى رءوس // المشبهة[٦] والزائغين وأنت لا[٧] شك [ل ١٠٨]
ولا مرية[٨] جعموس (عظيم كبير[٩]) ولكن فى ذقون المبتدعة والمضلين فنسأل

(-١) ق ، ب : وله إلى قسيم الأعور .

(٢) لت : وجمعه لتوت ، ومعناه القدوم أو الفاس الكبيرة أنظر Dozy .

(٣) س : ناجخ ،والجرخ :(Jarkh) مأخوذ عن الفارسية (تشرخ Tcharkh) والجمع جروخ ، وهو نوع من القوس الرامى ترمى عنه النشاب أو النفط ، هكذا تصفه النصوص ، وهكذا وصفه دوزى بأنه (Unearbalete avec laquelle on lançait,Soit des flèches soit le Naphte) وقد ذكر مرضى بن على : تبصرة أرباب الألباب ص ٦ ، ٨ (أربعة أنواع للقوس الرامى الذى يشبه المنجنيق ، وهو قوس الزياد ، والقوس العقاد ، وقوس الرحل ، ويقال للذى يرمى عن قوسه السهام أو النفط « الجرخى » ويقابله بالفرنسية (Arbalétrier) والجمع « الجرخية » أنظر أيضا : (C. Cahen un Extrait-d'armureriece et. p.152) هذا وقد عقد الحسن بن عبد الله : آثار الأول ص ٦٠ فصلا فى صفة القس والنشاب أضاف فيه معلومات قيمة عن الشعوب التى تؤثر استعمال الجرخ ، وعن المفاضلة بين الجرخ والقوس العقاد وأين يستعمل كل منهما ، لأن قوس الجرخ يصنع من القرن ، والعقاد يصنع من الخشب . . . ألخ . (نقلا عن هامش النوادر السلطانية ص ٤٢) .

(٤) قنطارية : الجمع قنطاريات ، وهى نوع من الرماح يصنع من خشب يعرف باليونانية بهذا الاسم (هامش مفرج الكروب ١ / ١٨٣) .

(٥) س : الرفدة .

(٦) ق ،ب : المنافقين . (٧) ق ، ب : بلا .

(٨) ن ق ق ، ب : ولا ريبة . (٩) ق ، ب : كبيرا عظيما .

البارى جلت قدرته أن ينفعك بالإيمان والإسلام وأن (لا يوقعك[1]) يوم القيامة فى يد على (بن أبى طالب[2]) عليه السلام . وأن يستنقذك من أمك الهاوية بشفاعة أمير المؤمنين معاوية .

(تنعم وتتفضل[3]) — بخلاف العادة — وتنجز ما وعدت به حامل هذه الرقعة بين يدى المولى صدر الدين وفقه الله ، وتعجل له[4] ذلك ولا تكن[5] نحساً[6] ، فاحمل على عيال ابن هبيرة[7] عشرة آلاف حمار والسلام[8] :

---

(١) س : يوقعك .
(-٢) ن فى س .
(٣) ق : ينعم ويتفضل .
(٤) ن فى ق ، ب .
(٥) س : تكون .
(٦) ق ، س ، ب : نحس .
(٧) ابن هبيرة : يحى بن محمد بن هبيرة الشيبانى ، ويرتفع نسبه إلى عدنان صنف الكتب وقال الشعر ، تدرج فى المناصب حتى صار وزيرا للمقتفى ثم لابنه المستنجد . توفى سنة ٥٦٠ هـ (خريدة القصر ١٥٦/٢ والنجوم الزاهرة ٣٦٩/٥ ، ووفيات الأعيان ، وشذرات الذهب ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير ٩٣/٩) .
(٨) ن فى س .

(وكتب إلى ابن الحليم الواعظ على لسان الفقهاء(١))

ما تقول(٢) السادة الفقهاء رضى الله عنهم وأرضاهم(٣) فى رجل يرى أنه من أئمة الشرع ومن أرباب الأصل والفرع ؛ ويعتقد (أن له(٤)) الدرجة المنيفة فى مذهب أبى حنيفة ؛ ويقول لو جادلت مالكاً لكنت(٥) له مالكاً، ولو لقيت ابن إدريس لسلم إلى(٦) التدريس ؛ ولو أدركت ابن حنبل لكنت أتقى منه وأنبل، وسره وفقكم الله بخلاف(٧) نجواه ، وفعله يكذب دعواه ، [ل١٠٩] وذلك أنه يبيح الفروج بفروج(٨) ، ويستحل سفك الدما على البيض الدمى(٩) ويأخذ بأرخص الأقوال ، فى استباحة الأموال ، (إن ولى المدارس، صير العلم كالطلل الدارس، وإن دخل الجامع ، صافع فيه وجامع(١٠)) ، وإن سكن المساجد(١١) ، طلب الرقص والشاهد ، وإن صعد للوعظ على الأعواد، حث الحرم على الوفاء بالميعاد ، ومزج لهم الهزل بالجد، فأخرجهم(١٢) فى الحال إلى البد ، ثم إنه لركاكة دينه ، وضعف يقينه ، يصلى قاعداً من غير ألم ، ويبول قائماً على فرد قدم، وتراه(١٣) يسهر على (النمام والورد(١٤))، وينام عن

(١-) ق : وله نسخة سؤال سأل عنه ابن الحكم المدرس لمذهب الحنفية .

(٢) س : يقول

(٣) ن فى ق . (٤-) س : أنه .

(٥) ق : لبرت . (٦) ن فى س .

(٧) ق : يخالف . (٨) ق : للفروج .

(٩) ق والدما .

(١٠-) ق : إن دخل الجامع صانع فيه وجامع وإن ولى المدارس صير العلم كالطلل الدارس

(١١) ق : المشاهد . (١٢) ق : وأخرجهم .

(١٣) ق : فتراه . (١٤-) س : النمام والورد .

ليلة القدر ، يستحل [١] بيع القِبلة بقُبْلَة ، ومكة بصَكَّة ، ولا يشترى حجة بعجة ، ولا عمرة بتَمْرة ، قد[٢] أخرج مال الفتوح والصدقات ، فى وزن المهور والصدقات[٣] ، وصير مال الحبس والأوقاف ، لربات الشنوف [٤] والأرداف [٥] ، وقد [٦] أفرغ فى[٧] الوطء قواه ، واتخذ إلهه هواه ، فغدا بلا عقل ولا حلم ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فبينوا لنا [٨] وفقكم الله . هل يجب للسلطان أن يضرب على يديه ، أو يقره[٩] على ماهوعليه ؟ مأجورين مثابين(إن شاء الله تعالى[١٠]) .

// الجواب على لسان الفقهاء[١١]: إن صح ماذكر عنه من (هذه الخلال [ل ١١٠]
والاختلال فليس إلا أن يذب [١٢]) ، وينبذ قصياً ، بعد أن ينتف من ذقنه ما طال وما قصر وما بين ذلك وما كان ربك نسياً ، وليس من الحقيق[١٣] الجائز ، دفع[١٤] مال الوقف للعجائز ، فان فعل[١٥] ذلك أخذ من نفقته ، مع شعرات من عنفقته ، فإن ثبت عليه القمار[١٦] ، فليس إلا الطرطور والحمار ، هذا مقتضى الدليل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(١) ق : ويستحل . (٢) ق : وقد .

(٣) ق : والصداقات .

(٤) الشنوف : تشنفت الجارية أى أخذت ولبست الشنف ، والشنف هى ما علق فى الأذن من الحلى .

(٥) ق : والأوقاف .

(٦) ق : فقد . (٧) ق : من .

(٨) ن فى ق . (٩) ق : يقربه .

(١٠-) ن فى س . (١١-) ن فى س .

(١٢) ق : هذا الحال وكثرة الأخلال فيجب أن يعزر بديا .

(١٣) ق : التحقيق . (١٤) ق : أن يدفع .

(١٥) س : وإن فصل . (١٦) ق : يثب للفرار .

وكتب إلى التاج الكندى[١] جوابا (عن رقعة[٢])

وصلت رقعة مولاى تاج الدين أطال الله بقاءه ، بلفظ أحسن من نور تفتحه الصبا ، وخط :

كبياض العطايا فى سواد المطالب

يشهد له[٣] من رآه وسمعه أنه كلام[٤] رجل عالى الهمة ، ريان من (الأدب والحكمة[٥]) ، لولا [٦] تفاصحه فى أول لفظة فيه وهى قوله : « ما تفتأ » فإنها وإن كانت فصيحة عربية نطق بها الكتاب العزيز ، فإنها ثقيلةُ الحركةِ قليلةُ الاستعمال ، لم يأتِ له[٧] بعدها (من وحشى اللفظ ما يُناسبها[٨]) // كأنها [ل١١١] من حديث سكان نجدٍ وتهامة عليها روايح الشيح والقَيْصوم[٩] ، فلو أن الشنفرى[١٠] يخاطب عمرو بن برَّاق[١١] بها مافَهِمَها إلا بعد جُهد جَهيد .

---

(١) ق ، ب : تاج الدين الكندى : ستأتى ترجمته .

(-٢) ن فى ق .

(٣) ن فى س ، ب .

(٤) ن فى ق ، ب .

(-٥) ق : الحكمة والأدب .

(٦) ق ، ب : ولولا .

(٧) ن فى ق ، ب .

(-٨) ق : ما يناسبها من اللغة ، ب : من حواشى اللفظ ما يناسبها من اللغة .

(٩) القيصوم : نبات طيب الريح ، زهره مذهب ، ثمره كحب الآس يكون بالبادية (تذكرة أولى الألباب ٢ / ١١٥ ، معجم البلدان ٧ / ١٩٧) .

(١٠) الشنفرى : عمرو بن مالك الأزدى، من قحطان : شاعر جاهلى ، يمانى ، من فحول الطبقة الثانية . كان من فتاك العرب وعدائيهم ، وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم . قتله بنو سلامان سنة ٧٠ ق . هـ . وهو صاحب لامية العرب المشهورة (الأغانى ٢١ / ١٣٤ طبعة ليدن ، والنجوم الزاهرة ٢ / ٩٩ ، واللباب ٣ / ١٠٧ والأعلام ٥ / ٢٥٨) .

(١١) ب : عمر بن براق وعمرو بن براق : هو عمرو بن الحارث بن منبه النهى (بكسر النون) من همدان ، وبراقة وهى أمه،شاعر همدان قبل الإسلام . له أخبار فى الجاهلية . عاش إلى خلافة عمر بن الخطاب،ووفد عليه (الأغانى ٢١ /١٧٥ : ١٧٦ طبعة ليدن،الأعلام ٥/ ٢٤٢) .

ألا ترى أنها لا ينطق بها اللسان حتى ينخلع منها الفكُّ ؟ مع ما فيها من التدقنصرم (١) ، والرقاعة المعجونة بالتبضرم(٢) ، فلأجل(٣) ذلك جاوبتْها الألسن (بألوان من ٤) الضراط .

فصل منها(٥)

وأمـــا كلامه على بيت المتنبي فلا درّه الله لقـــد جاء به ثابت الأصول ،سالم الفصول ، فى نهاية ما يكونُ من الحسن والإتقان ، وفرح به الخادم فرحاً عظيماً كالخصىّ المفتخر بإحليل مولاه ، وعرضه على طالبيه من أهل الأدب فانتقده عليه أفضلهم ، وزيّفَ أكثر كلامه ، وقال : المتنبي فى واد ، وهذا المتكلم فى واد . ولعمرى(٦) لقدحكم بالشهوة(٧) ،ومال(٨) مع الهوى .

كضَرائر الحسناء قُلْنَ لوجْهِها   حسَداً وبَغْياً إنّه(٩) لذمـيم

(وتغالى أجهلهم فى استحسانه١٠) حتى سجد له عجباً،وهام به وجداً ، ورقص عليه طرباً .

والفضل ما شهدت به الأعداء .

فالحمد(١١) لله الذى حقق فيه الأمل ، ونصر به الخاطر ، ولم يخيب فيه الظن والسلام .

---

(١) التدقنصرم : لم نجد لها تعريفا بالمعاجم .
(٢) التبضرم : لم نجد لها تعريفاً بالمعاجم .
(٣) ق ، ب : ولأجل .
(-٤) ق ، ب : بأنواع من .
(٥) ن ق س .
(٦) ق ، ب : لعمرى .
(٧) س : السوية .
(٨) ق : جال .
(٩) ق : إن ذا .
(-١٠) ن ق ق .
(١١) ق : والحمد .

[ل١١٢] // فصل منها(١)

أليس يعلم بسعادته(٢) أن الإنسان إذا تعصب (لأنحس العالم٣) جعله أوحد الزمان ونصر خاطره بالحق والباطل ، ولا يشتهى أن يظهر من ذلك الشخص إلا الحسن الجميل ، فلأجل هذا الحديث(٤)عتب عليه الخادم فى قوله (فى الرقعة٥) تحرك الحار الغريزى ، ولم يقل الحرارة الغريزية ، وساءه ظهور ذلك عنه لما فيه من التشادق (والفشر والتهويل والإشعار٦)بأنه عارف(٧) والخادم يعلم(أنه ما٨) كان يحتاج إلى تأكيد،وأظنه أدام الله عزه خاف أن يقول : الحرارة الغريزية(٩)، فيشبه كلامه(١٠) كلام العامة والسوقة وكوادن(١١) الأطباء وجهال الطبيعيين ، فتخطى هذه الطبقة إلى رتبة الفارابى وابن سينا ، فحمل على عيال أفلاطون عشرة آلاف حمار ، يامولاى تاج الدين (لا تحرد على١٢) ، والله(١٣)ما المزين إلا نحس .

فصل منها(١٤)

وأما تعريضُه لخادمه بالقيادة وعَتبه على زواج النساء الحسان(١٥) العواهر فسيدنا معذورٌ فى ذلك لأنه(١٦) لم يذق حلاوة هذه الصناعة ولا تطعَّم بنعيمها ، ولو أنه أدام الله عزه خرج(من بيته يوما١٧) ولم يترك // (لأهله ذلك اليوم [ل١١٣] سوى١٨)ثمن الخبز والجبن، ورجع بعد ساعة فوجد فيه المكابيب الرفخة ،

---

(١) ن فى س . (٢) كذا فى س ، ق .
(٣-) س : لا يحسن للعالم .
(٤) ن فى ق ، ب . (٥-) ن فى ق .
(٦-) ق : مع الفشر والأشعار ، س : والفشر والتهويل .
(٧) س : بياض بقدر كلمة . (٨-) ق : بأنه فا .
(٩) ن فى ق . (١٠) ن فى ق
(١١) كوادن : الكودن : الفرس الهجين أو البغل .
(١٢-) ق : لا تحرد . (١٣) ن فى ق .
(١٤) ن فى س ، ب . (١٥) ن فى ق .
(١٦) ق : فانه . (١٧-) ق : يوما من بيته .
(١٨-) ق : لم إلا .

والسَّنْبوسك المورَّد والفراخ المُصوص والدجاج المسمَّنُ والقنانى المروَّقة والفاكهةَ النبيلةَ والرياحينَ الطرية ، فتربع فى الصدور وجلس على بطون الفرش وظهور المخاد فَهَشَم[١] رءوس القدور ، وفقأ عيون البيض ، وقطَّع قلوب الخس ، وأخذ الملان ورد الفارغ ، واقترح الأصوات واستعاد الغناء[٢] ، ولم يخرج فى هذا كله إلا التغافل وحسن الظن وقلة الفضول لِعَشق تلك[٣] الحالة ودخل فيها بجملته ولدعا[٤] وسأل الله تعالى أن يحييه قواداً ، ويميته قواداً ، وأن[٥] يحشره فى زمرة القوادين . ويظن الخادم أنه فيما[٦] يتلوه عليه من هذه[٧] الأساطير ، (كجالب التمر إلى هجر[٨]) ، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه .

(وابن اللبون إذا ما لز فى قرن   لم يستطع صولة البزل القناعيس[٩])

ومهما[١٠] جهل[١١] من فضل زواج النساء العواهر[١٢] الحسان المتهمات[١٣] فلا يجهل أن أكل الحلاوة مع الناس أطيب[١٤] من أكل الخرا وحده[١٥] .

فصـــل :

وأما اتهامه للخادم[١٦] بأنه لمَّا استعرض منه البقيار[١٧] للبيع // أنه عرَّضَ [ل١١٤] به للطَّلبِ ، فقد حلف له على نَفْى هذه التهمة ، وهو لا يُصدقه . فما بقى

---

(١) ق ، ب : وهشم.   (٢) س : الغنى .
(٣) ق ، ب : هذه.   (٤) ن فى س .
(٥) ن فى ق ، ب.   (٦) س : ما .   (٧) ن فى ق .
(٨) كجالب التمر إلى هجر : أصل المثل كمستبضع التمر إلى هجر : قال أبو عبيد هذا من الأمثال المبتذلة ومن قديمها ، وذلك أن هجر معدن التمر ، والمستبضع اليه مخطئ (مجمع الأمثال ٢ / ١٥٢) .
(٩) ن فى س : وهذا البيت أحسن أمثال جرير (الأغانى ٥ / ٨٦ ، وكتاب خمس رسائل ص٤٢) ، والبزل : نوع من الوعول ، والقناعيس : مفردها قنعس وهو الشاب الفتى ٢/١٣ ؛ Dozy) .
(١٠) ق : وبما .   (١١) س : جعل .
(١٢) ن فى س .   (١٣) ن فى ق ، ب .
(١٤) ق ، ب : خير   (١٥) ق ، ب : مفردا .   (١٦) ن فى س .
(١٧) البقيار : نوع من العمائم ، العمامة الكبيرة التى يستخدمها الوزراء والكتاب (١/١٠٥ Dozy) ، والمراد أن تعريضه للبيع يستوجب التحقيق مع صاحب .

إلا أن(١) يحمل الكلاب على عيال من رآه لذلك أهلا قط ، ويحمل الحمير على أم(٢)الذى يعطيه إيّاه(٣) أبداً، ولاشك أن الخوف على البقيار غلب عليه، حتى لو كتب الخادمُ له (٤) لا إله إلا الله قال: هذا تعريض بالبقيار كما قال الله تعالى « يحسبون كل صيحة عليهم(هم العدوُّ٥) »

(وكلما رأى غير شيء ظنه رجلا٦)

وكيف(٧) يجوز للوهرانى أن يطلب بقياراً جديداً من رجل بغدادىَّ الحسب ، تاجر المكسب ، شاعر المذهب ، كندىُّ الأصل ، والنسب(٨)، وهذه الخلال لم تجتمع فى كريم قط؟ ألا ترى أن أكثر(٩) من اجتمع(١٠) فيه(أكثرها ملك كندة١١) امرؤ القيس بن حجر(١٢)،وهو القائل يوم دارة جلجل(١٣) لما(١٤) نحر ناقة(١٥) تساوى ثلاثة دنانير لنساء فيهن محبوبته :

ويوم عقرتُ للعـــذارى مطيّتى فيا عجباً(١٦) من رحلها (١٧) المتحمل
فظل(١٨) العذارى يرتمين بلحمها وشحمٍ كهدّابِ الدمقسِ المُفتـــلِ

فلو كانت(١٩) محبوبتُه عاقلة لشخمت(٢٠)وجوه العذارى بلحمها(٢١)،

---

(١) ن فى س . (٢) ساقطة فى س .
(٣) ن فى س . (٤) ن فى س
(٥) ن فى س .
(-٦) ن فى س ، ب : وكما قال الشاعر (إذا رأى غير شىء ظنه رجلا) .
(٧) ق ، ب : فكيف . (٨) ن فى ق .
(٩) ن فى ق . (١٠) ق : اجتمعت .
(-١١) ن فى ق . (١٢) ن فى س .
(١٣) دارة جلجل : قال الأصمعى وأبو عبيدة هى من الحمى . . وقال غيرهما هى من ديار الضباب بنجد فيها يواجه ديار فزارة ، ذكرها امرؤ القيس (معجم البلدان ٣ / ١٢٠) .
(١٤) ق ، ب : وقد . (١٥) ق : ناقته .
(١٦) ق ، ب : فواعجبا . (١٧) ق : شحمها .
(١٨) ق : يظل . (١٩) ق : فلو أن .
(٢٠) ق : شخمت ، ب : سخمت . (٢١) ق ، ب : بشحمها .

وأدخلت ما بقى منها فى إستها(١) . وهذا أبو الأسود الدؤلى(٢) شاعر مفلق، وهو أول من تكلم فى النحو، // خرج ليلة(يتمشى فى داره ٣) ، فسمع حماراً له يعتلف ، فقال : إنى لنائم فى فراشى ، وأنت تسرى فى مالى ، والله لا بقيت لى فى دار(٤) ، ولا ملك، وأصبح به إلى السوق(٥) ، فباعه بأبخس الأثمان . [ل١١٥]

(وهذا أبو الطيب المتنبى ، شاعر مفلق٦) ، كندى، لما أفرغت بين يديه جائزة(٧) القصيدة(٨) المشهورة وأمر بردها إلى كيسها، تعلقت (قطعة منها٩) بخلال(١٠) الحصير فجعل يعالجها وينشد :

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب

(ولما خاف عتب الجماعة الحاضرين١١) ، قال: لا تحقروها فإنها تحضر المائدة ، فكان عذره أقبح من ذنبه ، ولو تتبع هذا لطال . ودع عنك هذا كله. او(١٢) كان الخادم ممن يهون عليه التبذل والكدية(١٣) لكدى (من بنى شادى(١٤) الذين هم فتيان الجود وبرامكة الوجود(١٥)، لاسيما المولى عز الدين(١٦) (- أدام الله نعمته ١٧ -) الذى يمينه أندى من الغمام، وعزيمته أمضى من

---

(١) ق : فسها (٢) أبو الأسود الدؤلى : سبقت ترجمته .

(-٣) ق ، ب : من داره . (٤) ن فى ق .

(٥) ق : الأسواق . (-٦) ن فى ق .

(٧) ق : الجائزة . (٨) ن فى ق .

(-٩) ق : منها قطعة . (١٠) ق ، ب : فى خلال .

(-١١) ق ، ب : ولما ظفر بها وخاف العتب من الحاضرين .

(١٢) ق : ولو . (١٣) ن فى ق .

(-١٤) ق : بنى شاذ ، ب : بنى شاذى. (١٥) ق : الزمان .

(١٦) عز الدين : يريد عز الدين موسك وقد سبقت ترجمته .

(-١٧) ن فى س .

الحسام ، ووجهه أبهى من البدر ليلة التمام ،(وهو على الحقيقة نهر الجود بن ماء السماء بن بحر السماح [١]) :

وَرِثَ المكارم عن أبيه وجَدِّه كالرمح أنبوبٌ على أنبـــوبِ

[ل ١١٦] // وأيُّ رجل (أغبى وأخسر صفقة[٢]) من رجل كندى يكدى من الذى لقبه « أبو يأخذ » ويترك المولى عز الدين ولقبه[٣] « أبو المواهب » ! وهل[٤] هو فى ذلك إلا كرجل ورد على هذا النيل فتركه ناحية وحفر إلى جانبه فى أرض صلبة[٥] سبخة كبريتية لعله أن يخرج منها[٦] ماءً ملحاً زعاقاً [٧] ويترك الماء العذب الزلال بغير كلفة (ولا عناء[٨]) وأنشد :

وإنى وتركى ندى الأكـــرمينَ وقدحى بكفى زناداً شحاحا[٩]

كتـــاركةٍ بيضهـــا بالعــــراءِ ومُلْحفة[١٠] بيض أخرى جناحا

كأنى به[١١] أدام الله عزه إذا قرأ هذا الفصل[١٢] قال: أحسنت هذا[١٣] مما كنا فيه، لما يئس من العبد رجع (إلى المولى[١٤]) والله لا تم له معى مَضْرَبٌ أبداً . ليس الأمر كما ظن ، والوهرانى[١٥] ماهو مجنون يطمع فيمن يسمع قولك ، ويرجع إلى رأيك ، وأنت الغالب على أمره ، امرأة الوهرانى طالقٌ ثلاثاً

(١-) ن فى س .

(٢-) ق : أخس وأغبى ، ب : أجهل وأغبى وأخسر صفقة .

(٣) ق ، ب : لقبه .

(٤) ق ، ب : وما .

(٥) ن فى ق ، ب .

(٦) ن فى س ، ب : له .

(٧) ملحاً زعاقاً : غليظاً لايطاق شربه

(٨-) ن فى س.

(٩) ق : سجاحاً .

(١٠) ق ، ب : وملبسة .

(١١) ن فى س .

(١٢) ق : البيت .

(١٣) ق : ب : وهذا .

(١٤-) ق : للمولى .

(١٥) ق : الوهرانى .

البتة ، لا آخذ منه درهماً أبداً ، وأشهد الله عليه[١] ، أن ماله عليه حرامٌ، مثل الميتة والدم ولحم الخنزير .

وأمّا تعريضه للخادم[٢] بالصفع فليته لو فعل حتى يستوفى ماله عليه منه[٣] وتبرأ ذمّته فى الدنيا قبل الآخرة،// وهو أهون عليه من أن يستوفى[٤] [ل١١٧] ذلك[٥] منه فى حظيرة الجحيم[٦] بأنامل[٧] من نار، ورأيه العالى فى التغاضى والسلام .

(١) ن ف ق ، ب .
(٢) ق ،ب : له .
(٣) ن ف ق .
(٤) س : تستوفى .
(٥) ن ف ق .
(٦) ق : حضيرة جهنم .
(٧) ق ، ب : وبالانامل .

وله نسخة يمين كتبها إلى

ابن مُسلم الشاهد

(وكان من الإماميّـــة [1])

(ممن يقول بالإمام القائم المنتظر ومتّهم بأن الكامل بن شاور أودعه وديعة[2]) .

وحقّ الحجاب والكتاب ، والبغلة والسّرْداب ، والإمام القائم ، الحىّ الدائم ، الذى لا يموت ، ولا يفوت ، ولا يحتاج إلى القُوت ، ما أحدثت فى ملكى هذا[3] حدثاً يوجب الفسخ ، وإلا قلت : إن الأمة لم ترتد عن الإسلام ، بعد النبي عليه وآله[4] السلام . وإن أصحابه العشرة لم يتمالئوا على ابن عمه حيدرة[5] ، وإن (ابن أبى قُحافة [6]) أحق[7] منه بالخلافة ، وإنّ عُمر بن الخطاب أعلم[8] منه بالحكمة وفصل الخطاب ، وإنّ الخليفة عُثمان سبقه إلى الإيمان ، وإنّ مُعاوية فى كل ما ادّعاه من المطالب أحق به من على بن أبى طالب .

(1-) ن فى ق .

(2-) ن فى س .

(3) ن فى س .

(4) ن فى س .

(5) حيدرة : على بن أبى طالب (تاريخ الطبرى ص٣٤٦٦)

(6-) ابن أبى قحفة : أبو بكر الصديق (النجوم الزاهرة ١/ ١٠٦ والكنز المدفون ص٢٢٧)

(7) ق : أولى . (8) ق : أولى .

وإلاَّ قلت: إنَّ أهل السنة يدخلون الجنة، وإنَّ مذهب الشيعة، كسراب بقيعة، وإلاَّ حشرنى[١] اللهُ مع يزيد إذا قالت النارُ: هل من مزيد، وسلط على أنواعِ[٢] البلاء، (ولا حشرنى[٣]) مع شهيد كربلاء، وإلاَّ أذابَ اللهُ كلَّ دينار استودعنيه[٤] الكامل فى حدقتيه، //ولا أراه فى دولة العز (ما يقرُّ عينيه[٥])، [ل١١٨] والسلام[٦].

---

(١) س: حشرة.

(٢) ن ف س.

(٣–) س: ولاحشره.

(٤) س: استودعه.

(٥–) ق: تقربه عينيه.

(٦) ن ف ق.

وله نُسخة يمين أُخرى كتبها يستحلف بها

ابن النقاش(١)

على ذهب كان له عنده

وحقّ العلة الأُولى ، والطبيعة الفاعلة ، والقوة المصورة ، واستقص الأركان،وهيولا الحيوان،والمعنى القائم بالإنسان .... وإلا قلت : إنّ الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق ، وأنّ الجنة حق ، وأنّ النار حق ، وأن الساعة آتية ، لا ريب فيها ، وأنّ الله يبعثُ من فى القبور،وإلاّ قلت : أن الله خلق آدم فى السماء من تراب الأرض والماء، وإنّ نوحاً عليه السلام لبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وإلاّ قلت : إنّ ابراهيم الخليل ألقاه النمرود بن كنعان فى النار المحرقة فصارت عليه برداً وسلاماً ، وأنّ موسى بن عمران ضرب البحر بعصاه ، فانفلق فيه اثنا عشر طريقاً ، حتى عبرت فيه بنو إسرائيل . وأنّ يوشع بن نون استوقف الشمس فوقفت له حتى فرغ من قتل الجبارين ، وأنّ سليمان بن داود كان يركب متن الريح فتظله الطيرُ، وتخدمُه الجنُّ والشياطين ، وأنّ المسيح بن مريم ولدته أمه من غير ذكر ، وأحيَا عاذر بعد موته // بثمانين سنةً ،وتكلّم فى المهد وهو ابن سبعة أيامٍ ، [ل ١١٩]

---

(١) ابن النقاش : على بن عيسى بن هبة الله ، أبو الحسن ، مهذب الدين ابن النقاش : عالم بالطب، أديب له مشاركة فى الحديث . ومولده ومنشأه ببغداد . أقام فى دمشق ، ثم فى القاهرة وعاد إلى دمشق فتوفى بها سنة ٥٧٤هـ . كان له مجلس عام للمشتغلين عليه بالطب ، وخدم الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى وبقى سنين فى بيمارستان الكبير ،وكتب له كثيرا من الرسائل إلى النواحى وبعد وفاة نورالدين خدم السلطان صلاح الدين . (طبقات الأطباء ٢ / ١٦٢ ، الأعلام ٥ / ١٣٤ ، ١٣٥)

ونزلت عليه المائدةُ من السماء ، فيها الخبزُ والبقلُ والخلُّ والسمكُ المشوى والرُّمان ، وإلاَّ كفرْتُ بما قاله أرسطاليس فى قِـدَم العالم ، وما قاله أفلاطون فى تكذيب النبوة، وجحدت ما قاله فيثاغورث فى تناسخ العالم ، وما قاله جالينوس فى أن الطبيعة أحرقت الصانع ، واستولت على التدبير ، وأن مالكا والشافعىَّ وأبا حنيفةَ وأحمدَ أفضلُ عند الله منهم وأهْدَى إلى الصراطِ المُستقيم(١) .

---

(١) ن فى ق .

(–وكتب إلى قاضى الفاسقين وهو بمصر عن نائبه بدمشق

يخبره بما صارت إليه الأحوال بعـــد توجهه إلى الديار المصرية –)

المملوك النائب عن مجلس الفسق الوضيع بالشام – أوله : كل من فى الوجود نحس إلا واحد .

أطال الله قُرونَ مولاى القاضى الأجم الفاضل ، الإمام العالم ، قاضى الفاسقين ، إمام اللاَّطة ، مُفتى الفسقة ، تاج الزُنَّاة ، عزّ العلوق ، جمال المشارب ، قُطب الدّساكر ، مُقَدّم الخرابات ، رئيس المواخير ، فخر البدود ، ذو القرنين الحاضر أقود العالم مصطفى غلام أمير المؤمنين ، مسخرة نَفَّاط غلام أمير المؤمنين ، وأدام الله سروره وأفراحه ، وبلغه أمله واقتراحه ، وأدام اغتباقه واصطباحه[١] // [ل ١٢٥] ، ولا زالت يمينه مطية (لفصوص القداح[٢]) ، وفلكاً لشموس الأقداح ، ومنزله مأهولاً بالولدان ، معموراً بالقحاب ، والمُردان ، ونغانغه بمجون العلوق محمرة ، وأحداقه بأكفهم[٣] مخضرة ، وخيول اللهو إلى فنائه مسرعة[٤] ، وسحائب[٥] الصفع (عن ربوع[٦]) أكتافه

(–١) ق : وله على لسان نائب قاضى الفاسقين بدمشق حين رحل عنها قاضى الفاسقين إلى مصر يخبره بما صارات الأحوال اليه بعد توجهه . المملوك النائب عن مجلس الفقه الوضيع أطال الله قرون مولاى القاضى الأجم إمام اللاطة وأدام له العز والسرور ومتعه بالغفلة والغرور .

(–٢) فصوص القداح : حبيه .　　(٣) ق : بلكامهم .

(٤) س : شرعة .　　(٥) ق : وصحائف .

(–٦) ق : فى .

مقلعة، ولا جعل لسلطان [1] الدرة [2] على قفاه سبيلا ، ولا لطوارق القلع [3] إلى [4] رأسه دليلا .

كتبت (هذه الأحرف إليه [5])، يسّر اللهُ معاصيه، وبارك له [6] فى مخاصيه أشكو إليه ما عندى من الشوق [7] إلى طلعته وصلعته، والحنين (إلى قاعته ورقاعته ، والارتياح إلى قامته وهامته [8]) ، فشوقى [9] إليه شوق الفاسق [10] اللايط إلى المباعر ، والمنقطع إلى [11] لحوق الأباعر ، (وحنينى إليه حنين الجُعل [12] إلى الأرواث ، واللايط إلى شم الأخباث [13]) ، وارتياحى إليه (كارتياح الأرملة إلى البعال ، ورأسه إلى مباشرة النعال [14])، (فأقسم له بالغصن إذا استوى ، والحقف [15] وما احتوى ، والصدغ إذا التوى [16]) ، فلو [17] خط بعض شوق إليه على وجوه الحسان لكسفها ، وعلى رُبَى الأكفال [18] لنسفها ، (أو حل بالعاشق لسلاَّه ، // وبالأمر الفادح لجلاَّه [19]) ، فنسأل [20] [ل ١٢١]

---

(١) س : السلطان .

(٢) الدرة : السوط يضرب به . (٣) القلع : المقرعة يضرب بها .

(٤) ق : على (–٥) ق : إليه .

(٦) ن ف ق . (٧) ق : الارتياح .

(–٨) ق : إلى هامته وقامته والتطلع إلى قاعته ورقاعته .

(٩) ق : وشوق . (١٠) ن ف ق .

(١١) س : عن . (١٢) الجعل : ضرب من الخنافس .

(–١٣) ن ف ق .

(–١٤) ق : كارتياح رأسه إلى النعال والأرملة إلى لذة البعال .

(١٥) الحقف : ما استطال واعوج من الرمل والجمع أحقاف وحقوف .

(١٦) ن ف ق . (١٧) س : لو.

(١٨) الأكفال : مفردها كفل : عجز الإنسان أو الدابة .

(–١٩) ن ف ق . (٢٠) ق : فاسأل .

الذى قضى بالبين أن يؤلفنا بالنيربين ، والذى ابتلانا[1] بالصدود أن يجمعنا فى بعض البدود ، بمنه وكرمه ، وأما غير ذلك (كثر الله أرباحك ، وأدام على المعرفة نباحك[2]) ، فلا تسأل عما (يقاسيه الخادم[3]) من جور العلوق ، واهتضام المشوق ، وبعد ما بين القهوة[4] والحلوق ، وما قد ابتلينا به من القضاة المخالفين ، (والأئمة المسخفين[5]) ، من إقامة الحدود ، وتعطيل البدود وتحريم الزمر ، وتبطيل[6] أبواب الخمر ، وضربهم[7] للسكران ، ولو أنه الحكيم بن المطران[8] ، وأخذهم أشدّ[9] العهود على النصارى واليهود ، (فصارت القهوة[10]) أقل من أخلاط الجسد ، وأعز من جبهة الأسد، لا تُبصر فى الليالى ، إلاّ[11] كطيف الخيال ، ولا فى النهار ، إلاّ عند إراقتها فى الأنهار ، ونحن (معهم فى شدة[12]) ، إلى أنْ تنقضى هذه المدة ، (وعند التناهى يكون الفرج[13]) (وكلما تزايد إنكارهم ، وتفرغت للتعذير أفكارهم ، ذكرنا — عزك الله — تعصبك ووفاك ، وردعك لنا بقفاك[14]) ، وأما العلوق — لعنهم الله[15] — ورد كيدهم فى نحورهم ، ومكن رماحنا[16] من ظهورهم ، فإنهم لما علموا

---

(1) ق : قضى . (-2) ن فى ق .

(-3) ق : ما أقاسيه . (4) القهوة : إسم من إسماء الخمر .

(-5) س : والفقهاء والمتحشفين . (6) ق : وتعطيل .

(7) ق : وجلدهم .

(8) الحكيم بن مطران : لعله يريد الموفق أسعد بن مطران الطبيب كان نصرانياً فأسلم وكان عزيز المروءة حسن الأخلاق متعصباً للناس عند السلطان، وكان يعود المرضى والفقراء ويحمل إليهم الأشربة من عنده والأدوية حتى أجرة الحمام ، وكان مليح الصورة ومات بدمشق سنة ٥٨٧هـ ودفن بقاسيون (شذرات الذهب ٤ / ٢٨٨) .

(9) ن فى ق .

(-10) ق : حتى صارت الخمر . (11) ن فى ق .

(-12) ق : فى وسط الشدة . (-13) ق : وعند التناهى يقصر المتطاول .

(-14) ن فى س . (15) ن فى ق .

(16) س : أرماحنا .

بسفرك ، وأمنوا من بوادر ظفرك ، اشتدوا[١] بنفوسهم ، وركبوا فى الجور على رءوسهم ، يعذبون العُشّاق ، // ويقتلون[٢] المشتاق ، ويضعفونهم[٣] [ل١٢٢] بالتشريخ ، ويصقلون أقفيتهم بالتمريخ ، ويُجوّزون ... كالأذقال[٤] ، ويتعامون للعاشق عن الإدخال ، (... مع الغير بالفلوس ، ويبخلون على العاشق بالجلوس[٥]) ، فأقسمت[٦] يا سيدى بمداسك وراسك ، وحقّ النعل إذا طنّ ، (والوتر إذا زن[٧]) ، (والركب إذا عرّش ، والعلق إذا شرش[٨]) ، لو كنت فيهم[٩] كالأمير ، لأشهرتهم على الحمير ، وحرمت عليهم نتف الذقون ، ودلك الساقات والبطون ، حتى يُريحنا الشعر من الصُّداع ، ويبقى أحدهم على أكلة والودَاع ، (وأعجب من ذلك ياسيّدى أن أحدهم إذا عبثَ الشعر بساقه ، تجبّر على عُشّاقه ، وإذا تسرولت أليته ، عظمت بليته ، وكلما طال شعره ، ارتفع بين العلوق سعره ، وليس ذلك إلا لطول غيبتك عنّا ، وبعد أوبتك منّا ، فنسأل البارى جلت قدرته أن يردك إلى الأهل والقرَابات ، ويُشرّف بك البدودَ والخرابات[١٠]) ، وأشد[١١] من ذلك يا سيّدى ما حدثنى به من (ينتمى إلى هوى أبى بكر اختمى أن قمته وقرعته محلوقة ، كخده لما كانت له دبوقة[١٢]) ، // وهذه[١٣] من النعم التى يجب أن تُكفر ، (ومن

---

(١) ق : استبدوا . (٢) ق : ويهجرون .

(٣) ق : ويضجرونهم . (٤) ق : كالأفجال .

(-٥) ق : ويبخلون على الهايم بالجلوس و . . . مع غيره بالفلوس .

(٦) ق : واقسمت . (-٧) ق : والدن إذا رن

(-٨) ن فى ق . (٩) ن فى س .

(-١٠) ن فى ق . (١١) ق : واعجب .

(١٢) أختمى كذا فى س ، ويبدو أنه ليس لها محل . أما رواية ق : سمى الذى هوى أبى بكر احتبى أن شعره اليوم وقرعته محلوقة كجدره لما كانت له دبوقة ، والدبوقة : الشعر المنسوج أو المضفور .

(١٣) ق : وهذا .

[ل ١٢٣] الذنوب[1]) التى لايجوز أن تغفر ،(فلو نتف أحدُنا ــ أصلحك الله ــ سبالَه ، ومزق سرباله ، لما وصل إلى بُغيته ، ولو عمل الخرا فى جوف لحيته[2]) ، فإن كان[3] لك حاجة بولايتك ، فاطلع علينا برايتك ، من قبل أن (يسلوا العاشقون ويتوب إلى الله الفاسقون[4]) . فيتغير[5] الهندام وتكسد أسواقُ المعاصى بالشام والسلام[6].

ومتى عزمت على الإياب ، فحصّل[7] النفقة والثيابَ ، (لكيلا تموت بالجوع ، وتندم على الرُّجوع[8]) ، ولا تطمع فى التكسُّب بالشعر ، فقد راح ذلك السعر ، ولو[9] قلت اليوم الحماسة ، ما حصل لك بها كُناسة ، ولو أنك امرؤ القيس ، (كنت عندهم مثل التيس[10]) ، ولو أنك ابن منير ، حمَّلوا على عيالك الحمير ، (وما ذاك إلا[11]) لأن الجود قد استقل ، والكرم[12] قد انتقل ، وقد وصل إلى[13] قليوب ، ملازما[14] لبنى أيوب ، ونحن فكما[15] قال الوهرانى (فى قصيدة له[16]) :

أنست بنو شاذى بمصر وأهلها   فبكت دمشق عليهم والشـــام

(ــ١) ق : والذنوب .

(ــ٢) ق : نتفت أعز الله سبالك ومزقت من الغيظ سربالك لما وصلت إلى بغيتك ، ولو عملت الخزا فى لحيتك فلا جرم أن الله تعالى ابتلانا بالخسوف ورمانا بالكسوف وروعنا بالزلازل وأخرجنا من المنازل .

(٣) ق : كانت .

(ــ٤) ق : يتسلى العاشق ويتوب إلى الله الفاسق .

(٥) ق : فينفسد .

(٦) ن فى ق .

(٧) ق : فاكثر من .

(ــ٨) ق : لئن لا تندم على الرجوع ، وتموت بالبرد والجوع .

(٩) س : لو .

(ــ١٠) ق : صفعوك بجلد التيس .

(ــ١١) ن فى ق .

(١٢) ق : والندى .

(١٣) س : تعدى .

(١٤) ق : طالبنا .

(١٥) ق : اليوم كما .

(ــ١٦) ن فى ق .

رحل الندى والجود يوم رحيلهم　　　وتخلَّف(١) الحرمانُ والإعـــدامُ
//كانوا لنــا كالوالدين تعطفــاً　　　فاليومَ نحــن لبُعْـــدهم أيتــامُ [ل١٢٤]

(فانظر لنفسك ، واتعظ بأبناء جنسك ، ورأيك فى ذلك أعلا والسلام[٢]) .

(١) س : وتخلف .　　　(-٢) ق : عرفتك ذلك وطالعتك والسلام .

وله فى صفة شربة لأهل الهوى

يُؤخذ على بركة الله وعون الله أوقيتين[1] من صافى وصال الحبيب، منتقاة من عيدان الجفا وخوف الرقيب، وثلاثة مثاقيل من نور الاجتماع، مُنَقَّاة من غلث الهجر [و] البعد والانقطاع، وأوقيتين[2] من خالص الوداد والكتمان، منزوعة من نوى[3] الصدود والهجران، وعناق النحور، وضم الصدور، ولثم الثغور، ولزم الخصور، من كل واحد مثقالين شهيق حلبى، وغنج عراقى، وظرف قاهرى، من كل واحد مثقالين – مائة بوسة رمانية محكوكة مرضوضة، منها خمسين صغار سُكَّرية، وثلاثين زق الحمام، وعشرين عصافيرية، وأوقيتين مص اللسان مع الشفتين، ولثم الفم مع الوجنتين، يُدق الجميع ويخلط ويذر عليه ثلاثة دراهم غلمة[5] مصرية، وأربعة دراهم قَرْص أعكان مطوية، ويغلى فى مجلس جديد ديباج طرسوسى[6]، مع خمسة دراهم دلال تنيسى[7]، وخمس رهزات[8] // هندى، وأربع فتلات اسكندرانى، [ل ١٢٥]

---

(١) كذا فى الأصل وصحتها (أوقيتان) . (٢) يتكرر نفس اللحن .

(٣) رسمت فى الأصل بالألف فان أراد بها جمع نواة فحق العبارة (منزوع منها نوى الصدود) .

(٤) يتكرر اللحن السابق فى ١ – ٢ .

(٥) الغلمة : شدة الشهوة إلى الجماع .

(٦) طرسوسى : نسبة إلى طرسوس مدينة بثغور الشام من أنطاكية وحلب وبلاد الروم .

(٧) تنيسى : نسبة إلى تنيس من أشهر بلاد القطر المصرى فى صناعة النسيج الفاخر (حالة مصر الإقتصادية فى عصر الفاطميين ص ٣٨١) .

(٨) رهزات : ارتهز لكذا : تحرك واهتز ونشط .

ويُصفى على مطرح دبيقى سلطانى ، ويُحل فى أوقيتين من شراب الرضا ، وأوقيتين من ورد مربا اللقا ، يُشرب على الريق ثلاثة أيام ويكون الغذاء مُزَوَّرة يقطين[1] الاشتياق ، ويُضاف إليها قلب لوز العناق ، وماء ليمون الأنفاق ، ويتناول بعد ذلك ثلاثة أرطال من المدام ، ويتبعه برطل شيل الرجلين ودخول الحمام نافع إن شاء الله تعالى :

(١) مزورة يقطين : المزورة : كل غذاء دبر للمريض بدون لحم (محدثه) واليقطين : القرع .

(وكتب إلى مجد الدين بن عبد المطلب[١]) (وزير تقى الدين[٢])

عبد مولاى الوزير الأجل السيد الفاضل الأوحد مجد الدين شرف الإسلام (شمس الخلافة بهاء الملة أوحد الرؤساء سيد العراقين[٣]) أطال الله بقاه، وأدام علاه[٤]، (وكبت حسدته وأعداه[٥])، كتب[٦] هذه الأحرف على حال عجلة شديدة[٧] وعنده من الشوق والحنين مثل ما عند أهل الفيوم إلى المولى تقى الدين وإنما علم المملوك حقيقة ذلك لأنه صعد إليها فى هذه الأيام، ليتفرج[٨] على صنعة يوسف بن يعقوب (عليهما السلام[٩])، ويتبصر آبار ابن أخى يوسف بن أيوب[١٠] ــ متعا بالدوام ــ فشاهد من محبة أهل البلد للمولى[١١] الصاحب المخدوم ما يتجاوز الحد والصفة // فلو أن امرءاً عُبد من دون الله [ل١٢٦] تعالى[١٢] لعبدوه، ولما قرب الخادم من مدينة الفيوم وأبصر الموكب الذى طلع فيه[١٣] لا يسير إلا فى ظل النخيل وبين أغصان[١٤] الأشجار والكروم

(ــ١) مجد الدين بن المطلب: ورد ذكره فى حوادث سنة ٥٠١هـ عزل الخليفة لوزيره مجد الدين بن المطلب برسالة من السلطان بذلك، ثم أعيد إلى الوزارة بإذن السلطان وشرط عليه شروطا منها العدل، وحسن السيرة، وألا يستعمل أحدا من أهل الذمة (الكامل ٨ / ٢٥١).

(ــ٢) ق : وهو بالشام صحبه المولى تقى الدين . .

(ــ٣) ن فى س .

(٤) ق : عزه .

(ــ٥) ن فى س .

(٦) س: كتبت .

(٧) ن فى ق .

(٨) س : ليفرج .

(ــ٩) ن فى ق .

(١٠) يوسف بن أيوب : صلاح الدين الأيوبى .

(١١) س : المولى .

(١٢) ن فى ق .

(١٣) ق : عليه .

(١٤) ق : ظل .

طرب الخادم على صوت[١] الدواليب ، وتغريد الأطيار ، وافتتن[٢] بها[٣] وفضلها على كل موضع مليح[٤] أبصره فى الزمن[٥] ثم لما نزل فى المدرسة وحط رحله[٦] فى الروشن[٧] العالى الذى على النهر الكبير عاشت روحه[٨] باستنشاق ذلك النسيم ثم إنه دخل الدار الكبيرة والدار الصغيرة وتفرج على علو الهمة وحسن الترتيب ثم إنه تمشى وحده فى الحمام (الصغير الذى[٩]) فى زاوية الدار فاستطاب الموضع لخلوه[١٠] وشدة برده فى قائلة نصف النهار فجلس فيه مفكراً ومعتبراً بما كان فيه من الأنس ، وما صار إليه من الوحشة ، فخنقته العبرة شوقاً إلى صاحب المكان فلم يشعر إلاَّ والحائط[١١] الشمالى قد انشق وخرج منه شخص عجيب الصورة[١٢] ليس له رأس ولا رقبة البتة وإنما وجهه فى صدره ولحيته فى بطنه مثل بعض الناس فى يده اليمنى زَربول[١٣]، وفى اليُسرى[١٤] شمشك[١٥] عتيق، فقمت إليه هيبة له[١٦]، وخوفاً(على نفسى[١٧])

---

(١) ق : حس . (٢) ق : فافتتن .

(٣) ن فى ق . (٤) ن فى ق .

(٥) ق : الزمان . (٦) ق : رجله .

(٧) ق : الروشن : البلكونه (١ / ٥٣٢ Dozy) .

(٨) ق : نفسه . (-٩) ق : الصغيرة التى .

(١٠) ق : لخلوته . (١١) ق : الحيط .

(١٢) ن فى س .

(١٣) ق : زربون أو الزربول : نوع من الأحذية وهى كلمة يونانية (١ / ٥٨٤ Dozy وقاموس العوام ص ١٢٩) .

(١٤) ق : والأخرى .

(١٥) س : شمسك : زى من ملابس الرعاة ويطلق على الوالك (١ / ٧٨٧ Dozy) .

(١٦) ن فى س . (-١٧) ن فى س .

[ل ١٢٧] منه ، وقلت له : من أنت يرحمك الله ؟ // فقال(١) : أنا أبو خطرش(٢)، من بنى الدردبيس(٣) ، الساكن فى هرم ميدوم(٤) ، جاوبنى عن كل بيت ألقيه عليك ، وإلاَّ قطعت قفاك بهذا الزَّربول(٥) ، فقلت له(٦) : لسْتُ شاعراً(٧) والله يا سيدى ولا أجوز فى هذا البـــاب ، فقال : تكذب فى جوف لحيتك أنا أعرفك تُكَـدِّى الناس بالشعر من(٨) ثلاثين سنة (فى هذه الديار٩) ، فقلت له(١٠) : أنا أسيرُك افعل ما تريد فقال : أجِزْ وأوْجِزْ ثم(١١) :

قال : لمن الديار بساحة الفيُّـوم ؟
فقلت : ضحك الصدى فيها(١٢) لنَـوْحِ البوم .
فقال : وتَبَـدّلَـتْ من بعد غيد كالمَها .
فقلت : وولائدٍ كاللؤلؤ المنظوم .
فقال : وبسيد من آل شاذى أروَع .
فقلت : مثل الحسام الصّارم المثلوم(١٣) .
فقال : بنواعب الغربان تنعق دائماً .
فقلت : وحمائمٍ تبكى لفقد حَميمٍ .

---

(١) ق : قال .

(٢) أبو خطرش : إسم لشخصية خرافية ، وهو يقصد به السخرية من القاضى الفاضل .

(٣) بنى الدردبيس : الدردبيس : الداهية والشيخ العجوز الفانية مركب من درد أى ألم ومن بيس أى ردى (الألفاظ الفارسية المعربة ص ٦١) .

(٤) هرم ميدوم : لم نعثر على تعريف له .

(٥) ق : زربون .

(٦) ن فى ق .

(٧) ق : بشاعر .

(٨) ق : منذ .

(-٩) ن فى ق .

(١٠) ن فى ق .

(١١) ن فى ق .

(١٢) ن فى س .

(١٣) ق : الملوم .

فقال : بكت السماء لبُعدهم من بَعدهم .

فقلت : بسحائب مُنهلّةٍ وغيوم .

فقال : طلبوا دِمشق فعُوضوا عن أرضنا[1] .

فقلت : بالنيربين[2] ، وقصر أم حكيم .

فقال : وبقنبَشَا[3] ، ودموشةٍ ، وصنوفرٍ .

فقلت : بصرى[4] ، وصرخد[5] ، فى جوار[6] الروم .

فقال : وسألتُ رسم الدار لما جئتُها .

فقلت : وجميعُها كالمعجم[7] المرقُوم .

فقال : أى الملوك سمت (بهم همم[8]) العلى ؟

فقلت : حتّى كساك بأطلس وطميم .

فقال : قالت : (تقى الدين أعنى ذا الندى[9]) .

---

(1) غير واضحة فى ق .

(2) النيربين : تسمية أخرى للنيرب . وهى قرية مشهورة بدمشق على بعد نصف فرسخ فى وسط البساتين (معجم البلدان ٨ / ٣٥٥) .

(3) ق : بنسا .

(4) بصرى : اثنتان واحدة بالشام من أعمال دمشق والأخرى من قرى بغداد (معجم البلدان ٢ / ٢٠٨) .

(5) صرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق ، وهى قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة (معجم البلدان ٥ / ٣٤٩) .

(6) ق : من بلاد .　　　(7) س : كالمعجر .

(-8) ق : به رتب .

(-9) ق : بقى الذى أعنى ذا الذرى .

فقلت : (عمر بن شاهنشاه[1]) ردّ رسوى .

فقال : فإليه أعضائى[2] تطيرُ تشوقاً .

فقلت : وعليه أجفانى ذواتُ كلوم .

[ل١٢٨] فقال الشيخ[3] // أبو خطرش : أحسنت أحسنت[4] والله (إذا كان هذا شعرك[5]) على البديهة ، فكيف يكون على الرّوية ؟ مالك[6] لا[7] تتعانى الشعر ؟ فقلت له[8] : ما أريد أن[9] أتعب ، أنا أعمد إلى أحسن قصيدة[10] للشعراء المتقدمين آخذها وأمدح بها وأقضى بها[11] حاجتى ، وإن كذّبنى أحد[12] حملت الكلب على عياله ، فقال : دعنى من هذا ما فعلت فى غُنَيماتك التى أمرلك بها المولى تقى الدين ؟ فقلت له : ياشيخ أبا خطرش[13] طلبتها من الحولى ثعلب[14] أن يعطينى إياها سِمان الظهور ، كبار اللوايا مثل علوق الإسكندرية[15] وقحاب القاهرة ، فأعطانى إياها[16] مثل العشاق[17] المهجورين ، وعباد

---

(١) عمر بن شاهنشاه : بن أيوب بن شاد الملك المظفر تقى الدين ابن أخى السلطان صلاح الدين صاحب الأوقاف بحماة ومصر والفيوم وله بالفيوم مدرستان بناهما لما كانت الفيوم إقطاعا له . كان رجلا فاضلا مظفرا له مواقف مع الإفرنج ، ولى الولايات وناب عن عمه فى الديار المصرية ثم أعطاه حماة توفى سنة ٥٨٧هـ (طبقات الشافعية الكبرى ٤ / ٢٨٦ ، مرآة الجنان ٣ / ٤٣٢ النجوم الزاهرة ٥ / ٣٨٦ والأعلام ٢ / ٧١٥) .

(٢) ق : أكبادى .

(٣) ن فى س .

(٤) ن فى س .

(٥-) ق : إذا كان شعرك هذا .

(٦) ن فى س .

(٧) ق : ما .

(٨) ن فى س .

(٩) ن فى س .

(١٠) س : قصيد .

(١١) ن فى ق .

(١٢) ق : واحد .

(١٣) ق : أبو خطرش .

(١٤) ساقطة فى س .

(١٥) ق : اسكندرية .

(١٦) س : إياهم .

(١٧) ق : القحاب .

الله الصالحين ، الذين يصومون النهار ، ويقومون الليل ، فقال : وما السبب فى ذلك ؟ فقلت له[1] : كان الفقيه البهاء أراد أن يشتريهم منى بالدون الطفيف حتى يأخذهم هو[2] من غنم الخولى ببشمورية[3] كباراً فلم أجبه إلى البيع فأنحسنى فيهم كما ترى ، فقال : سعادة المولى غلبت عليه لو اشتراهم منك (لأخذ كل فحل فى غنم المولى تقى الدين[4]) فقلت له : صدقت يا أبا خطرش . ما تقول فى الفقيه عبد الله ؟ فقال : إلى الساعة ما أبدلت له[5] خيراً[6] ، كلفه كثيرة ، ودخله قليل ، وقد حصل// بين (حاذف وقاذف[7]) ، [ل١٢٩] فأما الحاذف فالقاضى العجمى قد تخيل منه[8] فهو (كل يوم يرميه[9]) بداهية[10] ، وأما القاذف فالفقيه بهاء الدين قد ثقل عليه مكانه من يوم تسلم منه[11] (هذا الموضع[12]) لو قدر عليه لقطعه إرباً إرباً ، ألا ترى أنه يستعير منه الآلات[13] التى للوقف فلا يردها عليه[14] ويأخذ منه[15] للفقهاء الذين طلعوا معه ديناراً (فى رأس كل هلال[16]) ولا يقدر ينطق بكلمة ؟ فقلت له : لقد سلم (وقف الفيوم ألا يرجع الأمير إليه فيلحقه[17]) بوقف منازل العز الذى دخله فى كل سنة تسعمائة دينار ، والنفقة عليه فى جميع أحواله ثلاثون[18] ديناراً ، ويأكل

---

(١) ن فى ق .　(٢) ز فى س .

(٣) بشمورية : نسبة إلى البشمور كورة بمصر قرب دمياط وفيها قرى وريف وغياض وكباش ليس فى الدنيا مثلها عظما وحسنا (معجم البلدان ٢ / ١٩٠) .

(-٤) ق : لأخذهم من غنم الأمير كل فحل فيهم .

(٥) ق : لم .　(٦) س : خبر .

(-٧) ق : جاذف .　(٨) ن فى ق .

(-٩) ق : يرميه فى كل يوم .　(١٠) ق : بلاهية .

(١١) ن فى س .　(-١٢) ق : هذه المواضع .

(١٣) ق : اللات .　(١٤) ن فى ق .

(١٥) ن فى ق .　(-١٦) ق : لكل واحد فى رأس كل هلال .

(-١٧) ن فى س .　(١٨) ق : ثلاثين .

الفقيه الباقى(١) خضما وقضما لا يخاف من الله ولا من الناس فقال(٢) الشيخ أبو خطرش : سمعت الناس يقولون إنّه يدفع للصاحب فى كل سنة خمسمائة دينار يسكته بها عنه وإلاّ(٣) فهو أذكى الناس ، وقد بلغه أن المدرسة ليس فيها مؤذن ولا إمام فقلت له : حاشا لله وأعوذ بالله لا والله ولكن المولى غلط غلطة كبيرة ورد النظر إليه (وأشهد عليه الشهود٤) بذلك وأخذ الفقيه على ذلك خط خليفة بغداد // (فى هذه الأيام ٥) فما بقى يلتفت إلى المولى ولا إلى غيره [ل ١٢٠] فقال الشيخ أبو خطرش : أنا أقول لك السر(٦) فى هذا الأمر فقلت له : وما هو ؟ فقال : أعلم أن الله تعالى ما خلق مواضع منازل العز والروضة إلا للفسق والفساق ، فما يقدر المولى تقى الدين يعاند الله تعالى(٧) فى قضائه ، ويجعلها للعلم والعلماء ، وقد(٨) اجتهد فيها(٩) جهده ، وما(١٠) قدر يخرجها عن قضاء الله تعالى(١١) وقدره ، ثم إن الشيخ أبا خطرش(١٢) تحرك للرواح فقلت له : تعاهدنى (فى منازل العز يا أبا خطرش١٣) فقال : السمع والطاعة وغاب عنى فما رأيته حتى الآن .

قد انقطعت عن الخادم كتب (المولى مجد الدين١٤) ، وأرجو أن يكون ذلك لخير ، وقد استشعر الخادم من ذلك مع اتصال كتبه مع كل نجّاب (١٥)، وكان قد سمع أنكم ترجعون إلى ديار مصر ، فنذر لله تعالى صوم شهر تموز

---

(١) ق : البقية . (٢) ق : فقال له .

(٣) س : ولا . (-٤) ق : وأشهد الشهود عليه .

(-٥) ن فى س . (٦) ق : ايش .

(٧) ن فى ق .

(٨) ق : قد . [؟] (٩) ن فى س .

(١٠) ق : فما . (١١) ن فى ق .

(١٢) ق : أبو خطرش . (-١٣) ق : يا أبا خطرش فى منازل العز .

(-١٤) مجد الدين : هو مجد الدين بن المطلب وقد سبقت ترجمته .

(١٥) نجاب : ناقل البريد من بلد إلى بلد على النجائب .

ثلاثين سنة إن صح ذلك[1] الكلام . وأما غير ذلك ، فان الموضع الذى (سكنه الخادم[2]) بحسن سفارتك وبركة توسطك وسعادتك قد تداعى جميعه بحيث أن يكون[3] الساكن فيه مرتكباً خطراً عظيماً ، // وقد سألت الفقيه أن يساعدنى [ل١٢١] فى العمارة ، فلم يفعل ، وتنفس أنفساً ميشومة دغلة ، وأنا فما يمكنى أن[4] أعمره بجملة كبيرة وإذا فرغت منه يقول : قم أخرج وما أقدر أقول له كلمة واحدة[5] ، وقد سألته أن يحكرنى إياه ، وسألته[6] بالناس وتشفعت إليه بكل واحد[7] ، فلم يفعل ، وبهذا تزايد حرصه وكَلَبُه على الدنيا أضعاف ما تعرف ، وقد اشتهيت على الله أن تحتال لى بحيلة[8] يحكرنى بها الموضع الذى فى يدى والسلام .

وقد حفر فى هذه السنة خليجاً وساقه[9] إلى ضيعته (فبلغ ارتفاعها[10] ألف دينار لأجل ذلك[11]) ولكنه كان (قد مر بخليجه[12]) فى أرض الأيتام ابن اللهيب[13] ، فسأل وكيلهم أن يعمل لهم قنطرة[14] بفلقين نخل تساوى خمسة دراهم ، يعبرون[15] عليها إلى أرضهم ، فلم يفعل ، فشكوه إلى السلطان ، فأمر بسده عن أرضهم ، والسلام[16] . (ولكنه جرى[17]) عليه من الزمع[18] والفزع على الضيعة مثل ما تعرف وأشد .

---

(١) ق : هذا .
(-٢) ق : يسكنه المملوك .
(٣) ق : فأما .
(٤) ن فى س
(٥) ن فى س .
(٦) ق : وقصدته .
(٧) ق : أحد .
(٨) ق : حيلة .
(٩) ن فى ق .
(١٠) ساقطة فى ق .
(-١١) ق : فبلغ ذلك . . . ألف دينار .
(-١٢) ق : من تحليجة .
(١٣) ابن اللهيب : لم نعثر على تعريف له .
(١٤) الأصل : بفلقين .
(١٥) ن فى ق ، س : يعبروا .
(١٦) ن فى ق .
(-١٧) ق : فجرى .
(١٨) ن فى ق .

وأما حقيقة أخبار المولى تقى الدين[١] ، فما نريد نسأل عنها لأننا[٢] نعرف ذلك بالأفعال دون الأقوال ،والذى فى القِدْر المغرفة تخرجه ، وإذا استقرت القاعدة بشىء[٣] ، سمعنا به ، والسلام[٤] .

[ل ١٣٢] // لولا العجلة لكتبت[٥] إليه من العجائب والغرائب ما يرقصه طرباً ، والخوف من آفات (الكتب أشد[٦]) .

(المملوك يقبل يدى المولى ورجله ، ويسأل البارى جل وعلا أن يجمع الشمل به فى ديار مصر عن قريب ، إنه سميع مجيب ، المولى كان قد أطلق للملوك ثلاثة أرادب غلة فى الشهر على يد قايماز ، وقد صار إلى رحمة الله تعالى قبل مصيرها إليه ، فإن رأيت أن تعمل معه فيها شيئاً بحيث يبين أثره فعات ذلك منعماً موفقاً إن شاء الله تعالى[٧]) . وإن رأيت أن تظهر المولى الصاحب[٨] على شىء (من هذا الكتاب[٩]) من أخبار أبى خطرش (غير الشعر[١٠]) فافعل فإنه (يحب البهاء محبة مفرطة[١١]) لايقال[١٢] لمن يحب فيمن[١٣] يحب إلآ ما يحب ، فالله تعالى يكشف له ماهو عليه من الخيانة ورقة الدين (وقلة الأمانة[١٤]) ويكشف هذه الغمة على يديك ، والسلام الأتم عليك ، (ورحمة الله وبركاته[١٥]) .

---

(١) ن فى ق .
(٢) ق : لأنا .
(٣) ق : على شىء .
(٤) ن فى ق .
(٥) ق : كتبت .
(-٦) ق : أشد .
(-٧) ن فى ق .
(٨) ن فى س .
(-٩) ن فى ق .
(-١٠) س : الشعر غير الباقى .
(-١١) ن فى س .
(١٢) ق : لا تقل .
(١٣) س : فيما .
(-١٤) ن فى ق .
(-١٥) ن فى س .

(وكتب إلى شمس الدين بن البعلبكى[1])

ألهو بعــدكم (وتقر عينى[2]) ... علىّ اللهو[3] بعــدكم حرام

كتب عبد مولاى[4] شمس الدين ، وسيد[5] المرسلين ، فى هذه السنين ، أطال الله بقاه فى (عز دائم وجاه قائم[6]) ، [ل١٣٣] || ودهر نائم .

الى أن يئوب القارظان[7] كلاهما[8] ... وينشر فى القتلى (كليب لوائل[9])

وعنده من الحنين ، ما يشيب الجنين ، ومن الارتياح ، ما يسكن الرياح ، ومن الصبابة ، ما ينشف الصُّبابة ، حتّى إنه لو ركب على جمل أشواقه[10] ، وصبر على حثيث سوقه ، وأنواقه[11] وخرج من باب النصر[12] ، بعد صلاة العصر ، لما (برك فى البركة[13]) ، ولا أمسى فى عيون موسى[14] ، ولا لوى

(−١) ق : رسالة كتب بها الوهرانى إلى الأمير شمس الدين بن الوزير البعلبكى ، ب كتب إلى الأمير شمس الدين بن الوزير البعلبكى .

(−٢) ق ، ب : وأقرعينا .   (٣) ق : النوم .

(٤) ق : مجلس الأمير الصاحب ، ب : المجلس السامى .

(٥) ق : سيد ، ن فى ب .   (−٦) ق : عز قائم وجاه دائم .

(٧) ق : القارضان (المثل سبق شرحه) .

(٨) ق : كليهما .   (−٩) كليب لوائل : ستأتى ترجمته .

(١٠) س : شوقه .   (١١) ق : سوقه وأنواقه .

(١٢) باب النصر : كان قريبا من باب القوس وكان به جبانة القاهرة (النجوم الزاهرة ٤ /٣٨) .

(−١٣) ق : ترك به من البركة : إنما سميت البركة بركة لإقامة الماء فيها من بروك البعير (معجم البلدان ٢ / ١٥١) .

(١٤) س : و لا أمسى دون عيون موسى ، ب : وأمسى عيون موسى .

صدره إلى صدر(١) ، (ولا قال زم فى القلزم٢) ، ولا تعقب(٣) على العقبة ، ولا طار إلى الطور ، ولا آل إلى أيلة ، حتى يحسم شعاب حسمى(٤) ، ويقارن أرض القرين(٥) ، ويخلص من شباك الشوبك(٦) ، ومن شرك صـــاحب الكرك ، ويتزرق على الأزرق ، ويبصر بصرى ، ويحور إلى حوران(٧) ، ويجاور أهل جيرون(٨) ، فإن وجده هناك(٩) ، قال لصاحبه(١٠) هنَاك(١١) : قد بلغت مُناك ، وإلا فما يقتصر به على القصير ، ولا على اقتطاف القُطيفة(١٢) ، ولا يبرد(١٣) فى بردى(١٤) ، ولا يقر فى قارا (١٥)، ولا يذهب

---

(١) صدر : قلعة خراب بين القاهرة وأيلة ، وصدر قرية من قرى بيت المقدس (معجم البلدان ٥ / ٣٤٤) .

(-٢) ن فى ق .   (٣) ق : ولم يعقب ، ب : ولا يعقب .

(٤) ق : حسمى : أرض ببادية الشام (معجم البلدان ٣/٢٧٦) .

(٥) القرين : هى القطعة من الأرض كأنها الجبل وقيل اسم موضع ذكره ذو الرمة والقرين بالفم نجدة باليمامة (معجم البلدان ٧/٧٢) .

(٦) الشوبك : قلعة حصينة أطراف الشام، بين عمان وأيلة، قرب الكرك (معجم البلدان ٥/٣٠٥ والنجوم الزاهرة ٦/١٤) .

(٧) حوران : كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ، ذات قرى كثيرة ومزارع (معجم البلدان ٣/٣٦٠ والنجوم ٦/١٥٠)

(٨) جيرون : من أبواب الجامع بدمشق وهو بابه الشرقى . ويطلق جيرون على دمشـــق (الكنز المدفون ص ٤٠) .

(٩) ن فى ق .   (١٠) ق : الجملة ، ب : لجمله .

(١١) ن فى ق ، ب .

(١٢) القطيفة : وهى قرية دون ثنية العقاب للقاصد إلى دمشق فى البرية من ناحية حمص (معجم البلدان ٧/١٣١) .

(١٣) ق : يتبرد .   (١٤) س ، ب : بيرود.

(١٥) قارا : قرية كبيرة على قارعة الطريق ، وهى المنزل الأول من حمص للقاصد إلى دمشق (معجم البلدان . والنجوم الزاهرة ٦/٣١٤) .

الحمص(١) من(٢)حمص ، ولا يزال يستن إلى الرستن (٣) ، حتى (يأتى حماة٤) ، فينزل فى حماه / / وإلا(٥) شام بروقة فى(٦) الشام ، فربما استنزر(٧) [ل ١٣٤] شيزر(٨) ، واعترّ(٩) المعرة(١٠) ، وفاء إلى فامية(١١) ، وانقلب إلى حلب ، وانتاب ...(١٢) عين تاب(١٣) ، وباشر تل باشر(١٤) ، واستنجد(١٥) الأعزاز

---

(١) س ، ب : الحمص . (٢) ق ، ب : فى .

(٣) الرستن : بليدة قديمة كانت على نهر الميماس ، وهذا النهر هو المعروف اليوم بالعاصى بالشام (معجم البلدان ٤/٢٤٨) .

(-٤) ق : حماة . (٥) ق : ولا .

(٦) ق : من .

(٧) استنزر : تنزر انتسب إلى ... (القاموس ١/٤٥٨) .

(٨) شيزر : قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة فى وسطها نهر الأردن ، وينسب إليها الأمراء من بنى منقذ وكانوا ملوكها (معجم البلدان ٥/٣٢٤) .

(٩) س : واعفر .

(١٠) المعرة : يريد معرة النعمان قرب الكوفة من ناحية البادية (معجم البلدان ٨ /٣٠٠) .

(١١) فامية : مدينة كبيرة وكورة من سواحل حمص ، وذكر قوم أن الأصل فى فامية ثانية وذاك أنها ثانى مدينة بنيت فى الأرض بعد الطوفان (معجم البلدان ٦ /٣٣٤) .

(١٢) س : إلى (وحقها أن تسقط) .

(١٣) عين تاب : قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية وهى الآن من أعمال حلب (معجم البلدان ٦/٢٥٣) .

(١٤) تل باشر : قلعة حصينة وكورة واسعة فى شمالى حلب ، ولها ربض وأسواق وهى عامرة آهلة (معجم البلدان ٢/٤٠٢) .

(١٥) ق : واستنجد .

فى أعزاز[١] ، والعربان فى عرابان[٢] ، حتى ينجح عناه ، ويبلغ[٣] ، من نظر طلعته إلى[٤] مناه .

وإن صباحاً يلتقى فى مسائه ... صباحٌ إلى قلبى[٥] الغداة حبيبُ

ولم لا يكون ذلك كذلك[٦] ؟ وأى عُذر له فى أن لا يفعله ؟ وهو رَبيعهُ المُمْرِع[٧] ، وسحابه المترع ، أسْدَى إليه من الإحسان ، ما يعجز عن شكره حسَّان[٨] ، فلو أن الشكر يحمل فى الشكاير ، وغرر الثناء فى الغراير ، وصالح الأدعية فى الأوعية ، لحمل[٩] من ذلك قافلة حافلة ، يكون أولها فى[١٠] باب الجابية[١١] ، وآخرها فى رأس الطابية ، ألفاظها كنفثات السحر ، ومعانيها (كعنبر الشِّحر ، تتضرع برائحتها[١٢]) الشام ويتطيب بها الأراك (والبَشام ، فنسأل[١٣])

---

(١) أعزاز : بالقرب من حلب ، وبهـا مرج دابق وهى مرج معشب نزه (معجم البلدان ٢/١٨٩) .

(٢) ق : عربان : بليدة بالخابور من أرض الجزيرة (معجم البلدان ٦ / ١٣٧) ، ب : معربان .

(٣) ق : ويتطلع .

(٤) ن فى س .

(٥) ق : قلب .

(٦) ن فى ق ، ب .

(٧) ق : المروع .

(٨) حسان : يريد حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجى ، الصحابى ، شاعر النبى (ﷺ) ، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، وقال أبو عبيدة : فضل حسان الشعراء بثلاثة كان شاعر الأنصار فى الجاهلية ، وشاعر النبى فى النبوة ، وشاعر اليمانيين فى الإسلام . اختلفوا فى وفاته ، قيل سنة أربعين فى خلافة على ، أو فى سنة خمسين أو أربع وخمسين ، ولم يختلفوا أنه عمر مائة وعشرين سنة (الخريدة تحقيق دكتور شكرى فيصل ١/ ٤ ، والإصابة ١/٣٢٥ والأعلام ١/٢١٩) .

(٩) س : تحمل .

(١٠) ن فى ق ، ب .

(١١) باب الجابية : باب من أبواب دمشق (معجم البلدان ٣/٣٣) .

(١٢-) ق : كعنبر الشحر يتضوع من رائحتها ، الشحر : الشط .

(١٣-) ق ، ب : والبشام فاسأل : والبشام واحدته بشامة وهو شجر طيب الرائحة (معجم أسماء النبات ص ٢٥ وتذكرة أولى الألباب ١ /١٠٧) .

الله[١] البـــارى جلت قدرته أن يجمع الشـــمل به[٢] عن قريب ، إنه سميع مجيب .

ولما انتهى الخادم إلى هذا الموضع (من الكتاب[٣]) استعجله الواصل[٤] استعجالا // كدر[٥] خاطره ، وبلد حسه ، فعجز[٦] عن تتميم الكتاب على [ل ١٣٥] هذا المنوال وانضاف إلى ذلك أن فى مثل[٧] هذا اليوم خرج إلى خدمته فى ذات الكوم[٨] ، فكاد يغشى عليه من كثرة[٩] الحنين إلى تلك الأوقات[١٠] والارتياح إلى ذلك الميقات ، وود لو أن[١١] التقمه التمساح فى أبو غالب[١٢] ، وألحقه (بكلبة أبو رحمة[١٣]) ، شوقاً إلى ذلك المقام الكريم .

كان الخادم قد سمع أن المهذب بن النقاش صحبه[١٤] فى بغداد أو فى طريق بغداد وعجب[١٥] من صبره عليك ، (وصبرك عليه[١٦]) ، لما يعلم[١٧] من تباين الاعتقاد ، وتباعد ما بين الطباع ، ولعمرى إن الذى سر الخادم من هذا الحديث أكثر من الذى ساءه منه فإنه وإن كان فى[١٨] هذا المذكور

---

(١) ن فى ق ، ب .

(٢) ق ، ب : بها .

(-٣) ن فى س .

(٤) ق ، ب : حامله .

(٥) س : كد ، ب : وكدر .

(٦) ق : وعجز .

(٧) ن فى ق .

(٨) ذات الكوم : أصل الرمل المشرف ، وهو اسم لمواضع بمصر تضاف إلى أربابها (معجم البلدان ٧/٣٠٢) .

(٩) ن فى س ، ب .

(١٠) ق ، ب : الأوطان .

(١١) ن فى س .

(١٢) س : بوغالب .

(-١٣) ق : بكلبة أبو رخة ، س ، ب : بكاتبة أبو رحمة .

(١٤) ق : صحبك .

(١٥) ق ، ب : وعجبت

(-١٦) ن فى س .

(١٧) ق : تعلمه ، ب : يعلمه .

(١٨) ن فى ق ، ب .

ضيق العطن(١) وشراسة(٢) الأخلاق فإن عنده خدمة لمن يصحبه ومشاركة كثيرة فى العلوم ، وهو إذا طمع وانبسط(٣) فعنده من الأنس مالا ينادى(٤) وليده وأطيب ما فى النوبة كونك(٥) كنت تضج من قليل زندقة الوهرانى فأوقعك الله فى بحر ابن النقّاش فتحتاج (بالضرورة أن تقول٦) إذا اطلعت على باطن(٧) أقواله(٨) وأفعاله رُدَّنى إلى الوهرانى بشكر ويبقى الخادم بالإضافة إليه أصحُّ (عقيدة من٩) // أبى بكر الصديق (رضى الله عنه١٠) فإن رأيت أن تأمر(١١) [ل١٣٦] من يعرض له بذكر وهران ، وتتأمل بعد ذلك ما يقول فإن كانت الأيامُ قد أنسته ما جناه(١٢) على نفسه فتعرفه شوقى إليه ولهجى بذكره فى أكثر الأوقات .

فإن بدا لكما (فى لفظه١٣) غضبٌ فغالطـاه وقـولا ليس نعـرفه

(قد بلغ الخادم١٤) فى هذه الأيام من(١٥) شدة استحالة المولى القاضى ضياء الدين (وفقه الله١٦) عليه(١٧) وتقطيعه لمجالس الأنس بتقطيعه ، وصيَّر الرقعة التى نفذها الخادم إليه وقرأها عليه(١٨) فى جزيرة الذهب مثل رقعة العقارب ملصقة على(١٩) كل باب يبصرها الداخل والخارج ، وكل صلاة لا يقرأ

---

(١) ضيق العطن : قليل الصبر والحيلة عند الشدائد أو البخيل الشحيح قليل المال .

(٢) ق ، ب : شرس .

(٣) ق ، ب : فانبسط .

(٤) ق : يتأذى .

(٥) ق : لأنك .

(٦-) ق : تقول بالضرورة ، ب : بالضرورة تقول .

(٧) ن فى س .

(٨) ق ، ب : أحواله .

(٩-) ق : من عقيدة ، ب : من عقيدته .

(١٠-) ن فى س .

(١١) ق ، ب : تخل .

(١٢) ق ، ب : جنى .

(١٣-) ق ، ب : من سيدى .

(١٤-) ق ، ب : كان قد بلغ .

(١٥) ن فى س .

(١٦-) ن فى س .

(١٧) ن فى ق ، ب .

(١٨) س : عليك .

(١٩) ق : إلى ، ب : فى

فيها بتلك[١] الرقعة فهي خداج[٢] ولو كان هناك حزم[٣] رأى لاستعان عليها بالكتمان ، وأظن[٤] الذي عنده من (الحنق والغيظ[٥]) من انقطاع الخادم عن خدمته في القاهرة سيحمله[٦] على[٧] الفرجة في جنينة ابن العميد التي بمقرى[٨] بمحضر من ابن النقاش وابن العميد[٩] من[١٠] أحباب الوهراني وخلصائه ، ويجرى عند ذلك حديث المغرب وأهله حتى يصل العمل إلى المملوك فتتناوله[١١] تلك[١٢] الجماعةُ المحبون[١٣] له فيصيروا أعضاءه مُدقَقة ويبقى لحمه[١٤] بينهم أطيبُ // من لحم الدجاج حتى إذا صيروه عظاماً بيضا [ل١٢٧]
واشتفى غيظ القاضي[١٥] منه ، وبردت نيران قلبه من الحريق ، خرج حينئذ في الزاهد العابد وقال : حسبنا الله ،(حسبنا الله[١٦]) ، ما يحل لنا سماع مثل[١٧] هذا في أحد[١٨] من الناس ولاسيما في[١٩] هذا المذكور على كل حال فله علينا خدمة وحرمة ، وقد أكلنا معه[٢٠] خبزاً وملحاً ، وما آذى إلا[٢١] نفسه ،

---

(١) ق : بما في تلك .

(٢) خداج : كل نقصان في شئ . (٣) ق : عزم .

(٤) س : فظن . (-٥) ق ، ب : الغيظ والحنق .

(٦) ق : فيحمله . (٧) س : من .

(٨) ق : يقرأ .

(٩) س : وابني العميد ، ب : وابن العميد ، وابن النقاش .

(١٠) ن في س ، ب : من (١١) س : فتتناقله .

(١٢) ن في س . (١٣) بالأصل المحبين ، وكذلك في نسخة ب .

(١٤) ن في س .

(١٥) ق ، ب : المولى القاضي ضياء الدين .

(-١٦) ن في ق ، ب . (١٧) ن في ق .

(١٨) ق ، ب : واحد (١٩) ن في ق .

(٢٠) ن في س . (٢١) ق : إلى .

وقد[1] فاته منا فى غيبته (شىء كثير[2]) ، فيقول البدر : والله ما يحصى[3] كم وصل إليه منا من الثياب النصافى[4] والغلائل السوسى[5] والبقاير[6] الملونة ؟ نعم فلعن الله كل ولد زنا والله لقد كنا نتكلف أكل البسيسة فى الصيف حتّى كدنا نقع فى علة البرقان ، (فينفر عليه القاضى نفرة وحشة عند ذلك[7]) ، ويقول : إيش الحاجة إلى ذكر هذا الساعة ، الناس يمتنوا على أصحابهم[8] بهذه الشُّوَيَّات[9] ، إنا لله ، ما أعدُّ الفضل إلا لمن يأكل طعامى ، ويلبس ثيابى ، بالله[10] يا بدر ما تعلم هذا من خُلُقى منذ كنت فيقول البدر : أنا والله أعرفُ هذه الخلة فيك قبل أن[11] يخلقَ الله آدم بألفى عام ، فيقول ابن العميد :(فى قلبه[12]) أبصروا الشاهد والشهادة ، فيقول ابن // الشيرازى : [١٢٨ل] فديت ، والله ، هذه الأخلاق الشريفة يابن تاج الدين ، أنت والله سراج هذا البيت أنت[13] والله سيد القوم ، ودعنى أُشنق ، فيقول أبو الفضل بن العميد : ضيعتم الوقت فى حديث الوهرانى والله إن مُلْكَ المغرب نحسٌ ، ما جاءنا قط[14] منهم إلا حارس كَرْم ، أو ناطور بستان (الركوة والتاسومة[15])

---

(١) ق ، ب : قد. (٢-) ق : شيئاً كبيرا .

(٣) ق : نحصى . (٤) ق : الإضافى .

(٥) الغلائل السوسى : نسبة إلى مدينة سوسة من خوزستان تشتهر بالخز (اللباب ٥٧٧/١) .

(٦) البقاير: نوع من العمائم الكبيرة التى يستخدمها الوزراء والكتاب (Dozy: ١٠٠/١) .

(٧) ق ، ب : فينفر القاضى عند ذلك نفرة وحشية .

(٨) ق : ب : الناس . (٩) ن فى ق .

(١٠) ق : الله .

(١١) ق ، ب : مذ . (١٢) ن فى س .

(١٣) ن فى ق . (١٤) ن فى ق .

(١٥) الركوة : أما الركوة فهى وعاء يشرب فيه (Dozy: ٥٥٦/١) . وأما التاسومة فهى ضرب من الأحذية تعريب تاسم ومعناه الضفيرة والقدة والسير وفرعة الحذاء (كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ص ٣٣) .

وهذا الوهرانى من بينهم ، شهد الله أثقل على القلوب من الغدة الخارجة فى[1] الحلق ، وأوحش من الورم النافر فى الأوداج ، فيندفع حينئذ ابن النقاش بفلسفته ، فيقول : اللهم العن الوهرانى من الجهات الست ، اللهم العن ما يقابل الوهرانى من الأوج والحضيض ، اللهم العن الهيولى التى شاركت العناصر فى تكوينه ، والله ما أعرف فى مقعَّر فلك القمر ولا فى محدَّب[2] هذه الكرة[3] الترابية أشر من ذلك الخبيث، يا قوم ما أدق (مثاقبه فى[4]) الشر، ياقوم ما أشد نفوذ خاطره فى النذالة ، سبحان الله ما أهداه إلى طرق الفساد فيقول أبو المعالى بن العميد بفصاحته : بالله عليكم اقتصروا[5] واختصروا فقد حرمت على نفسى سماع الغيبة والتقصيص، // ولولا أنى[6] شافعى المذهب [ل١٣٩] لا يحل لى أكل لحم الكلب لأفضت معكم فيما أنتم فيه، على أنكم (لن تجدوا [7]) للوهرانى عرضاً يثلم[8] ، ولا مجداً يهدم[9] ، وهو دون كل ما ترمونه[10] به ، وإن إشغالكم الوقت بحديثه (تضييع للزمان[11]) ، فإنه (ما يصلح[12]) إلا لحمل المشعل ، (أو لنظارة القنبيط[13]) ، والمصيبة أنه مع هذا يتمكتب ويتمشعر[14] ، ويعمل أشياء تشبه جوف لحيته ، وما أدرى بأى شىء يَنْفَقُ على المقدمين ؟ ! وهو لا يعرف شيئاً من أصناف الفواكه ، لوسئل عن

---

(١) س : من . (٢) ق ، ب : محدو دب .

(٣) ق : الأكرة : الكرة الأرضية (Dozy ١/٣٠) .

(-٤) ق : مافيه من ، ب : مناقبه فى .

(٥) س ، ب : اقصروا (٦) ق : إننى .

(-٧) ق : على أن ما ، س : لم .

(٨) ق : فيثلم . (٩) ق : فيسلم .

(١٠) ق : ترموه .

(-١١) ق ، ب : يضيع الزمان . (-١٢) ق ، ب : لايصلح .

(-١٣) ن فى ق ، والقنبيط : القرنبيط . (١٤) ق ، ب : ويشعر .

تفضيل[1] أجناس[2] الرمان أقل الأشياء ما عرف إيش[3] يقول ، ولقد غيرتم طعم أفواهكم بذكره ، فيقول بعض الجماعة : (فى السر[4] فما قد قال إنه ما يستحل ذكر[5] أحد[6] إلا بخير حتى استخف بذلك جميع الحاضرين ! ثم يشرع يجلو محاسن نفسه ويظهر[7] ، فضيلته التى تقدم بها على الأقران ، فيقول : يا غلام أغسل حلوق القوم من ذكر الوهرانى بشىء من الكمثرى الغَيْلانى ، والسُّكرى ، والعثمانى ، والسَّمرقندى[8] ، والحلاَّنى[9] ، والعربى[10] [ل ١٤٠] والبيطارى[11] ، والدبورى[12] ، والبردى ، والديجورى ، // والخنافسى[13] ، والحمدونى ، والسقلابى[14] ، والمعنق ، والملكى ، والذهبى ، والرحبى[15] ، وبشىء من التفاح النبطى ، والبطيخى ، والبديرى ، والصيفى ، والخشخاشى[16]

---

(١) ق : تفصيل .
(٢) ق ، ب : أصناف .
(٣) ق ، ب : ما .
(-٤) س : فى سره
(٥) ق ، ب : أن يذكر .
(٦) ق ، ب : أحدا .
(٧) ق : ويذكر .
(٨) السمرقندى : لعلها نسبة إلى سمرقند يقال لها بالعربية سمران (معجم البلدان ١٢١/٥)
(٩) ق : الجلابى ، لعلها نسبة إلى نهر بقرية جلاب التى بمدينة حران (معجم البلدان ١١٨/٣) وإن قيل حلانى فلعلها نسبة إلى مواضع أشهرها حلة بنى مزيد مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد ، والحلة حلة بنى قيلة ، أو انيرها (معجم البلدان ٣٢٧/٣) ، ب : الحلاقى .
(١٠) ق : الفرى : لعلها نسبة إلى ماء فى قبلى أجا أحد جبلى طى (معجم البلدان ٢٨٨/٦)
(١١) البيطارى : لعلها نسبة إلى بيطرة وهو اسم لثلاثة مواضع بالأندلس (معجم البلدان ٣٣٩/٢)
(١٢) ق : الدمورى ، ب : الدينورى .
(١٣) الخنافسى : لعلها نسبة إلى خنافس أرض للعرب قرب العراق من ناحية البردان (معجم البلدان ٤٦٨/٣) .
(١٤) القلانسى : لعلها نسبة إلى القلانس (اللباب ١٥/٣) .
(١٥) ن ق س ، الرحبى : لعلها نسبة إلى رحب موضع فى بلاد هذيل (معجم البلدان ٢٣٤/٤)
(١٦) الخشخاشى : لعلها نسبة إلى خشاش وهى أماكن بجبال الدهناء (معجم البلدان ٤٣٩/٣)

والفضى ، والحلوانى ، والحنانى[١] ، والقحابى[٢] والهشّامى[٣] ، والفتّحى والحديثى[٤] ، والقبلياسى[٥] ، واللبنانى[٦] ، وهو مار يسرد[٧] مثل الماء ، وابن الشيرازى[٨] يزهزه له ، (على صنف صنف[٩]) ، ويقول : باسم الله عليكَ ، بسم[١٠] الحمد حواليك ، أحسنت والله يا مؤيد الدين[١١] أزريت والله بابن العميد ، يابن العميد[١٢] لاإله إلاَّ الله ،(سبحانه من أعطاك[١٣]) هذا الفضل يا أخا الفضل[١٤] ، والله ما يقدر ابن البيسانى[١٥] يلوك من هذا كلمة ، وما العجب إلا فيمن[١٦] استكتبه ، وتركك بطالا ، فيقول أبو الفضل: ابن أخيه : إيش رأيتم من استقامة الزمان حتى تعجبوا من هذا ؟ قالوا : للجمل

---

(١) ق : الجليانى . (٢) ق : العجانى .

(٣) ق،ب : الهامى : لعلها نسبة إلى قرية باليمن بها معدن العقيق (معجم البلدان ٨/٤٤٠) .

(٤) ق : الحدسى : : لعلها نسبة إلى حدس بلد الشام (معجم البلدان ٣/٢٣٣) .

(٥) ق : القيلباسى . (٦) ق : البنانى .

(٧) ق : ويسرد .

(٨) ابن الشيرازى : أبو المجد بن الشيرازى هبة الله بن محمد بن خبل البغدادى المعدل الصوفى الواعظ،قدم دمشق سنة ٥٣٠ هـ وهو شاب فسكنها وأم بمشهد على وفوض إليه عقد الأنكحة توفى سنة ٥٧٨هـ (شذرات الذهب ٢٦٣/٤) .

(-٩) ق ، ب : على كل صنف . (١٠) ن فى س ، ب .

(١١) ق : مايوٌيد الدين . (١٢) ن فى ق ، ب .

(-١٣) ق ، ب : سبحان الله الذى أعطاك . (-١٤) ق ، ب : ياأبا الفضل .

(١٥) ابن البيسانى : هو القاضى الأشرف بهاء الدين أبو المجد بن القاضى السعيد أبى محمد محمد بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن المفرج بن أحمد اللخمى العسقلانى ، تولى القضاء بمدينة بيسان فلهذا نسبوه إليها وهى من بلاد الغور من أرض الشام ، وهو والد القاضى الفاضل دخل مصر فى زمان الخليفة الظافر بن الحافظ،توفى بالقاهرة سنة ٥٤٦هـ (الخريدة تحقيق د/شكرى فيصل ٢١٣/٤ ، اللباب ١٦١/١) .

(١٦) ق ، ب : ممن .

ما لرقبتك معوّجة[1] ؟ (قال : وأى شىء[2]) فىَّ مُقوَّم حتى تكون رقبتى مقومة ؟ فحينئذٍ يتنفس أبو المعالى الصعداءَ ، وينشِدُ[3] :

// تعسَ الزمانُ لقد أتى بعُجـــاب ‏ ‏ ‏ ومحا (رُسوم الفضل[4]) والآدابِ [ل١٤١]

وأتى بكُتَّاب لو انطلقت يــدى ‏ ‏ ‏ فيهم رددتُهم إلى الكُتــابِ

لو كان يبلــغ بالفضائل رتبـــة ‏ ‏ ‏ نلت العـــلى بكتابتى وحســابى

ثم يقعوا فى هـــذا الوادى من الحديث فيشتغلوا عن ذكر[5] وهران هذا إن صدق ظن الخادم وتخيله الصحيح فالأمر يجرى على هذه الصورة ولا يخرم بكلمة من هذه الألفاظ والسلام[6] .

---

(١) ق : معجوجة .

(-٢) ق : فقال وايش .

(٣) ق : ثم ينشد .

(-٤) ق ، ب : فنون العلم .

(٥) ن فى ق .

(٦) ن فى ق .

(وكتب رقعة إلى شمس الدولة بن منقذ[1])

الأمير شمس الدولة – أطال الله بقاءه – يجود[2] بالتسويف ، دون التشريف ، ويتعلل بالتكلُّف ، عن التخلُّف ، ويخُوف بالجمع الغزير ، لمثل ابن الوزير[3] ، وهو يعلم أن جفنته (مبذولة للضيف[4]) ، فى الشتاء والصيف يسرح فى أقطارها الطرف ، ويمرح[5] فى أرجائها الطرف ، ويتحقق أن سكينَه فى رقاب الدجاج ، وأبناء النعاج ، أمضى من سيف الحجَّاج.

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى بيته العنَّابُ والحشَفُ البالى

وإنما (يجب أن يخوف[6]) بمثل ذلك (الشيخ الأمير ابن الورشكين[7]) الذى [ل١٤٢] جفانه أضيق // من أجفانه ، وقدره أصغر من قدره ، وليس فى بيته للطارق ، غير السماء والطارق ، ولا يقدم للمنتاب ، غير التقريع[8] والعتاب ، (ولا يمد للنزيل[9]) ، غير العرض الهزيل ، وإذا أفلح قدَّم من تصحيف الخبز ملءَ زجاجة ، ومدية يذبح بها ألف دجاجة ، وملأ له الخوان من لحوم[10] الإخوان ، وإذا[11] طلب الأكل بالإدام ، (أطعمه من الذى فى الأقدام[12]) ،

(–١) ق ، ب : وله أيضا . (٢) ن فى ق .

(٣) ابن الوزير : أبو على الحسن بن مسعود بن الحسن الوزير الدمشقى الحافظ ، سافر إلى أصفهان ومنها إلى نيسابور ، ومرو ، وبلخ ، وهراة ، وغزنة ، وبلاد الهند ، اشتغل بالفقه والحديث . ولد سنة ٤٩٨ﻫ وتوفى سنة ٥٤٣ﻫ (الخريدة ١/٢٨٤) .

(–٤) ق ، ب : للضيف مبذولة . (٥) س : ويموج .

(–٦) ق : تخوف . (–٧) ق ، ب : الأمين بن الورشكين .

(٨) س : الترقيع . (–٩) ق : ولا يجد النزيل .

(١٠) ق : لحم . (١١) ق ، ب : وإن .

(–١٢) ق : الأقدام .

على أن عنده من الخبز(١) ، ما يوصّل الأعزاز إلى أعزاز (٢) ، والأكراد إلى(أرض مراد٣) ،وأما الدواب ، (فما لها٤) عنده جواب،لأنه ما أعلف(٥) قط إلا لعمامته ، ولا أسرَجَ إلا لهامته ، لكنه يدعو بالبركة للبعير ،ويعوّضُه بالشّعر عن الشّعير ، ويُعلق على رءوس الخيل ، أجزاء من كتاب الذيل ، وربما قدم للجمل ، شرح أبيات الجُمل ،ويعوض البغال عن العلف،جُملا من أخبار السلف ، ويقدم للحمار ، باب رمى الجمار ، لأن شعيره أبعد من الشّعرَى العبور ، وقرطه أعز من قرط مارية(٦) ، والبر عنده مثل الدر ، والتبن عنده أقل من التبر ، وهو مع هذا يقف على(٧) بابه ، ويكشر عن نابه(٨) ، وينشد :

أُضَاحِكُ ضيفي قبل(٩)إنزال رحْلِه ... ويخصب(١٠)عندي والمكان جَديب

//وما الخصب للأضياف أن يكثْر(١١)القرى ... ولكنما وجـه الكريم خصيب [ل ١٤٣]

---

(١) ق ، ب : الجبن .

(٢) أعزاز : بالقرب من حلب وبها مرج دابق وهو مرج معشب نزه (معجم البلدان ٢/ ١٨٩ ، معجم الأدباء ٨/١١٨) .

(-٣) أرض مراد : ينسب إلى مراد واسمه يحابر بن مالك بن أود بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سـبأ ، ومالك بن أود هو مذحج ، وينسب إلى مراد خلق كثير من الجاهلية والصحابة ومن بعدهم (اللباب ٣/ ١١٨) .

(-٤) ق ، ب : فالهم .

(٥) ق ، ب : علف .

(٦) قرط مارية : سبق تعريفه .

(٧) ق : عند .

(٨) ق : أنيابه .

(٩) ق : عند .

(١٠) ق ، ب : فيخصب .

(١١) ق ، ب : تكثر .

فإن رأى – أدام الله علوه[١] – أن يجعل رسوله وصوله، وجوابه ركابه ، ويعفى من[٢] التسويفات الأبدية ، والمواعيد العضدية ، فعل ذلك موفقاً إن شاء الله تعالى . أمتع الله به[٣] الوعد وعرقوبه ، وجعل الثريا بساطاً لعرقوبه ، والسلام[٤] .

---

(١) ق ، ب : أيامه . (٢) ق : من .

(٣) ق ، ب : بك . (٤) ن فى ق .

(وكتب نسخة عهد[1]) تقليد (عن قاضى الفاسقين[2])

لأبى الثنا محمود بن يحيى بن أفلح[3] اللخمى[4] المعروف بأتكوا[5]

(بسم الله الرحمن الرحيم[6])

الحمد لله الذى تجاوز عن كل غى ، ووعد بالمغفرة لكل حى ، فقال (عز من قائل[7]) « ورحمتى وسعت كل شىء » أحمده حمد الثرى للمطر ، والمحب على بلوغ الوطر ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، شهادة توصلنى إلى وصل الولدان ، وتجمعنى[8] فى الجنة مع المردان ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الوفى ، بذمته ، الشفيع[9] للمذنبين من أمته ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين من عترته ، هذا ما عهد قاضى قضاة الفاسقين ، (وناصر دين العاشقين ، وإمام العصاة والمنافقين[10]) ، جمال البدود[11] والدساكر[12] ، (رئيس الخرابات[13]) والمواخر ، فخر العلوق والمساخر ، ذو القرنين الحاضر مسخرة غلام نفاط // أمير المؤمنين أبقاه الله [ل ١٤٤]

(-١) ن فى ق .

(-٢) ن فى ق .

(٣) ن فى س .

(٤) اللخمى : محمود بن يحيى بن أفلح .

(٥) س : باتلو .

(-٦) ن فى س .

(-٧) ق : تعالى .

(٨) ق : وتجعلنى .

(٩) ق : والشفيع .

(-١٠) ق : وإمام العصاة والمنافقين وناصر دين العاشقين .

(١١) البد : الصنم ، أوبيته . الجمع أبداد ، وبددة وبدور كما ورد .

(١٢) الدساكر : الدسكرة : بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم فيها الشراب والملاهى .

(-١٣) ق : ورئيس الحانات .

للقيادة يتلو صحفها ويصطفى تحفها ، واللياطة[١] ينصح علوقها ويفتح مغلوقها ، وللبدود (يحمى رحابها ويغوى[٢]) قحابها ، وهو يومئذ متولى قضاء الفسق فى الإسلام ، نافذ القول فى الأغشام ، ماضى الحكم فى المغرب والعراق والشام .

إليك أيُّها القاضى الأجم فخرُ القيـــادة وتاجها ، قطب[٣] المعاصى وسراجها ، عز العلوق وعمادها ، ركن اللياطة وزنادُها ، جمال الفسقة وعينُها، شرف الزناة[٤] وزينها ، أبو الثنا محمود بن يحيى بن أفلح[٥] اللخمى أدام الله لك السرور ، ومتعك بالغفلة والغرور ، ولا زالت همتك مصروفة للمحاب[٦] ، وأكتافك مصطبة لخفاف القحاب ، ومنزلك معموراً بالعلوق وعارضك مصفراً بالخلوق ، تقضى (بالعقوق ، وتنهى عن الحقوق[٧]) ، أبداً[٨] إلى يوم[٩] ينفخ فى البوق .

ولما انتهى إلينا أيها القاضى الأجم ، أطال الله قرونك ، وأدام فى الخمور رهونك ، ما أنت عليه من سوء الخلائق ، وذميم الطرايق ، وانهماكك فى المعاصى ، وضربك بالمخاصى[١٠] ، وفسقك بالأدانى والأقاصى ، وأنك من أكذب الناس لهجة ، وأخبث العالم مهجة ، // وأبعدهُم عن[١١] المعرفة حساً ، [ل ١٤٥] وأبخلهم على المال نفساً ، تتلو صحف الأكاذيب ، وتدأب[١٢] فى المعاصى مثل الذيب ، استخرت الله تعالى[١٣] وقدمتك على القضـــايا السرية بثغر

---

(١) ق : لياطة .

(-٢) ق : يغرى قحابها ويحمى رحابها . (٣) ق : وقطب .

(٤) س : الدناة . (٥) ن فى س .

(٦) ق : إلى المحاب . (-٧) ق : فى الحقوق وتنهى عن العقوق .

(٨) ن فى س . (٩) ق : أن .

(١٠) ق : فى المخاصى . (١١) س : فى .

(١٢) ق : وتسعى . (١٣) ن فى س .

الإسكندرية ، فاحذر من الاضطهاد ، وشمر عن ساق الاجتهاد ، ولا تترك شيئاً من أمور الفسق مطلقاً ، ولا باباً من أبواب المعاصي مغلقاً ، فأول ما أذكر لك أيها القاضي الأجم[1] تقوى الله عز وجل ، الذى إن دخلت فيه بلا ثُنْيا ، استعجلت العذاب فى الحياة الدنيا ، وحطمك وأهرمك ، وقطع لذاتك وحرمك ، فجانبه مجانبة الأسد الكاسر ، واجعله بمنزلة العدو الكاشر[2] ، لا تلم به إلا من بعيد ، ولا تبصره إلا فى يوم عيد ، وحسن ظنك بالله العظيم ، وثق بعفو الغفور الرحيم ، فانه لايوصل إلى جنته إلا بمنته ، ولا يتخلص من عذابه إلا برحمته ، وثوابه[3] ، وإذا أراد الله أمراً يسره ، وإذا كره شيئاً غيره ، فصل من المعاصي ما قطعت ، وحمّل على شفاعة نبيك ما استطعت ، فإنك لا تقوى على ملازمة عمل التقوى ، وأخّر التوبة ، إلى وقت النوبة .

[ل١٤٦] // تحمّل[4] ما استطعتَ من الخطـــايا إذا كان القُدوم عــلى كريم

وآمرك فى أول الأمر ، أن تنظر فى أبواب الخمر ، فمن صرّفها[5] صرفْه[6] فى أعمالك ، ومن قتلها[7] فاقتله بنعالك ، ومن دلس فى جريالها[8] ، أو نقص فى مكيالها[9] ، (فاجعل خراك فى سباله[10]) ، وحمل الكلب على عياله ، واحكم فى مجالس الشرب[11] بهواك ، ولا تتكل فيها[12] على سواك ،

---

(١) ق : الأذل .

(٢) ق : الباسر . (٣) ن ف س .

(٤) ق : وكثر . (٥) صرفها : لم يمزجها بالماء .

(٦) ق : فصرفه . (٧) قتلها : مزجها بالماء .

(٨) س : جرياله : صبغ أحمر ويقال جريان . قيل هو ماء الذهب ، وزعم الأصمعي أنه رومى معرب وربما سميت الخمر جريالا (المعرب للجواليق ص١٠٢) .

(٩) س : مكياله . (-١٠) ن ف س .

(١١) ق : الشراب . (١٢) س : فيه .

ولا تنادم المعربدين والأثقال ، ولا تسامح فى نقل الأنقال ، وتلق علاج السكران بكمك ، وفده بأبيك وأمك ، ولا تؤاخذ نديمك بتجافيه ، ولاتعوّل(١) فى السكران على تصافيه ، واطو بساط الخمر بما فيه ، وآمرك أن تنظر فى أمر الولدان ، والصغار من المردان ، فمن بلغك أنه مقصر ، أو أعمى لا يبصر ، فخذه بالملاطفة ، واحذر عليه من المخاطفة ، وصبّعه بالخنصر ، ودرّجه إلى البنصر ، فاذا ارتقى إلى الترويس ، وانتهى إلى درجة التنكيس(٢) ، فالصقه بالحصى ، وادخل عليه إلى . . . . وآمرك أن تجمع بين الصغار والكواسر ، وأن تطرقهم إلى دخول القياسر(٣) ، وازجرهم عن الجدال ،(واضربهم على البدال٤) ، وعرفهم (أن من الوجادة، يُرتقى إلى التجارة، وفى البغاية // نيل [ل١٤٧] الغاية٥) ، لأنها داء الملوك وعلة الكتاب ، وآمرك أن تنظر (فى حال٦) الأجاريش(٧) . . . والنكاريش(٨) ، فمن نتف شعره ، (أو رفع على العشاق سِعْره٩) ، أو تجاوز حده ، أو حلق بالزجاجة خده ، فحذرمنه العاشقين ، واسحقه(١٠) فى ملأ (من الفاسقين ،وا كتبه فى ديوان المنافقين١١) ، وآمرك أن تنظر فى أعداء الدين من فقهاء القوادين ، فمن بلغك أنه شَرَّخَ درهماً من عاشق ، أو تلهى برجل فاسق ، أو شهد له بزور(١٢) ، أو دلاه بغرور ،

---

(١) س : تقل . (٢) ق : التكبيس .

(٣) القياسر : من القسر : القهر على كره .

(-٤) س : وأمرهم بالبدال .

(-٥) ق : إنهم يرتقوا من الوجادة إلى التجارة وأن فى البغاية نيل الغاية .

(-٦) ن فى ق . (٧) الأجاريش : رجل جريش أى صارم نافذ .

(٨) ق : التكاريش ، النكاريش : مفردها نكريش بمعنى الملتحى معرب نيك ريش أى جيد اللحية (الألفاظ الفارسية المعربة ص ١٥٤) .

(-٩) ن فى س . (١٠) ق : واسجنه .

(-١١) ق : المنافقين واكتبه فى ديوان الفاسقين .

(١٢) ق : بالزور .

فاصفع قفاه ، واعطه من التنكيل أوفاه ، وآمرك (بعد ذلك[١] أن تنظر فى(أمر أرباب[٢]) الصفاع ، وتذكر ما فيه من الانتفاع ، وأنه يُحلل الأخلاط ، ويسهل الضراط ، فتقدم إلى أصحابك باستعماله ، ومُرْ الرعيةَ باحتماله ، وانظر فى مشكلات نوازله ، وترتيب منازله ، واحكم فى التخيير بالتَّحْبير ، والتغميز بالتغميز ، ولا تفتِ فى اللحمية بالمبطنة ، ولا فى المكشوفة بالمقطنة ، ولا تأمر باستيفاء[٣] القفداوية[٤] إلا فى مكانها ، ولا فى النغانغية[٥] إلا فى أعكانها ، وبعد هذا فانى من الجهلة بفقه هذه المسألة ، وأنت من ذوى الألباب // [ل١٤٨] بفقه هذا الباب ، فاكشفه[٦] بفقهك وحكمك[٧] ، وانظر فيه(بتفاصيل علمك[٨] ،

وآمرك أن تنظر فى أمر[٩] المساحقات ، والقحاب المتعاشقات ، فانهن إذا تركن لذلك الشغل[١٠] ، اشتغل البعض بالبعض ، واكتفى[١١] بالنافلة عن الفرض ، فيكون ذلك سبب الكساد ، وداعية (إلى الفساد[١٢]) ، فاردعهم بالتنكيل واحذر من التوانى والتشكيل[١٣] ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

نسخة خط القاضى (بين سـطور التقليد [١٤])

قلدتُك أيها القاضى البليد ، جميع ما تضمنه هذا التقليد ، استجلاباً لأُنسك ، وتشريفاً لك على أبناء جنسك ، عندما بلغنا أن الملك الناصر – أيده الله – صفعك ودفعك ، ولم يلتفت إلى الخطوط التى[١٥] معك ، فضاقت

(–١) ن فى ق . (–٢) ق : باب .

(٣) ق : فى استيفاء .

(٤) القفداوية : قفد فلاناً صفع قفاه بباطن يده .

(٥) النغانغية : النغنغة هى المرأة الحمقاء .

(٦) ق : فشه . (٧) ق : وعلمك .

(–٨) ق : بدقيق فهمك . (٩) ن فى س .

(١٠) ن فى س . (١١) ق : واستغنى .

(–١٢) ق : الكساد . (١٣) س : والتكنيل .

(–١٤) ن . ف : س . (١٥) س : الذى .

لذلك صدورنا ، وأظلمت له بدورنا ، إذ كنت من ثقاتنا ، ومن كبار طبقاتنا ، فجبرنا ما انكسر من قلبك ، وأمنّا ما ارْتاع من سربك، فتلقَّ هذه الموهبة بالقبول ، وقابلها بالشكر الضـافى الذيول ، وأشرف بها على قومك[١] وولدك[٢] ، وافخر بها على أبناء بلدك ، وطالع الديوان الفاسىّ بما[٣] يشكل // عليك ، ويشتبه من النوازل بين يديك ، والسلام الأتم[٤] عليك . [ل١٤٩]

---

(١) ن ق ق .

(٢) س : وكلدك .

(٣) س : عما .

(٤) ق : التام .

وكتب أيضاً[1] إلى البدر[2] صاحب ضياء الدين[3]

ابن الشهرزورى — رحمه الله[4] —

ألهو بعدكم وأقر عينا   على اللهو بعدكم حرام

كتب هذه الأحرف عبد مولاى الشيخ الفقيه الإمام العالم الزاهد[5] الأمين بدر الدين[6]، لسان المرسلين[7] حوارى الرسول وصديقه ومؤنسه فى الدار ورفيقه — أطال الله بقاءه — فى عيش مخضود، وعز منضود[8]، وظل من السعادة ممدود.

إلى أن يئوب القارظان[9] كلاهما   ويُنشر فى القتلى (كُليبٌ لوائل[10])

وعنده من الأشواق، مايعجز عن وصفه ذوات الأطواق، ومن لوعة البين، ما يذهل حمائم[11] النيربين، ومن شدة الحنين، ما يشيب رأس الجنين،

---

(١) ن فى س، ب.

(٢) ب : حاجب.

(٣) ن فى ق.

(٤) ن فى ق.

(٥) ن فى ق، ب

(٦) ن فى ق.

(٧) ب، ق : المترسلين.

(٨) ن فى س.

(٩) ق : القارضان : حتّى يئوب القارظان: مثل يدل على التأبيد(مجمع الأمثال ١/١٤٢).

(-١٠) كليب لوائل : كليب بن ربيعة بن الحارث بن مرة التغلبى الوائلى: سيد الحيين بكر وتغلب فى الجاهلية، ومن الشجعان الأبطال، وأحد من تشبهوا بالملوك فى امتداد السلطة كانت منازله فى نجد وأطرافها. وبلغ من هيبته أنه كان يحمى مواقع السحاب. ويقال أن اسمه «وائل» وأن «كليباً» لقب له توفى سنة ١٣٥ ق. هـ (الأعلام ٣/٨١٥، ابن الأثير ص ١٨٧).

(١١) ق : حمام.

فلا والله ما رجل من أرباب الصدور ، وأبناء السادة والبدور(١) ، أبوه علم الأعلام ، وقومه مصابيح الإسلام ، فطم على الدفاتر والمحابر ، ونشأ بين السروج والمنابر، فضله (فى العلم٢) باهر، ولسانه فى الجدل قاهر // وهو فى خدمة [ل١٠٠] الملوك ماهر ، عزيمتُه(٣) فى ذلك ميمونة ، وبوائقُه فى المغيب(٤) مأمونة ، وطلعتُه سعيدة ، وهمتُه فى المعالى بعيدة ، عمر داراً كالقصر فى حومة باب النصر(٥)، تصلح لسكنى إمام العصر ، ما بين روضة وغدير ، وخورنق وسدير(٦) ، وترنم طائر وهدير على الأزهار والأكمام(٧) ، والريحان والنّمام(٨) ، والبستان والحمّام ، والمقصورات فى الخيام ، إلى غير(٩) . ذلك من أتباع وأخدان ، وولائد وولدان ، صنوان وغير صنوان ، يتقلبون فى نعمته ، ويبذلون أنفسهم فى خدمته(١٠) ، (فاجتمع له١١) فيها من أصناف(١٢) النعيم ، ما يُشبَّه بجنات النعيم ، فحسده الدهر على سعادته ، وأجراه فى التفرق على عادته ، فأخرجه من الطارف والتلاد ، وباعده عن الأهل والأولاد ، وأنزله أحوج ما يكون اليوم من البلاد ، بحيث لا يوجد خبز للشراء ، ولا يقدر على بيت للكراء ، قد خيم الوباء على أفنيتها ، وسكن الجوع فى قلوب أهلها(١٣) وأفئدتها ، وتغيرت أوطانها ، وضج منها قطانها ، فزوجته(١٤) أكبر سناً من أمها ، وأقدم على وجه الأرض من عمها ، (يتجلى نهار شعرها على ليل

---

(١) ق : البدور . (٢-) س : من العالم .

(٣) ق ، ب : عزته . (٤) ق : الغيب .

(٥) باب النصر : سبق تعريفه .

(٦) خورنق وسدير : من أشهر قصور الحيرة ، وقد زالت معالمهما (الديارات ص ٨١) .

(٧) ن فى ق . (٨) النمام : نبت طيب الرائحة .

(٩) ق : دون . (١٠) ق : خدمة .

(-١١) ن فى ق . (١٢) ق ، ب : أسباب .

(١٣) ق : رعيتها . (١٤) ب : فزوجته .

[ل١٥١] نحرها[١]) ، ونرجس خدها على رمانة قدها ، // وأنفُها مع ذلك فى[٢] السماء ، وصولتها إلى تحت الماء ، لا تنظره إلا بعين وليدها ، ولا تحسبه إلا من بعض عبيدها ، تدنيه تارة وتبعده ، وتقيم الكلب وتقعده ، طلب[٣] أهلها بالدخول فكتبوا عليه الفرض[٤] قبل الدخول ، وخافوا عليها من رجله ، فأقرت لهم بالمال من أجله ، ثم ألحت بالمطالبة عليه[٥] ، حتى إذا فنى ما فى يديه ، ألحت [٦] وتوصلت[٧] بكل قبيح إليه ، ما خلا قدمها وخفها ، فانها أشفقت من ذلك على كفها ، لكنه بين التهديد والوعيد ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد ، وما هى من الظالمين ببعيد ، فتذكر حينئذ ما كان عليه ، وما قد صار[٨] به الحال إليه ، فأنشد[٩] :

أحن إلى أهلى وأهوى لقــاهم   وأين من المشتاق عنقاء[١٠] مغرب

فخطرت فى قلبه جزيرة الذهب وفدادين القصب ، وهو على جسر الخشب ، فتصعدت زفراته ، وتضاعفت[١١] حسراته ، وأنشد :

أزيدٌ فى الليــل ليــل   أم ســال بالصبح[١٢] نسـيلُ

(–١) ق : يجتل بها بهار بعرها على ليل شعرها ، المراد الوصف بالشيخوخة .

(٢) ربما سقط شىء هنا مثل (فصادف هناك إمرأة أكبر من أمها ...)

(٣) ق ، ب : وطلبه .   (٤) ق : القبض .

(٥) ن فى ق ، ب .   (٦) ق : إلحت تبغى .

(٧) ق : ووصلت .

(٨) ق ، ب : صارت .   (٩) ق : وأنشد .

(١٠) (وأين من المشتاق عنقاء مغرب) يقال حلقت به عنقاء مغرب. مثل ضرب لما يئس منه ، والعنقاء طائر عظيم معروف الإسم مجهول الجسم ، وأغرب صار غريباً ، وإنما وصف هذا الطائر بالمغرب لبعده عن الناس ، ولم يؤنثوا اسمه لأ ن العنقاء اسم يقع على الذكر والأنثى كالدابة والحية (مجمع الأمثال ١/١٣٥) .

(١١) ق : وزادت .   (١٢) س : فى الصبح .

يا إخـــوتى بدجيـــل[١] وأين مـــنى دجيـــل

// ثم أقبل على تعضيص كفيه، وتخميش خديه، ثم بكى حتى خر مغشياً [ل١٠٢] عليه — بأشد من شوق الخادم (إلى لقائه[٢]) وتطلعه (إلى ما[٣]) يرد من تلقائه — فنسأل البارى جلت قدرته أن يجمع الشمل بهم قريب، إنه سميع مجيب.

لعله — أدام الله عزه — يسبق إلى خاطره الشريف إذا قرأ صدر هذه الرقعة أن الخادم عرَّض بالمولى الصاحب المخدوم، وأنه عناه بذلك — حاشا لله، وأعوذ بالله — وحق ما يعتقده من دين الإسلام، وإلا حرم عليه[٤] الحج إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه عليه السلام، ما خطر (فى ذلك الوقت لى[٥]) على بال، ولا أردته[٦] بشىء من ذلك، هذا (مع أن[٧]) الملك المعظم[٨] — أدام[٩] الله أيامه وحرس إنعامه — روى عن بيت فلان[١٠] أنهم [لا] [١١] (يفعلون مثل تلك[١٢]) الصفات سوى ذكر الخادم ممن أبرهم[١٣] خاطره على[١٤] ذلك لشدة محبته فى أولئك الأقوام، وأما غير ذلك فهو أعلم[١٥] أن خادمه أكثر فضولا[١٦] من الحمى، قد شرع يخبركم[١٧] بأخبار ديار مصر

---

(١) دجيل : نهر فى العراق قتل عليه مصعب بن الزبير فى عهد عبد الملك بن مروان (تاريخ الطبرى ص ٨١٠) والرواية المشهورة فى هذا الشطر هى « ذكرت أهل دجيل ».

(-٢) ق : إليه عند لقائه. (٣) ق : لمـــا.

(٤) ق : على. (-٥) ق، ب : له فى ذلك الوقت.

(٦) ق، ب : أراده. (-٧) ق، س : مع ما أن.

(٨) ق : المظفر. (٩) ق، ب : خلد.

(١٠) ق : ابن فلان.

(١١) غير موجودة فى النسخ الثلاث ولا يستقيم المعنى إلا بها.

(-١٢) ق : من ذلك، ب : مثل ذلك.

(١٣) ق، ب : آثره. (١٤) ق، ب : فى.

(١٥) ق، ب : يعلم. (١٦) ن فى س.

(١٧) س، ب : يريد يتحققكم.

[ل١٥٣] جميعها وهو شيء لم يسأل عنه ولا احتيج إليه فيه لكن// الفضولى يتلذذ بذكر الفضول مثل مايتلذذ المصافع بالصفاع ، وأيضاً فانه يعلم أن (أكثر هذيانه[١]) وتخبيطه ينطلى على المولى المخدوم .

احترق نيل مصر فى هذه السنة إلى حد ماانتهى(قط إليه[٢]) ، حتى ظهرت آثار المجلس الذى كان يجلس فيه فرعون يوم الزينة . ويقول[٣] : « أنا ربكم الأعلى وهذه الأنهار تجرى من تحتى » ثم تأخرت الزيادة عن وقتها المعهود حتى يئس الناس منها[٤] ، وشنعوا أن ملوك الحبشة صرفوا النيل عن[٥] مجارى ديار مصر إلى ناحية بلاد الزنج فلا يعود إليهم أبداً . ثم إن الله تعالى أرسله ومنّ به ، فزاد[٦] فى جُمعة واحدة نحواً[٧] من ثمانية أذرع ، فلم[٨] يزل كذلك إلى أن بلغ السيل الزبى ، (واستوى الماء والخشبة[٩]) ، وانتهى إلى حد ما انتهى إليه من زمان طويل . فطابت[١٠] النفوس وانشرحت الصدور ، ورجعت الحنطة[١١] إلى خمسين ديناراً المائة . والحمد لله رب العالمين .

وأما السلطان سيف الدين[١٢] ــ سلمه الله ــ فهو فى عافية ، قطع أكثر[١٣] هذه السنة (فى الطريق الشرقية مما[١٤]) يلى بلاد المشركين ، وغارات العربان على

(١-) ق ، ب : هذيانه أكثر .

(٢-) ق ، ب : إليه قط .

(٣) س : يقول .

(٤) ق ، ب : منه .

(٥) ن فى ق .

(٦) ق ، ب : وزاد .

(٧) ق ، ب : نحو .

(٨) ق ، ب : ولم .

(٩-) ن فى ق ، ب .

(١٠) ق ، ب : وطابت .

(١١) ق ، ب : الغلة .

(١٢) السلطان سيف الدين : لعله يريد به أخا صلاح الدين الأيوبى المتوفى سنة ٥٩٣ هـ .

(١٣) ق : البر .

(١٤-) ق ، ب : فى أطراف الشرقية مما .

بلاد العدو متواترة فى الليل والنهار ، وهو(١) فى هذا // الشهر وهو جمادى الآخرة(٢) يُطهر أولادَ الملك الناصر وأولادَه —بارك الله فى الجميع— وقد استعد لذلك بالتجمل العظيم . [ل١٠٤]

وأما الأسطول المنصور فإنَّه خرج فى(٣) أول دفعة فى آخر ذى القعدة، ووصل فى عاشر المحرم بألف رأس رقيق بعد أن خرَّب وأحرَق(٤) ، وقتل خلقاً كثيراً(٥) ، وخرج فى(٦) الثانية أول جمادى الآخرة ، ورجع فى الخامس والعشرين منه موسقاً(٧) بالسَّبي والحرير ، وكان قد(٨) وصل إلى ثغر(٩) الإسكندرية أربعون شينياً(١٠) فلما أشرفوا على البلد ورأوا كثرة من خرج إليهم انصرفوا راجعين .

الملك المعظم — أدام الله أيامه — كما تعلم ينهب(١١) الأيام نهباً، ويقطع (الأوقات إلى(١٢) اللذات وثباً(١٣)، أنفق بعد وصوله إلى ديار مصر نحواً من مائة وسبعين ألف دينار كأنما وقعت فى بئر. لم يظهر(١٤) لها حس ولا خبر إلا على

---

(١) ن فى س . (٢) ق : الأولى ، ب : الآخر .

(٣) ن فى س . (٤) ق : وحرق .

(٥) ن فى س . (٦) ن فى ق .

(٧) ق ، ب : موسوقا . (٨) ن فى ق .

(٩) ن فى س ، ب .

(١٠) شينيا : الشينى أو الشاف أو الشينية أو الشونة ج شوانى : السفينة الحربية الكبيرة وهى أهم القطع الكبيرة التى كان يتكون منها الأسطول فى الدول الاسلامية ، وقال الزبيدى (تاج العروس) بأنها من أصل مصرى ، وذكر ابن مماتى : (قوانين الدواوين ص٣٤٠) إن الشينى كانت تسير « بمائة وأربعين مجدافا ، وفيها المقاتلة والجدافون » وفى (مفرج الكروب ٢ / ١٣) نص يحدد حمولة الشينى فى العادة بمائة وخمسين جنديا (هامش كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ص ٤٨) .

(١١) س : نهب . (١٢) ن فى ق .

(١٣) س : نهبا . (١٤) ق : يسمع .

المساخر والقوادين ولأجل ذلك لم يكن للخادم(١) (فيها حظ ولا ٢) نصيب ، لكن سيدنا بدر الدين لو كان حاضراً لحصل (له من ذلك٣) أوفى نصيب . وصار إلى الأمير رجاء منها ألف وخمسمائة دينار ، // ولابن اسرائيل ألف دينار. [ل١٠٠]

ولما عُرِضَت رقعتكُم عليه أنكر أن تكون(٤) بخط المولى الصاحب المخدوم ، وحلف على ذلك بمحرَّجات الإيمان ، وقد انحدر فى أول هذا الشهر إلى ثغر الإسكندرية للصيد والفُرجة ؛ فهرب(٥) من الجند الذين كانوا معه نحو من ثلاثمائة فارس إلى ناحية برقة وبلاد المغرب ، يحركون عشَّ الزنابير . وقد(٦) اجتمع به يحيي الحكيم بعد مقاساة الشدائد والخسارة(٧) العظيمة ، لأنه سمع أنه يطلع من الشأم إلى اليمن فلم يكذب ذلك ، وطلع إلى قوص ثم إلى عيذاب ، ثم إلى مكة ، فوجد سيف الدولة بن منقذ خارجاً من اليمن فعرفه أن الملك المعظم قد وصل إلى ديار مصر فجاء معه على(٨) طريق أيلة ، وأبصر الموت بعينه ووصل إلى مصر فاجتمع(٩) به هناك وفرح به وخلع عليه جبة أطلس وعمامة شرب(١٠) مذهبة(١١) .

ومرض أيضاً سيف الدولة ولم يبق فى موته شيء ثم أفاق(١٢) فخلع عليه

---

(١) ق : الملوك . (٢-) ق : فيها .

(٣-) ق : للخادم منها . (٤) ق : يكون .

(٥) ق : وهرب . (٦) ق : فقد .

(٧) ق : مع الخسارة . (٨) ق : إلى .

(٩) ق : واجتمع .

(١٠) عمامة شرب : ماخرج من أقمشة رقيقة من الكتان اشتهرت باسم الشرب ، كان ينسج فى دمياط النوع الأبيض منها وما يصنع فى تنيس كان بألوان مختلفة (مصر فى عصر الأيوبيين ص ١٩٨) .

(١١) ن فى ق ، ب . (١٢) ق : وأفاق .

جبة أطلس وعمامة شرب ، وأجرى له الملك المعظم(ثلاثين ديناراً فى الشهر(١) ، (وخمسة أرادب(٢) قمحاً،وعشرة شعيراً ، وهو ملازم له حيث ما(٣) كان .

المولى سيف الإسلام(٤) كان قد تاب // وأناب(٥) ، وأقلع ولزم الصوفية [ل١٠٦] والفقهاء ،(يسمع الحديث ويناظر الفقهاء(٦) ، فى داره كل ليلة . ثم إنَّ الله تعالى منَّ عليه بالعافية ، وردَّ عليه جميع(٧) عقله ، ودخل إلى الملك المعظم فوجده على حالة يقصرعنها الوصف ، فعجم الشيطانُ عودَه فى ذلك واستلانه فوجده رِخو الملاكة فردَّه إليهم كما كان والسلام .

القاضى صدر الدين مشوش الخاطر بما قد فعلتموه معه ، وما قد بلغه من سوء رأى الملك الناصر فيه ، وأنه يرتاد قاضياً سواه ، وأن أمركم كاد أن يتم لولا ما تعلمونه . وقد زوَّج ابنته فى رأس جُمادى الآخرة لابن زين التجار(٨) على صداق ثقيل ، ورغبة عظيمة وعُمرها دون (الثمان سنين(٩) . (وكان العقد مفسوداً(١٠) ، وكانت(١١) فى ذلك كما قال النابغة الذبيانى(١٢) :

(-١) ق: فى الشهر ثلاثين دينارا .

(-٢) ق : وخمسين إردبا .   (٣) ن فى ق ، ب .

(٤) سيف الإسلام : لعله يريد طغتكين بن أيوب بن شادى : صاحب اليمن ، الملقب بالملك العزيز ، كان شجاعا أديبا عاقلا ، بعثه أخوه الناصر صلاح الدين إلى اليمن فدخل مكة سنة ٥٧٩هـ ودخل زبيدافتعز ، وملك اليمن طوعا وكرها . وكان فقيها له مقروءات ومسموعات واختط فى اليمن مدينة سماها « المنصورة » على أميال من مدينة الجند سنة ٥٩٢هـ وتوفى فيها سنة ٥٩٣هـ (الأعلام ٤٤٨/٢) .

(٥) ن فى ق .

(-٦) ق : والحديث يتناظر الفقهاء .   (٧) ن فى ق ، ب .

(٨) ابن زين التجار : سبقت ترجمته .

(-٩) س: الثمانين سنة .

(-١٠) ن فى ق ، ب .

(١١) ق ، ب :فكان .

(١٢) واضح أن هذا ليس للنابغة وانما هو غيث الوهرانى .

ابن الخـــرا يزف　　لبنت الخـــرا بدف

(لكن المعنى مفهوم ، وإن كان السبب مكتوم)[1] .

ولى القاضى (صدر الدين[2]) الأحباسَ فى أول ذى الحجّة من سنة أربع (وسبعين وخمسمائة[3]) ، فقطع الجوارى كلها فى ربيع الأول من السنة ، (الحمد لله على حضور الحس[4]) وبلغ بذلك[5] إلى الملك الناصر – أبقاه الله – فأنكره ، وأمر (برد الجميع إليهم[6]) فعظم ذلك عليه // وضاق صدره لأجله ، [ل١٥٧] كأنما يخرجها من ماله فأمسك لهم[7] الربع من الجوارى[8] ، ورد الثلاثة أرباع ، فأهلك الفقراء والمساكين . وكتب بعد ذلك مُراجعةً إلى السلطان[9] بين فيها أن الناس لا يستحقون[10] شيئاً بوجه شرعى ، وهم يتوقعون قطع البقية ، وهم[11] معه فى سيرة الحجاج ، والسلام .

الفقيه بهاء الدين فى عافية ، وهو[12] يسلم عليكم ويخدمكم . وكان قد تعذب قلبه فى هذه الأيام[13] بسبب أخذ السلطان الضيعة الفيومية لما بلغ مُغلّها ألف دينار عيناً . ثم إنها ردت (عليه بعد ذلك[14]) ، بعد أن كادت روحه تذوب .

الفقيه زين الدين نزل فى هذا النيل إلى موضعه فى دار الملك ، وفيها

---

(١) ن فى ق .
(-٢) ن فى س .
(-٣) ن فى س .
(-٤) ن فى ق ، ب .
(٥) ن فى س .
(-٦) ق : برده : ، ب : برد الجمع .
(٧) ن فى ق .
(٨) ق ، ب : الجارى .
(٩) ق : الملك .
(١٠) ق ، ب : يستحقوا
(١١) ق : فهم .
(١٢) ن فى س ، ب .
(١٣) ق ، ب : السنة .
(-١٤) ن فى س .

زوج ابنه عبد الكريم بجارية الأمير(١) نجم الدين بن مصال – رحمه الله(٢) – بعد موت ابنتها منه(٣) . وفيها عقد نكاح ابن البيسارو(٤) على أخت الأمير نجم الدين المذكور(٥) ودخلت(٦) عليه فى القاهرة ، وهو فيها مفتون ، لكن الفقيه زين الدين لم يطلع من الدار إلا وقد مرض هو وكل من عنده والجارية المصرية(٧) إلى الآن فى حد التلف(٨) . وقد استعار الأستاذ الجديد الذى نفذتموه (من هناك٩) ،فلم يقعد عندهم(١٠) (سوى يوم واحد١١) . // وجاءه [ل١٠٨] أمر الله فنغص(١٢) (عليهم وقتهم١٣)، فهج على وجهه هارباً (من الدار١٤) .

المولى نظام الدين سلّمه الله (فى عافية١٥) فى نفسه وابنته، لكن أم البنت مريضة لا شفاها الله بعافية(١٦) . وكان قد اتصل فى هذه المدّة بالملك المعظم ، وخف على قلبه ووعده بوفاء دينه والإحسان إليه ، وهو يسلم عليكم ويخدمكم(١٧) ويسأل من(١٨) إنعامكم، أن تنفذوا له بركاناً ثقيلا (مثل الأول يتخفف به فى الحر١٩) ، فإن ديار مصر شديدة الحر(٢٠) ما تقاسى فى الصيف إلا بالبركان ! والله إن المزين نحس .

---

(١) ن فى ق . (٢) ن فى س .

(٣) ق : منية . (٤) ق ، ب : ابن اليصارو : سبقت ترجمته

(٥) ن فى ق ، ب . (٦) ق : التى دخلت

(٧) ن فى ق ، ب . (٨) ق ، ب : اليأس .

(-٩) ن فى س . (١٠) ق : عنده .

(-١١) ق : إلايوما واحدا . (١٢) س ، ب : ونقض .

(-١٣) ق : عليه زمنهم، ب: زمتهم . (-١٤) ق ، ب : إلى دار .

(-١٥) ق : معافى . (١٦) ن فى س .

(١٧) ن فى ق . (١٨) ن فى ق .

(-١٩) ق: يتخفف به فى الحر مثل الأول. (٢٠) ق ، ب : البرد .

الحاجب خطلخ[١] يتشحط فى[٢] الدماء مع أصحاب الديوان ، يجرى بينه[٣] وبينهم المزاهز[٤] كأن الشمس المقرى[٥] ، يغزوه فى كل يوم أربع كرات ، (إلى أن قلعه ٦) وطيره إلى الله ، (فسلط الله[٧] عليه أربع حُمّايات (مختلفة تتناوب عليه فى ساعات الليل والنهار ؛ (لكل طبيعة حمى[٨]) ، فاشتغل عنه بنفسه[٩]) .

وبقى التاج المغنى إذا طال عليه المطال (وعيل صـــبره[١٠]) ، ينحدر عليه من القاهرة مثل السيل فى الليل يرمى[١١] الشرار من أعطافه ، ويخرج الدخان من حلقه ، ويهذ[١٢] عليه إذا رآه هذّا[١٣] تزول منه الجبال . فما هو إلا أن يحضر له طن[١٤] // القصب ، (أو قفة[١٥]) الخيار ، أو درهم[١٦] كرى [ل١٥٩] الحمار[١٧] . وقد أنفش[١٨] ذلك الغيظ كله من ساعته ، ويرجع[١٩] يلقنه المعاذير . وقد ابتدأ يكسر القصب من نصف[٢٠] جمادى الأولى[٢١] ، بغير

---

(١) خطلخ : العلم دار هو مملوك لنور الدين محمود (النجوم الزاهرة ٦/١٥) .
(٢) ق : من .
(٣) ق : بينهم .
(٤) المزاهز : الفتن يهتز فيها الناس .
(٥) المقرى : لم نجد له تعريفا .
(–٦) ن فى س .
(–٧) ق : وسلط .
(– ٨) كذا فى س والصواب « لكل حمى طبيعة » .
(– ٩) ن فى ق .
(–١٠) ق ، ب : وضاق صدره .
(١١) ن فى ق .
(١٢) ق ، ب : ويهد .
(١٣) ق : هدا ..
(١٤) كذا فى ق ، س والصواب « طن » .
(–١٥) س : أو القفة الخيار .
(١٦) ق ، ب : درهم وربع .
(١٧) ق المكارى ، ب : حمار المكارى.
(١٨) كذا فى س،ق والصواب « وأنفش » .
(١٩) ق : ورجع .
(٢٠) ن فى س .
(٢١) ن فى ق ، ب : الأول .

إذن زين الدين ، فحرد عليه وحلف أنه لا يدخل له فى أمر بعدها . وقد اشترى فى هذه المدة جارية ريفية مليحة ؛ لكن ما هى حرة بمرة ، سكنت معه فى الساقية ، وتعشقها ابن الخولى لما شرب معها المزر[١] فى الخيزرانية ، فأعجبته[٢] شمائلها فتهتك عليها[٣] ، وما قدر يصل إليها قط[٤] بقبيح ألبتة إلا كرتين أو ثلاثة .

الأمير رجاء مرض مرضة عظيمة أشرف فيها على التلف[٥] . ثم منّ الله عليه بالعافية ، واستقل فرأى فى النوم كأن عمه قُضاعة[٦] الميت جاء[٧] إليه ، فأخذه وأدخله[٨] إلى بيت مظلم فانتبه خائفاً مذعوراً ، فتوهم من هذا توهماً عظيماً ، فانتكس نكسة وحشة[٩] ، ثم أفاق . (ثم مات فسبحان الحى الذى لا يموت[١٠]) .

الأمير عز الدين موسك[١١] كان قد ولى الشرقية ؛ ثم استعفى منها فعُفى[١٢] ، فدخل إلى[١٣] القاهرة وردّه السلطان إليها بغير اختياره ، وطهّر

---

(١) المزر : نوع من المسكر .

(٢) ق ، ب : فأعجبه . (٣) ق ، ب : فيها .

(٤) ن فى ق . (٥) ق ، ب : الموت .

(٦) قضاعة : هذه النسبة إلى قضاعة شعب عظيم يشتمل على قبائل كثيرة : منهم كلب وبلى وجهينة وقد اختلف فى قضاعة فقيل إنه من معد وقيل إنه من اليمن . والمنتسب إليه خلق كثير (اللباب ٢/٢٦٩) .

(٧) ق ، ب : قد جاء . (٨) ق ، ب : ودخل به .

(٩) ق : عظيمة . (-١٠) ن فى س .

(١١) عز الدين موسك : سبقت ترجمته .

(١٢) ن فى ق . (١٣) ن فى س ، ب .

أولاده فى هذه الأيام ، فعمل وليمة عظيمة لم يعمل قط(١) مثلها فى (الإسلام لا فى٢) الشام ولا فى ديار مصر ، // ذبح فيها سبعمائة رأس غنم ، وثمانين [ل ١٦٠] قنطار حلاوة ؛ منها أربع قصور ، وثمانين صورة كبار ، والبقية صحون ، وعشرة أفراس(٣) ، ومن°(٤) الأطلس والنسيج والخوبى(٥) والعتّابى(٦) والنّشاورى(٧) ما لا يحد ولا يُعَدّ°(٨)، لكنه بسط تحت رجل فرس السلطان ثياب الحرير فى طول الدهليز ، والثياب الطلس فى صحن الدار إلى باب المجلس أخذها جميعها الفراشون . (ثم عمل للصوفية٩) ليلة ذكروا أنهم ما رأوا قط مثلها ، ولا أكثر خبزاً(١٠) ولا أطيب (حلاوة و١١) وقتاً . وقد استعدت زوجتُه ليوم السابع بمثل ما وصفتُه عن زوجها وأكثر ، أعنى من المأكول(١٢) والحلاوات وخلع الوشى(١٣) والمعاجر(١٤) والثياب الحرير .

وأما أخبارُ الوهرانىّ فهو(١٥) بحمد الله فى عافية هو ومن عنده ، وكان قد(١٦) زوج ابنته فى رأس هذه السنة بشاب(١٧) من أبناء المصريين ابن أخت

---

(١) ن فى س . (-٢) ن فى س ، ق .

(٣) كذا فى ق ، س والرأى « أفراش » .

(٤) كذا فى ق ، س والرأى « من » .

(٥) الخوبى : نسبة إلى دار بناحية الحمى (معجم البلدان ٣/٤٩٤) .

(٦) العتابى : لعلها نسبة إلى العتابيين غربى بغداد (اللباب ٢/١١٨) .

(٧) النشاورى : لعلها نسبة إلى نشور من قرى الدينور (معجم البلدان ٨/٢٨٩) .

(٨) ن فى س ، ق . (-٩) ن فى ق .

(١٠) ق ، ب : خبزاً . (-١١) ن فى س .

(١٢) ق : المأكولات . (١٣) ق ، ب : السواسى .

(١٤) المعاجر : المعجار ثوب تلفه وتطلقه على استدارة رأس المرأة وجمعها عجر .

(١٥) ق ، ب : فإنه . (١٦) ن فى س .

(١٧) ق : لشاب .

زوجة القطب قاضى قليوب . ومن هنا(١) جاء الاتصال له بأملاك وحبس(٢) ومال للتجارة وهو فى نفسه شاطر رشيد جهزها(٣) إليه الخادم بنيف وثلاثمائة دينار ، فلم(٤) يترك على عينيه الماء(٥) ، ولو علم أن الأمر // يجرى على هذا [ل١٦١] لجعلها آخر موءودة سئلت بأى ذنب قتلت ؟ (قد دوخ والله ٦) دماغه من حديث الإسكاف والنطاع ، وعميت عينه(٧) من شراء(٨) مكاحل البلور وأميال الذهب ، وقد صمت أذناه(٩) من شراء(١٠) الحلق والأقراط ، (وأخذته الحناقية١١) من ذكر(١٢) المخانق (وتعقد من١٣) العقود ، هذا بعد ما أنحسه النحاس ، وابتزه البزاز ، ولم ينجده النجاد ، وضربه(١٤) الخياط بالسياط ، وأماط (ما ستره١٥) الله عن أكتافه(١٦) الماطى(١٧) ، وأما همّ الصائغ فإنه « يتجرعه ولا يكاد يسيغه . ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ(١٨) » ، لكن الزوج من يوم دخل عليها مرض مرضاً زائداً(١٩) ردياً ، وغالب الظن أنها تقلعه(٢٠) ،وما يقع لى إلا أن كعبها

---

(١) ن ى ق ، ب : هاهنا .

(٢) س ، ب أملاك حبس ، ق أملاك وحبس .

(٣) س : جهز . (٤) ق : لم ، ب : ولم .

(٥) يترك على عينيه الماء : مثل عامى معناه لم يكف عن البكاء .

(-٦) ق ، ب : قد والله تدوخ .

(٧) ق ، ب : عينيه . (٨) ق : شر .

(٩) فى الأصل : أذنيه . (١٠) ق : شر .

(-١١) ق ، ب : وقد أخذته الخناقة ، رسمها فى الأصل الحنافية .

(١٢) ق : شر . (-١٣) ن ى ق ، ب .

(١٤) ق : وطربه : أحزنه . (-١٥) ق ، ب : ستر .

(١٦) كذا فى س ، ق والرأى كتفه .

(١٧) الماطى : يتضح من السياق أنه صاحب حرفة .

(١٨) سورة ابراهيم — آية ١٧ (١٩) ن ى ق ، ب .

(٢٠) ق : تلعقه .

مدور(١) مثل بعض الناس ، الزوج الأول كان اسمه أبو المجد بن أبى الحكم(٢) وهذا الثانى أبو المجد ، إذا مات يكون قد قلعت(٣) اثنين على قافية الألف ، وبالله(٤) لقد (تنغصت لك بها ٥) ، إذا تخلصت من هذا نـُملـِّكها عليك ، إن شاء الله حين تصل لكنك تكتب الوصية قبل الصداق // والسلام . [ل ١٦٢]

كان قد وصل فى كتابه يقول : إنه لو كان من كلامك شىء نتوصل به إلى مخاطبة المولى ظهير الدين(٦) لرجونا أن ننتفع بذلك منفعة عظيمة(٧) تامة ، فاستفزت(٨) الخادم بروق(٩) المطامع ، وتفتحت نحوكم عيون الآمال ، وامتدت إليكم يد الرجاء ، فنفذ المقامة التى كان(١٠) عملها فى الخليفة(١١) سنة سبع وستين أول جلوسه ولم يقدر على وصولها إليه فى ذلك الوقت ، فكتمها حينئذ ولم يُظْهر عليها أحداً من الناس ، فإن رأيت أن تتفضل وتجتهد فى أمرها ، فلعل الدهر يغلط معه فيها وينام له عنها ، وعسى بركاتكم (تعود عليه١٢) ، وربما كان ذلك ، وما كان(١٣) ذلك من سعادتكم ببعيد .

كان الخادم قد أكد عليه(١٤) غاية التأكيد فى أخذ أخبار بغداد من المؤرخ

---

(١) كمبها مدور : مثل .

(٢) أبو المجد بن أبى الحكم : لم نجد له تعريفاً فيما لدينا من المراجع .

(٣) ق ، ب : لعقت . (٤) ق ، ب : بالله .

(ـ٥) ساقطة فى ق .

(٦) المولى ظهير الدين : صاحب دمشق وهو مملوك الملك تتش بن ألب أرسلان وكان خيراً كثير الغزوات والجلد للفرنج ، حسن السيرة فى رعيته مؤثراً للعدل فيهم ، وكان لقبه ظهير الدين توفى سنة ٥٢٢ هـ (الكامل ٣٢٧/٨ ، تاريخ أبو الفداء ٣ / ٣٢ والنجوم الزاهرة) .

(٧) ن فى ق . (٨) ق : فاستغرب .

(٩) ق : بنوق . (١٠) ن فى ق ، ب : تم عليه .

(١١) يريد المستضىء بأمر الله العباسى .

(ـ١٢) ن فى ق . (١٣) ن فى ق .

(١٤) ن فى ق ، ب .

بها فى هذا الزمان من سنة خمس وخمسين وخمسمائة إلى هذا اليوم ، فإنه قد أحكم أمر التاريخ الذى عمله ، وجاء عجب من العجائب ، شىء لا كالأشياء ، لم يسلك أحد طريقه[١] // ولا تنبه عليها بنى لكم فيه[٢] من المجد فوق[٣] ما تستحقوه منه ، حمله على ذلك كثرة المودة[٤] ، وحسن العهد ، وشدة المحافظة ، وكرم الطباع . فطوبى والله لمن ضمخته[٥] بالمسك فيه ، والويل ثم الويل لمن خريت فى لحيته ،(وعند الصباح يحمد القوم السرى[٦]) (وستقف عليه[٧]) إن شاء الله وتعلم[٨] ، وتبصره[٩] فى يد الملك الناصر يقرؤه على رءوس الأشهاد وتندم[١٠] ، وتقرأ[١١] فى سورة الزمر حينئذ أربع آيات متواليات[١٢] أولها : « أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله ، وإن كنت لمن الساخرين » ، أو تقول : لو أن الله هدانى لكنت من المتقين ، أو تقول حين ترى العذاب : « لو أن لى كرة فأكون من المحسنين » . فأقرأ حينئذ لك[١٣] : « بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين » جعلنا الله وإياكم ممن يتم[١٤] عليه بركات الأبوة ، وتهزه رياح الأريحية وتحركه بواعث الفتوة ، وترده عواطف الأخوة ، إنه منعم كريم .

[ل١٦٣ظ]

---

(١) ق : طريقته ، ب : قط طريقته .

(٢) ن فى ق ، ب .

(٣) ق : مالا .

(٤) ساقطة فى ق ، ب : المروءة (٥) ق : ضمخة .

(-٦) يضرب هذا المثل للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة (مجمع الأمثال ١/٣٠٣) .

(-٧) ق : وسيقف . (٨) ق ، ب : ويعلم .

(٩) ق : ويبصره . (١٠) ق ، ب : ويندم .

(١١) ق ، ب : ويقرأ . (١٢) ق ، ب : متوالية .

(١٣) ق ، ب : أنا لك . (١٤) ق ، ب : يم .

[ل١٦٤] كان عبدها(١) توانى(٢) فى هذا الكتاب// إلى أن ضاق عليه الوقت فلم يتم له فى المقامة الذى(٣) أراد ، لكن إن رأيت أن تبدلها بخط جيد فى ورق رفيع ، وتغير مالا ترضاه فى حق (الخليفة الوزير٤) . فافعل فى ذلك ما تشكر عليه ، ولا تنس كتاب التاريخ بأخبار بغداد (عشرين سنة٥) ، فانى أعرفك تنسى كثيراً والسلام على كل(٦) من تحويه مدينة السلام كرامة لكم . الخادم يقبل يد المولى ورجله ويعرفه شوقه(٧) إليه وتطلعه إلى ما يرد من أخباره ، أطلعه الله منها على ما يسره ، والسلام .

---

(١) كذا فى الأصل ولعلها « عبده » .

(٢) ساقطة فى ق .

(٣) ق ، ب : التى .

(-٤) ق ، ب : الوزير والخليفة .

(-٥) ن فى ق .

(٦) ن فى س .

(٧) ق : شوق .

وله نسخة إجارة[1]

أما بعدُ فقد أجرتك برضاى ورضاك قَراحا[2] ، يُعرف بالكبد من رُستاق[3] الحسد على نهر يعرف بالحُبِّ ناطوره السُّقم ، وغلَّتُه النحول وثمرهُ هَمٌّ لا يزول ، لتعمره بالوفاء ، ولا تعطشه بالهجر والجفاء ، وتسقيه من ماء الرضا ، إنك مالكه إلى الحشر ، وبذلك أشهدا على أنفسهما المؤجر والمستأجر فى صحة منهما وسلامة ، وذلك فى السبوبات بالميدان الأخضر سنة خمس وثمانين وخمسمائة[4] .

// شهدت على إقرار المؤجر والمستأجر بما نسب إلى إقرارهما فى تاريخه المذكور . [ل١٦٥]

وكتب عبد الله بن حسن بن منصور :

شهدت على إقرار المؤجر والمستأجر فى تاريخه .

وكتب سعيد بن سعد الله .

---

(١) هذه المقطوعة لم ترد إلا فى س .

(٢) قراح : القراح من الأرض الخلاة للزرع وليس عليها بناء .

(٣) رستاق : الرزداق والجمع رساتيق (الرزداق : موضع فيه مزروع وقرى أو بيوت مجتمعة) .

(٤) تذكر الكتب التى بين أيدينا جميعاً أن موت الوهرانى فى سنة ٥٧٥ هـ ، ونعتقد أن التاريخ المذكور خطأ .

(وكتب إلى الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله[١])

الملك الناصر – أدام الله أيامه وحرس إنعامه – كالفلك الدائر . إن[٢] وافقك فى الصعود ، وقابلك بالسعود ، أورق فى يدك يابس العود ، وكالبحر الزاخر إن ركد غليانه ، وسكن هيجانه ، أغناك لؤلؤه ومرجانه ، والخادم يتوقع نظرة من سعوده ، أو ذرة[٣] من نجاز وعوده ، يبلغ بها مناه ، (ويصل بها إلى غناه[٤]) ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

وكتب إليه ثانيـــة

الملك الناصر – أدام الله أيامه – أكرم من الركام على الآكام[٥] ، وأندى من السحاب على الرحاب ، وأسخى من الأنواء فى الجوزاء . ومملوكه الأصغر أمدح من حسان لملوك غسان ، وأشكر من الأزهار لجداول الأنهار ، وأحوج من الظلماء لمصابيح // السماء ، فما باله[٦] أدام الله ظله يتوانى عن عبده ، [ل١٦٦] ويتوقف فى رفده ، وقد أضر به البوس ، وأعوزه الملبوس ، وقد هجم العيد ، وهو لا يبدى ولا يعيد . أتراه الذى نهى شاور[٧] عن الاتفاق ، وأمره

(١-) ق : وكتب أولا ، ب : وكتب أولا : إلى الملك الناصر .

(٢) ن فى س .

(٣) ق ، ب : درة .

(٤-) ن فى س .

(٥) س : الأحكام .

(٦) س ، ق : فاله .

(٧) شاور : ابن مجير أبو شجاع الدهى ولقب أمير الجيوش وهو الوزير المشئوم فإنه قد طمع فى أخذ الديار المصرية ومالأهم على ذلك إلا أن الله لطيف بمصر وأهلها فقيض لهم عسكر نور الدين الشهيد فأزاحوه عنها وقتل الوزير شاور بيد صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة ٥٦٤ هـ (حسن المحاضرة ١/١٢٣) .

بالغدر والنفاق ، أو تعتقده الذى حنك ابن الخياط[١] ، (وسار بالفرنج[٢]) إلى دمياط ؛ لا والله ولكنه من الدعاة فى الأمصار ، ومن كبار المهاجرين والأنصار . والمملوك يخاف أن يحكى حكاية الفقير الذى طلب من الهراس لقمة فقال يسهل الله لك[٣] . فقال الفقير : أما الله سبحانه فقد سهل الخير الملاسى[٤] فى يدك ، والقدر تفور (اغرف وهات[٥]) . فيقول المولى : — أدام الله ظله — وأى هريسة قد[٦] بقيت ؟ قد أكلوا والله حطب الطبيخ[٧] ، ومستوقد النار ، وقرقشوا القدر ، وتملحوا فى آخر الأمر بالهريسة . ولو وجدوا الهراس لأكلوه ، فعند ذلك يذكره[٨] المملوك[٩] بحديث الحجاج بن يوسف الثقفى[١٠] ؛ لما حج فى بعض السنين على غير استعداد للعطاء ، فصعد منبر المدينة يعتذر[١١] لأهلها عن تخلف النفقة عنهم ؛ (فقام إليه رجل[١٢]) فقال : ياحجاج كيف // نعذرك وأنت (أمير المصرين وابن [ل ١٦٧] عظيم القريتين[١٣]) سبيت[١٤] السند والهند وحبيت بلاد الأرمن واليمن ؟ لا[١٥] والله لا عذرناك . فقال : استغفر الله منكم ، وأستعينه عليكم ، ثم اقترض

---

(١) ابن الخياط : لم نجد له تعريفاً .

(-٢) ق : وصار بالإفرنج . (٣) ن فى س .

(٤) الملاسى : لعله نوع من الطعام . (-٥) ن فى س ، ق .

(٦) ن فى س . (٧) ق : المطبخ .

(٨) س : يذكر . (٩) ق ، ب : الخادم .

(١٠) ن فى ق . (١١) ق ، ب : يتعذر .

(-١٢) ق : فقام منهم واحد إليه .

(-١٣) أمير المصرين وعظيم القريتين : المصرين يراد بهما البصرة والكوفة (معجم البلدان ٨ / ٦٨) . والقريتين يراد بهما مكة والطائف وقد ذكرهما الله فى تنزيله فقال سبحانه :

« وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » (معجم البلدان ٧ / ٧٠)

(١٤) ق : سبت . (١٥) ن فى ق .

من الرجال[١] مالا جزيلا وفرقه على الناس . وأين عبد ثقيف ، من الملك الناصر العفيف ؟ والله ما يصلح أن يكون من جباته[٢] ، ولو ملكه لأعطاه فى بعض هباته ، والسلام[٣] .

(١) ق ، ب : التجار.

(٢) س : جناته . (٣) ن فى س .

(وكتب إلى صديق له بدمشق[1])

كتب هذه الأحرف عبد مولاى القاضى[2] الأجل – أدام الله علوه – وفى صدره من الشوق غليل لا يدرى الحريق[3] هو أم رحيق ، وبين جفونه من الدمع قتيل لا يعلم[4] (أشريق هو أم غريق[5]) ، فلا والله ما رجل من وجوه الكتاب ظهرت نجابته ، (وكملت أمانته[6]) ، بحره فى الفقه زاخر ، وجوهره فى النسب فاخر ، وله الفضل أول وآخر ، لا يتولع باللفظ[7] إلا بالفريدة ، ولا يخلو فى منزله إلا بالخريدة[8] ، ينظم فاخر الجمان ، فى جيد الزمان ، وينضد يافع الزهر فى جبين الدهر ، ويطرز عواتق الأيام بمثالب اللئام ، ويرقم محاسن // الفاضل المشهور على أكمام السنين والشهور ، [ل١٦٨] ويرفع[9] بمدحه إلى النجوم ، ويحط بذمه إلى التخوم ، عن له فى بعض الأعوام[10] طفل[11] من أبناء العوام ، (يسير به[12]) جوهر النجور[13] ، ولؤلؤ النجور ، كما قيل عن الولدان والحور ، أحسن من الخال[14] والساق

---

(١) ق ، ب : وله كتاب إلى صديق له بدمشق .

(٢) ن فى ق .

(٣) كذا بالأصل والصواب « حريق » .

(٤) ق : لا يدرى .

(–٥) ق : أغريق هو أم شريق .

(–٦) ن فى ق ، ب .

(٧) ق : من الفضل .

(٨) فى هامش ق : الخريدة الكتاب الذى جمعه يقال له خريدة القصر وجريدة العصر .

(٩) ق ، ب : يرفع .

(١٠) ق : الأيام .

(١١) فى هامش ق : يعنى مرتضى المغنى .

(–١٢) ق : بسترته .

(١٣) س : النحور .

(١٤) س : الخيال .

بالخلخال ، (ينظر من فتور[1]) ، ويجلس مع شعره فى ستور ، يقابل بالهلال ، وينهض بالتلال ، ويتثنى فى خصر كالخلال . إن شدا سير الجبال وطير السبال ، وإن رنا هتك الحجال وفضح الرجال ، لو سمعه معبد[2] لعبده ، أو الغريض[3] لصار عبده ، فأوقعه فى حبائله حلاوة شمائله ، وألقاه فى أشراكه توفر لحم أوراكه ، ودعاه إلى مصافاته كمال حسن صفاته ، ورام ذلك فتعب وأتعب ، وصار الناس(كلهم فيه[4]) كأشعب ، لكنه وصل إلى وصاله بعد تقطيع أوصاله ، فحصل منه على بدر تمام فى غمام[5] ، وعانق غصن بان فى كثبان ، يشرب الخمر من شفتيه على نرجس مقلتيه ، ويشم عنبر أنفاسه من ريحان الصدغ وراسه[6] ، فقطع معه مدة من الأحوال على هذه [ل ١٦٩] الأحوال ، (لايكدر// شربه ، ولا يروع سربه[7]) ، إلى أن حسده الدهر على هذه الحالة ، فجرى على عادته فى الاستحالة ، فجفاه بعد الاحتشام ، وطرحه[8] إلى بعض مدائن الشام ، بحيث لا يتعوض من عناقه إلا بيده الشمال ، ولا يستعلم حديثه إلا من الريح الشمال ، لكنه تعوض عن قده المياس وعارضه الذى يشبه الآس بلحية المهذب بن قنداس ،(وابدل[9]) من الجبين

(1-) ق ، ب : ينظره .

(2) معبد بن وهب أو عباد ، نابغة الغناء العربى فى صدر الإسلام ، أصله من الموالى ، ونشأ فى المدينة يرعى الغنم لمواليه ، وربما اشتغل بالتجارة ، غنى فى أول دولة بنى أمية ، ومات فى أيام الوليد بن يزيد بدمشق ، قال عنه ابن إسحق : إنه أحسن الناس غناء ، غنى الوليد بن يزيد فطرب حتى ألقى نفسه فى بركة نبيذ (الأغانى ١٨/١ ، ٥٢/٥ والأعلام ١٠٥٤/٣) .

(3) الغريض : اسمه عبد الملك ولقبه الغريض قال عنه ابن اسحق : « إنه أحد الفحول فى الغناء،خرج مع عمر بن أبى ربيعة إلى العقيق لنسوة واعدهن ، وقال شعراً غنى هو فيه » (الأغانى) .

(4-) ق : فيه كلهم . (5) س ، ق : غمام .

(6) س ، ب : وآسه .

(7-) ق : لا يكدر سربه ولا يروع شربه .

(8) ق : وطوحه . (9-) س : وبداله .

السامانى ، وورد خده البُستانى ، بعر[1] العَلم السابانى[2] ،فتضاعفت حينئذ أوصابه ، وعظم على قلبه مصابه ، وأنشد :

فما وجد ذات الضال طافت لأجله ثلاثاً ، فلما لم تجــده أرنت[3]
إذا ذكرته أول الليل رجعت وإن ذكـــرته آخــر الليل حنت
بأعظم من وجدى بكم ، غير أننى أجمجم أحشــائى على ما أجنت

ثم أقبل على تعضيض يديه[4] ، وتعفير خديه ، وبكى[5] حتى خر مغشياً عليه ، بأشد من شوق الخادم إلى لقائه ، وتطلعه إلى مايرد من تلقائه ، فاسأل البارى بعزته ، أن يجمع الشمل بحضرته[6] ، عن قريب ، إنه سميع مجيب .

---

(١) س : تعر ، ب : ثغر . والمعنى غير واضح .

(٢) السابانى : موضع ينسب إليه السبنية ضرب من الثياب يتخذ من الثياب الكتان أغلظ ما يكون (معجم البلدان ٥/٣١) .

(٣) س : فما وجد ذات البر طافت ببوها .٠. ثلاثاً فلما لم تجده أرنت .

(٤) ق : كفيه . (٥) ق : ثم يبكى .

(٦) ق ، ب : به .

(فصل من كتاب كتبه إلى نجم الدين بن مصال ،

وهو مع عسكر صلاح الدين على حصار الكرك[١] والشوبك[٢]

[ل ١٧٠] // (أألهو بعدكم وأقر عينا على اللهو بعدكم حرام[٣]

(سطر هذه الخدمة عبد مولاى الأمير المفضل الأمين[٤]) نجم الدين – أطال الله بقاءه ، وكبت أعداءه[٥] – وعنده من الأشواق[٦] (إلى حضرته والحنين إليها[٧]) ، ما لو قسم بعضه على حصنى الكرك والشوبك لصاحوا نجم الدين[٨] يا منصور :

---

(١) الكرك : إسم قلعة حصينة جداً فى طرف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس وهى على سن جبل عل تحيط به أودية الا من جهة الريض . قال الكرك أيضاً قرية كبيرة قرب بعلبك بها قبر طويل يزعم أهل تلك النواحى أنه قبر نوح عليه السلام (معجم البلدان ٦/١٤) .

(-٢) الشوبك : قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة قرب الكرك (معجم البلدان ٥/٣٠٥ والنجوم الزاهرة ٦/١٤) .

رواية ق : وكتب إلى نجم الدين بن مصال من الكرك والشوبك لما حصرهما السلطان أعز الله نصره ، ب : وكتب إلى نجم الدين بن مصال إلى الكرك والشوبك لما حاصرهما السلطان الملك الناصر رحمه الله وسامحه .

(-٣) لم يرد هذا البيت فى ق ، ب وافتتح الكلام فيهما بما يلى :

أليس الله يعلم أن قلبى يحبك أيها البرق اليمانى .

(-٤) ن فى ب . (٥) ن فى ق .

(٦) ق ، ب : الشوق . (-٧) ن فى س .

(٨) س : صلاح الدين ، ب : جميعهم نجم الدين .

فصل منه(١)

كتب بعض المدابير إلى أمه :

منى إلى أمى أما بعد

فإنى ما أفلحت عندك ولا ها هنا ، دخلت القيروان بكرة ، واشتهيت أخذ(٢) الولاية ضحوة ، وأتزوج بنت السلطان عشية ، فلم تساعدنى المقادير ، فرجعت إلى سوق البز(٣) أبيع وأشترى ؛ أبيع ثيابى وأشترى الخبز إلى أن نفدت البضاعة ، فلزمت المساجد فى أوقات الصلوات أسرق لوالك المصلين ، وأرهنها عند اليهود الخمارين(٤) ، (على النبيذ فى المواخير٥) ، طيبى(٦) قلبك من جهتى ، وإن قيل لك عنى إنى(٧) مُدبر فلا تصدقى ، والسلام .

(فصل بعده يشكو توقف الجارى :

وهو يعلم أن العرب قالت فى أمثالها لا عطر بعد عروس٨) . وسبب ذلك أن ركابه راحل(٩)، //وإنعامه حاضر فشكره لأياديه ، وثناؤه على ما يسديه ؛ شكر الروض للماء ، والأرض للسماء ، والله(١٠) تعالى يمتعه (بطول بقائه١١) ، ويطلعه على السار من تلقائه بمحمد وآله . [ل١٧١]

ولم يحدث بعده من الأمور(١٢) ما يجب إعلامه به سوى ما حدث من

---

(١) وردت هذه الفقرة فى مخطوط ب قبل الفقرة الأخيرة ،وهى بذلك كما نرى تكون فى وضعها الصحيح .

(٢) ن فى س ، ب .

(٣) ق ، ب : البزازين .

(٤) ن فى ق ، ب .

(–٥) ق : فى المواخير على النبيذ .

(٦) ق ، ب : فطيبى .

(٧) ق : إننى .

(–٨) ن فى ق ، ب .

(٩) ق : راجل .

(١٠) ق ، ب : والبارى.

(–١١) ق : ببقائه .

(١٢) ق ، ب : بنات الدهر .

موت المولى لأفضل قدس الله روحه ، وانقطاع الظهر لانقطاعه فإنه كان — رحمه الله — وصىّ آدم على أولاده فبقى الناسُ بعد موته أيتام[1] .

وأما ما تقدم من (مواعيد للمملوك[2]) فلم يطلع لصباحها فجر ، ولم يتضوع لطيبها نشر ، وأظن برقها خلّبٌ وسحابها جهام . يا سيدى الجاه زكاة الشرف وأنت قارون العنايات والخادم ابن السبيل والملك الناصر لا يطرب إلا عند سماع الطالبين ، ولا يهتز مثل السيف الصقيل[3] إلا عند السؤال ، ومن أعجب الأشياء أن المولى نجم الدين — أدام الله عزه[4] — جالس على رأس الينبوع الذى يتفجر منه نيل مصر ، لا يصل إلى الناس[5] منه[6] إلا ما يخرج[7] من شبابيك أصابعه . وخادمه فى// السياق[8] من شدة العطش [ل١٧٢] يتمنى قطرة (يبل بها[9]) فؤاده ، وتبرد أكباده فلا يقدر عليها . يا سيدى قد انتقل المال من أهل الفضل والسخاء إلى الدبراء[10] والصعاليك ، فلا يعطوا منه شيئاً(إلا بعد أن[11]) تشبع نفوسهم الجائعة ولا تشبع (نفوسهم الجائعة[12]) إلا بعد ملازمة النعمة لها[13] أربعين سنة ، فليس لابن السبيل إلى معروف من سبيل .

قرأت فى بعض الأمثال قال : كتب كلب إلى كلب . أما بعد يا أخى

---

(١) كذا فى س ، ق والصواب أيتاماً .

(-٢) ق : مواعيد المملوك ، ب : مواعيده للمملوك .

(٣) ن فى ق ، ب . (٤) ق ، ب : ظله .

(٥) ق ، ب : للناس . (٦) ن فى س ، ب .

(٧) ق : خرج .

(٨) فى السياق معناه النزع الأخير أى فى الطريق إلى الموت .

(٩) ق ، ب : تبل . (١٠) الدبراء : جمع دابر ، وهو التابع .

(-١١) ق : حتى . (-١٢) ن فى س ، ب .

(١٣) ق : لهم .

ــ أدام الله حراستك ــ فإن(١) بنى آدم قد(٢) تسافلوا إلى حد ما عليه من(٣) مزيد ، حتى بقيت أنا وأنت بالإضافة إليهم كمعن بن زائدة وطلحة الطلحات(٤) فارتع فى المجازر (ونم فى المزابل وارفع ساقك٥) وبل على من لقيت منهم والسلام .

يا سيدى كان للخادم فى جامع دمشق جامكية(٦) يأخذها فى(٧) كل من المسجد والسُّبع(٨) والحلقة ، يقيم بذلك أوده ويستعين به على تكاليف الزمان ، فترك ذلك القليل وجاء ها هنا طمعاً فى الكثير(٩) ، فلم يحصل ها هنا(١٠) لا قليل ولا كثير ، مثله فى ذلك // مثل التى(١١) اغتسلت فى المعطشة بالماء القليل ، [ل١٧٣] فعاتبها زوجها على ذلك وعنفها ، وقال لها : ويحك يا رعناء ، لا ماء(١٢) أبقيت ، ولا ...(١٣) أنقيت . يا سيدى النحس نحس هاهنا وفى طرابلس الشام .

---

(١) ق : إن . (٢) ن فى ق ، ب .

(٣) ن فى س ، ب .

(٤) طلحة الطلحات : أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن خلف المعروف بطلحة الطلحات الخزاعى وكان طلحة المذكور واليا على سجستان من قبل مسلم بن زياد بن أبيه والى خراسان ، وإنما قيل له طلحة الطلحات لأن أمه طلحة بنت أبى طلحة ، هكذا قال أبو الحسين على بن أحمد السلامى فى تاريخ ولاة خراسان ، كان أجود أهل البصرة فى زمانه . كان يميل إلى بنى أمية فيكرمونه وولاه زياد بن مسلمة على سجستان (وفيات الأعيان / ٣٦٩ والاعلام ٢ / ٥١٦) .

(ــ٥) ن فى س ، ب : وارقد فى المزابل وارفع ساقك .

(٦) جامكية : رواتب خدام الدولة ، تعريب جامكى وهى مركب من جامة أى قيمة ومن كى وهو أداة النسبة (الألفاظ الفارسية المعربة ص ٤٥) .

(٧) ن فى س ، ب .

(٨) السبع : الموضع الذى يكون فيه المصحف من المسجد .

(٩) س ، ب : بالكثير . (١٠) ن فى س .

(١١) س ، ب : الذى .

(١٢) س : مال ، ب : مالك . (١٣) س : ولاحرك .

(وكتب بعض المدابير [1]) يا سيدى قد أفرطت فى الانبساط ، وربما كان ذلك داعية إلى الرد وسبب الحرمان[2] ، فتغمد جهلى بحلمك ، وما كان أغنانى عما يعتذر منه ، بالله هون عليك على أقل من لا شىء ما نحصل[3] .

كان دبير الصياد يخرج إلى الصيد بغير مخلاة لثقته بالحرمان . ورأيه العالى فى تخريق هذا الكتاب بعد الوقوف عليه ، إن شاء الله تعالى .

(-١) ن ف ق ، ب .

(٢) ق : وسبباً للحرمان . (٣) ق : يحصل .

(وكتب رقعة إلى القاضى الفاضل رحمه الله[١])

مجلس مولانا القاضى الأجل[٢] الفاضل (– أطال الله بقاءه[٣] –) مجلس قضاء وتنفيذ ، وموضعه موضع إبرام وتحليل ، فيه معترك الحظوظ ، ومقارعة البخوت ، ومنه يتفجر ينابيع الأرزاق ، وفيه مشابه من اللوح المحفوظ ، فلأجل ذلك ساعاته مترعة بالأشغال ، // وأوقاته ملآنة بمهمات[٤] [ل١٧٤] الدولة ، متدفقة بحوائج الناس[٥] ، ليس فيها فضلة لمستفيد علم ، ولا لمبتغى أنس وتذكار ، فكسدت عنـــده بضاعة الخادم وبارت بضائع البطالين ، فيجب على الرجل المطوق بصنائعه الضعيف المنة عن القيام بشكره إذا هم بخدمته[٦] فى موسم أو فى رأس شهر جديد ، أن يقف على باب داره فى وقت ركوبه ، فيهنئه وينصرف ليجمع بين الخدمة والتخفيف والسلام .

(–١) ق : وله ، ب : وله رقعة إلى القاضى الأجل الفاضل أدام الله علوه .

(٢) ن فى ق .　　(٣) ق : أبقاه الله .

(٤) ق : بمهم .　　(٥) ن فى س .

(٦) ق : يخدمه .

وكتب[١] إلى القاضى الأثير بن بنان

يتعلل عليه لئلا يفطر عنده فى شهر[٢] رمضان

كلما ذكر الخادم تلك المائدة[٣] الخصيبة ، وما يجــرى عليها من الخواطر[٤] المصيبة ، علم أن التخلف عنها هو[٥] المصيبة ، لكنه إذا ذكر ما يأتى بعدها من القيام والقعود والركوع والسجود ، علم أنّ أُجرة ماياًكله فى تلك الوليمة نحواً من عشرين تسليمة ؛ كل لقمة بنقمة ما تحصل له[٦] الشبعة إلا بأربعين ركعة ، فتكون الدعوة عليه لا له ، والحضور فى الشرطة أحب إليه منها له[٧] ، // [ل١٧٥] فتزهد[٨] الخادم حينئذ فى الوصول وقنع بالمحصول ،إذ ليس له من الدين ولا من قوة اليقين ما يهجر معه مواجهة الوجوه القمرية بمشاهدة السنة والصوفية[٩] ، ولا يترك الراحة تحت المراويح إلى القيام بسنة التراويح ، لأنه فى ذلك على رأى القاضى النجيب ، الذى إذا دعى إليها لا يجيب ، فوعد الإلمام انقضاء شهر الصيام ، والسلام[١٠] .

---

(١) ق : وله العنوان فى ب : وله رقعة إلى القاضى الأثير يتعلل عليه لئلا يفطر عنده فى شهر رمضان المعظم قدره .

(٢) ن فى ق .

(٣) ق : الموائد .

(٤) ب : الخواضر .

(٥) ق ، ب : هى .

(٦) ن فى س .

(٧) ن فى ق .

(٨) ق ، ب : فزهد .

(٩) ن فى ق ، ب : العمرية .

(١٠) ن فى ق ، ب .

وكتب رقعة[١] إلى القاضى الفاضل رحمهُ الله

عند عبد مولاى القاضى (الأجل الفاضل[٢]) — أدام الله جده ، وأهلك ضده من السرور بقربه والدخول فى سربه —

كما سر مهجور بوصل الحبايب

ومن الارتياح على جلاله والورود على زلاله

كما ارتاح ظمآن لعذب المشارب

(ومن الاهتزاز لمعانيه والطرب إلى ما يعانيه

كما اهتز عسال من السمر باتر

ومن الافتتان بلفظه والاعتكاف على حفظه

كما نظم الدر المفصل ناظم[٣])

ولولا أن عبده[٤] أخفش البصيرة والبصر ، تغلبه لُكنة الحصر ، ويضعف عن مقابلة الشمس والقمر ، للازمه ملازمة السعد لبابه والتوفيق لجنابه[٥] ، لكنه الخفاش[٦] يعشو عن الأنوار ، والجُعل[٧] يتأذى برائحة

---

(١) ن فى ق ، العنوان فى ب : وكتب أيضاً إلى القاضى الأجل الفاضل أدام الله نعمته —

(٢-) ق : الفاضل الأجل .

(٣-) ن فى س .

(٤) ق : عبدها .

(٥) ق : لأصابه .

(٦) ق : كالخفاش .

(٧) ق : وكالجعل .

النوار ،(فلا يمرح فى شكاله ولا ينبسط إلامع أشكاله[1]) ، ولا يغتر المولى[2] بزخارفه // وتنميق محارفه ،فالعود أطيب من ثراه،والكلام أحسن ممن افتراه . [ل١٧٦]

« ولأن تسمعَ بالمعيدى خيرٌ من أن تراه »

ولولا أن تشبيب[3] خادمه أقبح من المشيب ، وخروجه إلى المدح أخشن[4] من الخروج ، وقريضه أسمج[5] من التقريض[6] ، وفقرهُ أشر من الفقْر ، وقرائنه كالقرين السوء ، لأرسلها كالأفراس ، وأسكت بها صياح الأجراس ، والسلام .

(-١) ن فى س .

(٢) ق : أدام الله عزه .

(٣) ق ، س : نسيب .

(٤) ق ، ب : أوحش .

(٥) ق ، ب : أوجع .

(٦) ق : التقريط ، ب : الترقيص .

وقال فى ابن الحكيم

لما تاب عن المعاشرة نصباً على القضاء(١)

سقاه غيثٌ من الوسمى هتانا — ربعاً خلعت عذارى فيه ألوانا
مدارس درست آى العلوم بها — فأصبحت لخيول اللهو ميدانا
لابن الحكيم أطال الله مدته — مغنى رحيب عن الحانات أغنانا
مثوى المغانى ومأوى كل زانية — يلقون درسهم شَدْواً وألحانا
يسلبن ذا اللب حتى لاحراك به — وهن أضعف خاق الله أركانا
كم قد بركتُ زماناً حول بركته — أغرى غريراً مريض الطرف وسنانا
وكم قمرت(٢) رجالا فى مقَصّرتِه — وفزت بالفلح والأرباح أزمانا
وكم حضرت على إنكاح مُحصنةٍ — وكم شهدت له زوراً وبهتانا
وكم طرقت إليه والحبيب معى — من بعد ما لم أجد بيتاً ولا خانا // [ل١٧٧]
فقام بالبشر والترحيب مفتتحاً — واتبع البر والإحسان إحسانا
ومد لى خرقة قد كان يبسطها — على المنابر يوم الوعظ أركانا
وقال هذا وطاءٌ فيه توطئة — والسدّا دفتراً ضخماً وديوانا
فبت فى لذة كفى بأخدعه — وفى أخادع زين الدين أحيانا
ألهو بأشمط عنوان المجون به — يقطع الليل تكذيباً وأيمانا
إن كنت أجحدُ نعماه وأكفرها — فشَعرُه جوف بطنى خط صلبانا
ولحية غَضّة بيضاء تحسبها — حجر العفيف الذى يدعى ابن عندانا(٣)

---

(١) لم ترد إلا فى س.

(٢) قمرت : نظنها بمعنى فاز فى القمار وانتصر .

(٣) ن فى س ، ق.

كادت تُشاكلها فى قبح باطنها ... وحسن ظاهرها سراً وإعلانا
يزهو بها ... إعجاباً فتحسبه ... قد صار كسرى وذاك الحجر إيوانا
وجرر الذيل فى أرجاء ساحتها ... فخلتها الصَّرْحَ والغرمول هامانا
وكم نصبت عليها بالمحال كما ... بات ابن أسعد تمويهاً وخذلانا
فاترك متابك إن القوم قد فطنوا ... وعُدْ إلى العيش فانهبه كما كانا
إنْ قدّموك على الأحكام فانشدهم ... قول الفرزدق لما ظل هيمانا
ليس الشفيع الذى يأتيك مُؤتزراً ... مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

وله من[1] رسالة كتب بها إلى

ابن المطلب

وسبب ذلك أنه كان (قد عزم على تطهير[2]) ولده، فعوّل عليه فى شىء يأخذه له من المولى تقى الدين (رحمه الله[3]) . وكان مستقره بالشام فوصله[4] جواب الكتاب بالإنعام، وكانت عشرة دنانير // و[عشرة] خراف[5] [ل١٧٨] (فكتب إليه[6]) هذه الرسالة بعد الدعاء :

فصل منها :

بعد ما وصل (خطابه المجمل ،وكتابه[7]) الأغر المحجل ، بلفظ أعذب من الرضاب ، وخط أحسن من مندرس الخضاب ، ينطوى على توقيع رفيع هو أحسن من البدر بين السحاب ، وألذ من الصفع بلوالك القحاب ، فتلقاه بيده ووضعه على كبده . فسمع له[8] صلصلة الدنانير ، وشم عليه[9] رائحة الشواء[10] فى التنانير ، لكنه فتحه بغتة ونشره فلتة ، فخرج عليه شواظ لهب ولسان ذهب من خط كان فى السطور صيّر فى جسمه[11] كالفُطور ، وهجمت عليه قلة[12] الأنعام التى وردت فى الإنعام[13] ، فسقط من شدة

---

(١) ن فى س .

(-٢) ق ، ب : أراد أن يطهر.

(-٣) ن فى س ، ق .

(٤) ق : فوصل .

(٥) س : أرؤس غنم .

(-٦) ق : وكانت .

(-٧) ق : كتابه المبجل وخطابه .

(٨) ق : منه .

(٩) ن فى س .

(١٠) ق : الشوى.

(١١) س : جسمى .

(١٢) ق : ملة ، ب : بلة .

(١٣) ق : فى ذلك الإنمام .

خوفه فداست[1] بأظلافها فى جوفه ، فبقى منها[2] كالهالك ، وحرد[3] المملوك على المالك ، وأقسم(بنعمته وما يعتقده[4]) (من أكيد حرمته[5]) ، (وما ورد من إنعام نعمته[6]) ، لا طلب منه سَبَداً ولا لَبَدا[7]، ولا كدّى منه درهماً أبداً ، ومع هذا فقد فعلت معه[8] الدنانير العشرة ، كفعل[9] الصحابة العشرة ؛ من تنظيف البشرة ، وتحسين وتجميل القشرة[10] ، فشكر الذى أوصلها // إليه ، وأنعم بها عليه ، شكر الثرى[11] للمطر ، والمحب على بلوغ الوطر ، وأثنى على الواسطة، ثناء الأسير على من أطلقه ، فلا والله ما خطباء الأطيار ، على منابر الأشجار ، تثنى على علايد[12] الأمطار ، آناء الليل وأطراف النهار ، إلا دون ثنائه . ولا دعاء الوالد الودود للابن المجهود فى أثناء الهجود ، وفى أعقاب الركوع والسجود ، إلا من بعض[13] دعائه فلو أن الشكر فى الشكاير ، وغرر الثنا فى الغراير ، وصالح الأدعية فى الأوعية لحمل من ذلك قافلة حافلة ، يكون أولها رأس الحابية ، وآخرها فى رأس الطابية[14] . فاسأل الذى يجرى بأمره المقدور ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، أن يمتعه بطول بقائه ، ويطلعه على السار من تلقائه بمنه وطوله .

[ل١٧٩]

---

(1) ق : فداسته . (2) ن فى س .

(3) ق : وعتب . (4-) ق : بما يعتقده .

(5-) ق : أكيد مودته . (6-) ن فى س ، ب .

(7) لا سبدا ولا لبدا : السبد شعر الإبل ، واللبد دبر الإبل وقال أبو صالح كل ما لان من الصوف والوبر فهو لبد والسبد الشعر (الفاخر ص ١٨) .

(8) ن فى س . (9) ق : فعل .

(10) ق ، ب : تنظيف البشرة وتحسين العشرة وتجميل القشرة وإذهاب العسرة .

(11) ق : الروض . (12) ق ، ب : يد .

(13) ق : دون .

(14) ن فى س ، ب ، والوهراني كرر هذا القسم فى موضع آخر .

وله مقامة[١]

قال الوهرانى: دخلت مدينة صقلية فى الأيام المتولية ،فرأيتها محافل[٢] الأوصاف[٣] على طريق الإنصاف فعشقها شيطانى فأقمتها مقام أوطانى ، فحضرت يوماً فى بعض بساتينها مع طائفة من أهل دينها وفيهم أبو الوليد القرطبى ؛ سلطان الكلام يأمره فيوالفه ، وينهاه فلا يخالفه ، وجرى بينهم حديث أهل البلد ومن فيها من الأعيان والكلد[٤] . فقالوا[٥] // : يا أبا الوليد [ل ١٨٠] أنت حجَر محكّنا[٦] ، وبوتقة سبكنا[٧] ، وها نحن(سائلون ليذهب[٨]) عنا دياجى الغيهب[٩] ففضل من يستحق وعيب ، (ليميز الله الخبيث[١٠]) من الطيب ، فقال : أنا أوضح إشكالكم ،(فاسألوا عما بدا لكم[١١]) ، فقلنا : له ما تقول فى القاضى ابن رجاء ؟ قال مصباح دجى ، وشيخ علم وحجى ، (وهو بيت القضا ، وكلمةُ حكم وعدلٍ ورِضا[١٢])،نزّه نفسه عن الرشا والولائم فلا [١٣] تأخذه فى الله لومة لائم ، غير أنه عظيم الشقشقة كثير البقبقة بسيفه[١٤] على الخصمين ، ولو أنهما[١٥] ملكين ، ويُضيّع مواقيت الصلاة، ويمنع بواقيت الصِّلات ، لا يرثى للغريب ولا يتوجع ولا يُؤْسى ولا يسأل[١٦]

---

(١) ن فى ب ولم ترد المقامة كلها فى ق. (٢) كذا ولعلها حافلة .

(٣) ب : تجاوز الصفات والأوصاف .

(٤) الكلد : المكان الصلب واحدته كلدة .

(٥) ب : وقالوا . (٦) ب: محكها .

(٧) ب : سبكها . (-٨) ب : بين أياديك لتذهب .

(٩) ب : الشكوك . (-١٠) ب : وأخرج .

(-١١) ب :فاسألونى مابدالكم. (-١٢) ب: بيته بيت القضا ، وحكه حكم عدل ورضا.

(١٣) ب : ولا . (١٤) ن فى س .

(١٥) ب : كانا . (١٦) ب : ولا يواسى ولا يسل .

ولا يتفجّع فنكّبْ عن ذُراه (فلأن تسمع بالمعيدى خير من أن تراه[1]) .

وإنَّ بقـــومٍ ســـوَّدوه لحاجـــةً إلى ســـيد لو يظفرون بســـيِّدِ

قلت[2] : فما تقول فى الشيخ أبيه ، قال : كان رحمة الله عليه يتناعس على الخصمين[3] ، فلا يوقظه إلا سَلْسَلة[4] الكفَّين ، ولو قبضت على أنفه بالكلبتين.. فى حلقه (سوء لاسبيل فيه لهوى[5]) ، قلت[6]: فما تقول فى// ولده؟ [ل ١٨١] قال : ابن لبون لا ظهرٌ فيُركب، ولا ضرعٌ[7] فيحلب ، وأنشد :

إن الفروع من الأصول ولن ترى فرعاً يطيب وأصـــله الزقوم[8]

قال : فما تقول فى الفقيه ابن بقية ؟ قال : لن[9] يبقى من العلم بعد موته بقية . وكأنه بدر[10] تم كسف، وطود[11] علم نسف، وبحر فقه غاض ، ونهر أدب فاض ، فسر الأعداء بفقده ، وانتشر البغاء من بعده .

وما كان قيس هلكه هلك واحـــد ولكنه بنيـــان قوم تهـــدما

قلنا : فما تقول فى الكاتب يوسف ؟ فقال : الرُّجلة والشهامة والتقدمة والزعامة ، غير أن فى أسفله داء أسأل الله منه السلامة ، قلنا : فما تقول فى

(-1) أول من قال ذلك المنذر بن ماء السماء (الفاخر فى الأمثال ص ٥٣) .

(2) ب : قلنا . (3) ب : للخصمين .

(4) ب : صلصلة .

(-5) س : سولا سبيل فيها هوى ، ب : سوى لا يقبل نفعى من فيها هوى.

(6) ب ، قلنا . (7) ب : ولا لبن .

(8) الزقوم : شجرة مرة كريهة الرائحة فى جهنم ثمرها طعام أهل النار وفى التنزيل العزيز : « إن شجرة الزقوم . طعام الأثيم » والزقوم كل طعام يقتل .

(9) ب : لم . (10) عند هذه الكلمة تنتهى نسخة (ب) .

(11) الطود : الجبل العظيم أو الهضبة أو المشرف من الرمل كالهضبة .

ولده أبي علي ؟ قال : هشاش بشاش،وإن مازحته فحشاش[1] ، وإن نازعته فأخلاق جده أبي دكاش ، حلو اللسان بعيد الإحسان .

يريك البشاشة عنـــد اللقـــاء وببريك فى السر برى القــلم

قلنا : فما تقول فى أخيه أبي الفتوح ؟ فقال: القرض // من القرض، [ل١٨٢] وذرية بعضها من بعض، حذوك النعل بالنعل :

« كما قَسَّمَ التُرْبَ المفايلُ باليد »

وذو الوجهين خليق أن لايكون عند الله وجيهاً .

(١) كذا فى الأصل والصواب ففحاش .

وكتب إلى بعض أصدقائه (بسبب

قصيدة التاج الكندى[1])

[التى] يفتخر فيها ويدعى كل دعوى[2])

عبد مولاى فلان الأجل – أطال الله بقاءه – ينهى أنه أبصر اليوم للكندى قصيدة ميمية[3] يمدح فيها نفسه ويفتخر فيها بمعرفة سائر العلوم . فتأملها الخادم[4] تأمل منتقد[5] فوجده قد أقام الدليل والبرهان على نفسه أنه قليل العقل قليل الحياء (قليل الفضل[6]) قليل التوفيق .

فأما دليله على قلة عقله فان الرجل العاقل لا يفتخر (بما يعلم فضلا عما لا يعلم[7]) وأيضاً فان كل نوع من العلوم ليس له آخر ، ولا يدعى الإحاطة به إلا رجل جاهل[8] وقد قال هذا[9] فى هذه القصيدة :

سبقْتُ إلى غايات كل فضيلة

فقام الدليل بهذا[10] على أن قط البيت أعقل منه لأن ذلك[11] يتغوط

(–١) تاج الدين الكندى : أبو اليمن زيد بن الحسين بن زيد بن الحسن بن سعيد الكندى المقرىء النحوى الأديب ولد سنة ٥٢٠ هـ وتوفى سنة ٦١٣ هـ وقيل سنة ٥٩٧ هـ فى دمشق ، كان أوحد عصره فى فنون الآداب وعلوم السماع (وفيات الأعيان ١/٢٤٩ ، معجم الأدباء ١١/١٧١) .

(٢) ن فى ق ، العنوان فى ب : وكتب إلى بعض أصدقائه يشرح قصيدة لتاج الدين الكندى .

(٣) ن فى س .

(٤) ن فى س .

(٥) ق ، ب : مستفيد .

(–٦) ن فى س ، ق .

(–٧) ق : بما لا يعلم فضلا عما يعلم .

(٨) ق ، ب : مجنون .

(٩) ن فى ق .

(١٠) ن فى ق .

(١١) ق : ذاك .

ويستر ، وهذا يتغوط وينشر ، ثم لا يقنع // بذلك حتى يدسه فى أنوف [ل١٨٣] الناس ، (ويقول : شموا [١]) .

وأما دليله على قلة عقله[٢] وحيائه ؛ فبقول[٣] النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » وكون هذا المذكور قد ادعى معرفة[٤] كل شيء من جميع العلوم بمحضر من جماعة هو يعلم (أنهم يعلمون [٥]) أنه لا يعلم شيئا منها[٦] البتة . وهـــذا [٧] دليل على قلة[٨] عقله وحيائه[٩] ، وكثرة مكابرته[١٠] وبهتانه .

وأما دليله على قلة فضله ؛ فهو ما صدر منه[١١] فى هذه القصيدة من الألفاظ اللغوية[١٢] الغثة ، والقوافى[١٣] القلقة ، والمعانى الباردة التى تشهد بظلم[١٤] حسه ورداءة طبعه ونحسه[١٥] فى هذا الفن ، وسأبين[١٦] لك ذلك[١٧] بعد هذا ان شاء الله تعالى[١٨] .

وأما دليله على قلة توفيقه ؛ فإن قامته وهامته وعمامته اثبتن فى صدور المصريين مهابة وجلاله سترتا[١٩] على كثير من جهله[٢٠] حتى سمعوا هذه الأشعار القبيحة ورأوا عقله مصوراً فيها فعلموا[٢١] منها قيمة نفسه ، (ومقدار حسه [٢٢]) ، فانحط بها

(١-١) ن فى ق ، ب .
(٢) ن فى س .
(٣) ق : يقول .
(٤) ق ، ب : بمعرفة .
(٥-٥) ن فى س .
(٦) ن فى س ، ب .
(٧) ن فى ق ، ب .
(٨) ن فى س .
(٩) ن فى س .
(١٠) ن فى س .
(١١) ق ، ب : عنه .
(١٢) ن فى س ، ب .
(١٣) ق : مع القوافى .
(١٤) ب : بظلمة .
(١٥) ن فى ق ، ب .
(١٦) س : وبما أبين .
(١٧) ن فى س .
(١٨) ن فى ق ، ب .
(١٩) س : حمقا وجهالة سترنا ، ق : مهابه وجلاله سترا .
(٢٠) ق : جهلة ، ب : جهلة وهذيانه .
(٢١) س ، ب : علموا . (٢٢) ق : ومقداره ، ب : ومقدار علمه .

[ل ١٨٤] إلى أسفل السافلين ، ولعمرى لو صعد المأذنة يوم الجمعة وكشف سوءته بيده ، // وفقس فى وجوه العالم[١] لكان أجمل به [٢] من ظهور هذه القصيدة عنه ، ونرجع الآن إلى ذكر القصيدة المذكورة وأما[٣] قوله فى أولها :

قَدِمتُ فلم أترك لذى قَــدَم حُــكْما

فما أدرى أى شيء ظهر عنه من الفضائل حتّى[٤] استحق عند نفسه هذا الكلام ، (أليس أنه[٥]) الذى خطّأ مؤيد الدين بن منقذ فى بيت من الشعر؟ فنقض ابن برى[٦] قوله وبين خطأه فى عشرين ورقة . أليس أنه الذى انتقد على القاضى الفاضل خمس مواضع فى بعض رسائله فرد عليه البلطى[٧] الذى هو أنحس العالم وبين له[٨] خطأه فى جزء كبير . أليس أنه الذى انتقد على عمارة[٩] ثمانين موضع[١٠] فى مجلد من رسائله فتأملها[١١] بعض الفضلاء

---

(١) ق : الناس .

(٢) ن فى س .

(٣) ن فى ق ، ب : أما .

(٤) س ، ب : التى .

(-٥) س ، ق : أليس .

(٦) ابن برى : عبد الله بن برى بن عبد الجبار المقدس ، أبو محمد النحوى ، ولد سنة ٤٩٩ هـ . كان إماماً مقدماً فى النحو واللغة ، كان عالماً بكتاب سيبويه وعلله وكل إليه التصفح فى ديوان الإنشاء توفى سنة ٥٨٢ هـ (طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٣/٤ ، ٢٣٤) .

(٧) البلطى : عثمان بن عيسى بن منصور بن محمد البلطى : أبو الفتح النحوى هكذا ينسبونه وهو من بلط التى تقارب الموصل ، ذكره العماد فى كتاب الخريدة فقال : انتقل إلى الشام وأقام بدمشق برهة يتردد إلى الزبدانى للتعليم ، فلما فتحت مصر انتقل إليها فحظى بها ورتب له صلاح الدين يوسف ابن أيوب على جامع مصر جارياً حتّى مات سنة ٥٩٩ هـ . وكان قد أخذ النحو عن أبى نزار . وللبلطى من التصانيف كتاب العروض الكبير فى نحو ٣٠٠ ورقة والعروض الصغير وكتاب العظات الموقظات (معجم الأدباء ١٤١/١٢) .

(٨) ن فى س .

(٩) عمارة : لعله يريد عمارة اليمنى .

(١٠) ذكرت ثمانين موضعاً بالأصل ،

(١١) ق : وتأملها .

بعد هذا فوجد ذلك كله جائزاً فى كلام العرب(إلا خمس مواضع[1])، وبالجملة فلم يوفق فى شىء من أقواله مذ دخل البلاد المصرية فى هذا الزمان.

وأما قوله:

كذلك عَادى فى العِـــدَى والنَّدَى قِـــدْما

فإنه فى غاية الركة والفتور لدخول لفظة عادى فيه الذى[2] لو ذكرها الحطيئة لصفع عليها بالنعال//. ثم هذا الاتفاق النحس الذى وقع له فى هذا القسم [ل١٨٥] من تكرير حرف الدال فى كل كلمة منه حتّى كأنه قد بايع على ذلك برهن ثقيل. (ألا ترى أنه[3]) لا ينطق به اللسان حتّى تصطك له[4] الأسنان؟ وقد قال ابن رشيق (فى العمدة[5]): إنه من أكبر[6] العيوب فى الشعر، ومع هذا كله فإن القسم الثانى لايناسب القسم الأول؛ لأنه لم يتقدم لنا فى القصيدة[7] ذكر قتل عدى ولا بذل ندى فيكون قوله:

كذلك عادى فى العدى والندى قدما

إذا تأملته لم تجد بينهما نسبة إلا(شيئاً ضعيفاً[8])يحتاج (معه إلى الحضور[9]) فى كل وقت ليبين ما أراده فى ذلك للناس[10]، وإنما كان يحسن الثانى لو قال فى النصف الأول:

قدمت فأفنيت العدى والندى حزما

جواباً لذلك[11] فيكون قوله:

كذلك عادى فى العدى والندى قدما

جواباً لذلك. ومع[12] هذا فلا[13] ينبغى أن يبتدىء بمثل هذه البدأة إلا مصعب بن

---

(١) ن فى س.
(٢) س: الذى.
(-٣) ن فى ق، ب.
(٤) ن فى ق، ب.
(-٥) ن فى س.
(٦) ق: أكثر.
(٧) ق: الأول.
(-٨) س: شىء ضعيف.
(-٩) ق: إلى الحضور معه.
(١٠) س: الناس.
(١١) ن فى ق، ب.
(١٢) ق: وبعد.
(١٣) ق، ب: فما.

الزبير(1) أو(2) يزيد بن المهلب(3) ، أو قتيبـــة بن مسلم(4) وعمرو بن معدى
[ل١٨٦] كرب(5) الذين جمعوا بين الشجاعة والكرم . (وأما أنت إذا قلت(6) هذا
الكلام فما تجاوب إلا بمكاوى// البيطار فى اليافوخ والأصداغ .

وأما قوله :

إذا وطئ الضرغام أرضاً تضايقت   خطُا وحشها عنـــه فيوسعُها هزما

فإنه وإن كان من الشعر الذى تمجه الأسماع وتشنؤه(7) النفوس فما له

---

(١) مصعب بن الزبير : مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير الأسدى توفى سنة ١٥٧ هـ (النجوم ٢ / ٣١) .   (٢) ن فى س ، ق .

(٣) يزيد بن المهلب بن أبى صفرة : كان والياً وحبسه الحجاج ولكنه فر إلى الشام سنة ٩٤ هـ وسجنه عمر بن عبد العزيز حتى مات سنة ٩٩ هـ وقيل أنه قتل سنة ١٠٢ هـ فى معركة بينه وبين مسلمة بن عبد الملك بن مروان (النجوم جـ ١/) .

(٤) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلى : أبو حفص : أمير ، فاتح ، من مفاخر العرب ، نشأ فى الدولة المروانية فولى الرأى فى أيام عبد الملك بن مروان ، وخراسان فى أيام ابنه الوليد . ووثب لغزو ما وراء النهر فتوغل فيها وافتتح كثيراً من المدائن كخوارزم ، وسجستان وسمرقند ، وغزا أطراف الصين ، وضرب عليها الجزية ، وأذعنت له بلاد ما وراء النهر كلها ، واشتهرت فتوحاته ، فاستمرت ولايته ثلاث عشرة سنة ، ومات الوليد ، واستخلف سليمان بن عبد الملك ، وكان هذا يكره قتيبة ، فأراد قتيبة الاستقلال بما فى يده وجاهر بنزع الطاعة ، واختلف عليه قادة جيشه ، فقتله وكيع بن حسان التميمى سنة ٩٦ هـ (وفيات الأعيان ٢٨/١ ، والأعلام ٢٨/٦).

(-٥) ن فى ق ، ب . عمرو بن معدى كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدى : فارس اليمن ، وصاحب الغارات المذكورة ، وفد عليه فى المدينة سنة ٩ هـ فى عشرة من زبيد ، فأسلم وأسلموا وعادوا . ولما توفى النبى (صلى الله عليه وسلم) ارتد عمرو فى اليمن . ثم رجع إلى الإسلام فبعثه أبو بكر إلى الشام . فشهد اليرموك ، وذهبت فيها إحدى عينيه . وبعثه عمر إلى العراق ، فشهد القادسية . وكان عصى النفس أبيها ، فيه قسوة الجاهلية ، يكنى أبا ثور وأخبار شجاعته كثيرة ، له شعر جيد أشهره قصيدته التى يقول فيها :

إذا لم تستطع شيئاً فدعـــــه   وجاوزه إلى ما تـــــستطيع

توفى على مقربة من الرى ، وقيل قتل عطشاً يوم القادسية سنة ٢١ هـ (الأعلام ٥/ ٢٦٠) .

(-٦) ق ، ب : وأما الرجل السوقة إذا قال .

(٧) ق : وتشتاقه .

عندى جواب ، إلا بالضراط[١] المغربى الصلب[٢] ، يُصفَّى فى جوف لحية قائله من مكان قريب ، وأما قوله :

كما مرَّ بازٌ بالفضـاءِ محلِّـقٌ   رأته بُغاثُ الطيرِ حتّفاً لها حُمّاً

فكل من خلق الله يعلم أن ما لهذا جواب إلا التفقيس فى جوف[٣] قراقيش خيشوم أنف قائله[٤] ، لما جمع من الكذب والرقاعة ، وقلة العقل والحماقة ، وأنه ليس من هذا فى شىء .

وأما قوله :

فإن أكُ فى صدرٍ من العمر شارخاً   فكم لقَينٍ عن همّى (لقَينَ الهمّا[٥])

« فلو أن لى به قوة أو آوى إلى ركن شديد » . لكتبت هذا البيت بالخرا على ورق القنبيط[٦] الأصفر[٧] . ثم ألزمه[٨] بأكلها فيكون[٩] الخرا قد أكل الخرا (على خرا من خرا[١٠]) فى خرا // . [ل١٨٧]

وأما قوله :

سبقت إلى غاياتِ كلِّ فضيـلة   تعزّ[١١] على طُلّابها العُرْبَ والعُجْما

فهذا البيت المصيبة العظمى والطامة الكبرى ، وليس ينبغى أن يجاوب فى هذا البيت[١٢] إلا بجواب الفتى الأُمىّ[١٣] لعدى بن الرقاع[١٤] وهو أن يحضره

---

(١) ق ، ب : الضراط .

(٢) ن فى س .

(٣) ن فى ق ، ب .

(٤) ق ، ب : القائل .

(-٥) ق : لقذالهما .

(٦) ب : القنبيط : بقلة زراعية من الفصيلة الصليبية ، وتسمى فى مصر والشام (القرنبيط) .

(٧) ن فى ق ، ب .

(٨) ق : الزمته .

(٩) ق : حتى يكون .

(-١٠) ق ، ب : من خرا على خرا .

(١١) ق : يعز .

(١٢) ن فى س ، ب .

(١٣) س : الأمى : الأموى .

(١٤) عدى بن الرقاع : عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع من أهل دمشق من بنى عاملة=

بعضُ السلاطين ويقول له : أنت قلت :

سبقت إلى غايات كل فضيلة ؟

فيقول له[1] : نعم فيرمى إليه[2] قوساً ، ويقول له : جُرَّ[3] هذا القوس ، فيقول : ما أقدر . فيقول : اصفعوه فيصفع ، ثم يقدّم[4] له فرساً ورمحاً ودرعاً ويقول له[5] : قاتل هذا الغلام بهذا السلاح ، فيقول : ما أقدر ولا أُحسِنْ[6] فيصفع ، فيقول[7] له[8] : حلّ لنا شكلا من أقليدس[9] فيقول : لا أعلم فيصفع ، فيقول له : مسألة من المجسطى ، فيقول لا أعلم فيصفع ، (فيقول له : حل لنا كوكباً من زيج البتانى ، فيقول ما أعلم فيصفع [10]) ، فيقول له[11] : مسألة من النجوم ، فيقول : لا أعلم فيصفع ، (فيقول له : مسألة من الحساب ، فيقول: لا أعلم فيصفع ، فيقول له : مسألة من الفرائض ، فيقول :(لا أعلم[12])فيصفع ، فيقول له:مسألة من الفقه فيقول : لا أعلم فيصفع [13]) ، فيقول له[14] : يا ابن عشرة آلاف قحبة فأى[15]شىء تعلم حتى تقول :

سبقت إلى غايات كل فضيلة ؟

= كان معاصرا لجرير مقدماً عند بنى أمته مداحاً لهم .خاصاًبالوليد بن عبد الملك مات بدمشق سنة٩٥ ه (الأعلام ٢/٦٣٥ ، المنجد ص٣٤٦) .

(١) ن فى س ، ب . (٢) ق : له .

(٣) ق : جز . (٤) ق : يقدموا .

(٥) ن فى س . (٦) ق ، ب : أعلم .

(٧) ق : ثم يقول . (٨) ن فى س .

(٩) ب : أوقليدس واقليدس : لفظ يونانى مركب من أقل بمعنى المفتاح ودس بمعنى المقدار وقيل الهندسة أى مفتاح الهندسة ، وفى القاموس اقليدس اسم رجل وضع كتابا فى هذا العلم ، وهو من الفلاسفة الرياضيين (كشف الظنون ١ / ١٣٧ والفهرست ص٣٧١) .

(-١٠) ن فى ق ، س . (١١) ن فى ق ، ب .

(-١٢) ق ، ب : ما أعلم . (-١٣) ن فى ق ، ب .

(١٤) ن فى ق ، ب . (١٥) ق : وأى .

[ل١٨٨] // فيقول : أعلم شيئاً من النحو والتصريف لا غير ، فيقول له : ولأجل النحو والتصريف تقول :

سبقت إلى غايات كل فضيلة

رجم(١) امرأة سيبويه والكلب على عيال الأخفش ، واصفع الفارسى(٢) (عشرة آلاف درة٣) ، (ثم يقول : قفاه٤) فيصفع ، حتى يعمى ، وكذا(٥) يكون جوابه(٦) فى البيت الذى بعد هذا وهو قوله :

وملَّكنى رقَّ المناقبِ أننى   أحطتُ بآدابِ الورى كلها علما

وهكذا أيضاً فى الذى بعده وهو قوله :

فما منصفٌ ممن ترقَّتْ به العُلا   (يرى أنه٧) من أخمصى فوقه وَضْما

وهذا البيت والله من الشعر النحس ؛ الذى لو بقى فى بطنه لأخذه القولنج زائداً على ما فيه من (التدقنصرم ، والرعونة المعجونة بالتبضرم ، والقحة والاستخفاف بلحية الممدوح والسلام٨) .

---

(١) س ، ب : رحم الله .

(٢) الفارسى : يريد أبا على الفارس الحموى .

(-٣) ق : عشرة آلاف زربون درة   (٤) ق ، ب : قفاه .

(٥) ق : وكذلك .   (٦) ق : حاله

(-٧) ق : برقراقة وحقها لايرى ، إلا ويرى فى.ب . هكذا : والسطر الثانى فى ب هكذا.
(يرى فوقــه من أخمصى فوقه وصما)

(-٨) ق : الرعونة والقحة والاستحفاف بالممدوح ،ب : الرعونه والقحة والاستخفاف بالممدوح — أعاذنا الله وإياك من الحماقة والرقاعة ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله القائمين بالشفاعة .

(تتمة الكتاب المتقدم ذكره

وكتابته التى كتبها[١] إلى شمس الدين بن البلعبكى[٢])

لا شك أن المولى شمس الدين — سلمه الله — قد سمع بامتزاج الخادم بالقاضى الأثير بن بنان ، ونفاقه عليه // وملازمته له فى الليل والنهار ، [ل١٨٩] فلا يرتاع من هذا فإن ذلك[٣] لا يقدح فى مودته ، ولا يحل أكيد[٤] عقدته فان محبته قد سبقت إلى القلب فسكنت فيه ، وملأت الصدور وشغلت[٥] الفؤاد ، فما بقى لأحد فيه موضع[٦] يسعه ، اللهم إلا أن يكون من خارج البلد أو عابر سبيل .

كان الملك الناصر — أعز الله أنصاره[٧] — لما توجه إلى الشام شكا إليه [٨] المملوك وقوعه مع الأمير العضد بكل ما كدّاه فى الزمن القديم وساعده القاضى الفاضل عنده ، فوقع له بالمبلغ على ديوان الصعيد .

فلما وصل الخادم إلى[٩] مدينة قوص ، نزل من الأمير عز الدين موسك[١٠] — وفقه الله — ومن وزيره شمس الدولة بن منقذ — سلمه الله —

---

(١) يقتضى السياق أن تكون كتبها .

(–٢) ن فى ق ، وهى تتمة لرسالة كتب بها الوهرانى إلى الأمير شمس الدين بن الوزير البلعبكى ، فهى فى ق موصولة بهذه الرسالة .

(٣) ق : ذاك .

(٤) س : وكيد .

(٥) ق : وأشغلت .

(٦) ق : موضعا .

(٧) ق : خلد الله ملكه .

(٨) ق : له .

(٩) ن فى ق .

(١٠) عز الدين موسك : سبقت ترجمته .

على مثل هارون الرشيد ويحيى بن خالد(١) نخوة(٢) وسماحاً ، وأوصلاه(٣) إلى ماله فى أقرب مدة ، وخمسين ديناراً ضيافة ، ومن طيب الهند وطرائف الصعيد وصغار الحبشة والنوبة مثل ذلك ، ونزل(٤) إلى مصر وهو أسعد من المشترى ، فعلم الخادم وتأكد أنه لم يصل إلى ذلك // إلا بسعادته وكونه [ل١٩٠] أشار بتلك المعاملة فى ابتداء الحال لما (قضى الله٥) وقدره من(٦) أنه لايصل إلى الخادم منفعة ولا فائدة إلا به وبسببه ، (ألا ترى أنه لما غاب٧) عنه فى هذه السنة ، وعمل بغير أمره ، وأعطى لابن ظفير خمسمائة دينار راحت عليه إلى اليوم والليلة ، لايتعلق منها بحبة واحدة أبداً اللهم إلا أن يدخل(٨) يده المباركة فى القصعة(٩) ويشير فيها بأمر من الأمور فعسى وهيهات فما(١٠) يقدر الخادم يصف ماهو عليه من مكابدة الهموم(١١) والأحزان ، والله تعالى يحسن العزاء ، ويرزق الصبر ، ويعوض من خزائنه الملأى الواسعة ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، والسلام (التام عليه١٢) ورحمة الله وبركاته .

---

(١) يحيى بن خالد : أبو الفضل يحيى بن خالد البرمكى الوزير كان سيد بنى برمك وأفضلهم جودا وحلما ورأيا مات فى سجن الرشيد سنة ١٩٠هـ (معجم الأدباء ٢٠ / ٥) .

(٢) س : ونحوه .

(٣) ق : فأوصلاه .

(٤) ق : منزل .

(٥-) ق : قد قضاه الله تعالى .

(٦) ن فى ق .

(٧-) س : ولاتراه لما غاب .

(٨) ق : تدخل .

(٩) ق : القصة .

(١٠) ق : ما .

(١١) ن فى س .

(١٢-) ق : الأتم عليك

قال الوهرانى[١]

عشرة أشياء من أبواب البر تسخط الله وترضى الشيطان ، وهى انقطاع ابن الصابونى[٢] إلى الله عز وجل فى القرافة ، وتعصب الخبوشانى[٣] لقبر الشافعى . وتنفل القاضى قبل صلاة الجمعة وبعدها ، وظهور سجادة فى هذه الأيام على وجه[٤] السديد الطبيب للتراويح[٥] فى شهر رمضان ، وبكاء الفقيه البهاء على المنبر يوم الجمعة ، وقراءة الوهرانى السُّبع فى صبيحة كل يوم ، وسماع ابن عثمان لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى جمعة واحدة وإقراؤه لذلك على رءوس الأشهاد ، وحضور ابن مماتى[٦] لمجالس الوعظ فى القرافة ، وبكاؤه عند قراءة القرآن ، وإنكار أبى عبد الله البغدادى على

---

(١) لم ترد إلا فى نسخة ق . (٢) ابن الصابونى : سبقت ترجمته .

(٣) الخبوشانى : الفقيه نجم الدين محمد بن الموفق الخبوشانى ، الصوفى ، الزاهد تفقه على محمد تلميذ الغزالى ، وكان يستحضر كتابه المحيط فى شرح الوسيط ، وصنف عليه كتاباً سماه تحقيق المحيط ستة عشر مجلداً ، وخبوشان التى ينسب إليها بليدة بناحية نيسابور ، ولد سنة ٥١٦ هـ وقدم مصر سنة ٥٦٥ هـ ودفن تحت رجلى الشافعى بينهما شباك ، وكان يوصف بسلامة الباطن وقلة المعرفة بأحوال أهل الدنيا (شذرات الذهب ٢٨٨/٤ ، النجوم الزاهرة ٣٤٣/٥ ، طبقات الشافعية الكبرى ١٩٠/٤ : ١٩٢ اللباب ٣٤٤/١) .

(٤) فى الأصل : وجهه . (٥) فى الأصل : التراويح .

(٦) ابن مماتى : القاضى الأسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير أبى سعيد مهذب بن مليح مماتى المصرى الكاتب الشاعر كان ناظر الدواوين بالديار المصرية ذكره العماد الأصبهانى فى كتاب الخريدة وقال لقيته بالقاهرة متولى ديوان جيش الملك الناصر – صنف فى الأدب وعرفه ، وكان له نوادر حسنة ولد سنة ٥٤٤ هـ وتوفى فى حلب سنة ٦٠٦ هـ (وفيات الأعيان ٥٩٩ ، معجم الأدباء ١٠٠/٦ – ١٢٦ ، حسن المحاضرة ٢٤٢/١) .

المزارين[١] خاصة ، ولا يلتفت إلى غيره من الذنوب ، وبنيان ابن ابى الحجاج[٢] لقبر آسية[٣] ، وترتيب القراء فى كل جمعه فيه ، ذكروا أن هذه الأعمال الصالحة لا يعبأ الله بها ، وهى أحب إلى إبليس من كبار الذنوب.

ومن كلامه

[لا] كف قراقيش من كف قراقوش ، ولا الخشكنان من بنان بن بنان ، فان كسرة فى كسر بيتى ، أحب من المأمونية[٤] تمتن بها علىّ والسلام .

---

(١) المزارين : المزار بائع المزر : نوع من الخمر (الفكاهة فى مصر ص ٥٦) . والمزر : الرجل الظريف (المحيط ١٣٢/٢) .

(٢) ابن أبى حجاج : سبقت ترجمته .

(٣) قبر آسية : هو مشهد فيه قبر آسية بنت مزاحم زوجة فرعون بالقاهرة (معجم البلدان ٧٧/٨) .

(٤) المأمونية : نوع من الطعام .

وله رسالة فى الطير[1]

(إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم[2])

إلى كل ذى جناح ، وإلى كل ذى اجتراء من الطير واجتراح ، وإلى كل ذى صيال منه ، وإلى كل ذى صياح ، وإلى كل ذى عفاف منه وإلى كل ذى جناح . أما بعد :—

فإنا لمّا علمنا الله تعالى من كلام الطير ، وفهمّناه من منطقه ، والتزمناه من عهده وموثقه ، فقال : « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه »[3] نرى ألا يفخر من أولى المخالب وذوى المناسر ضار على ذى مسالم[4] وإن غدا بعضها لبعض طعماً ، ولا يتجاوز أحد منها مقامه المحمود فى المكارمة وإن اتفقت الأجناس واختلفت الأسما ، للوضيع والأسمى ، وأن يشكر للوُرْق حسن سجعها ، وعفاف طبعها ، ومساعدتها للخلى بغنائها فى دوحها ، وللحزين بترجيع ندبها ونوحها ، ولأنه[5] متحلية بتخضيب الكف وتطويق الأعناق ، ومتحملة من الخدور[6] إلى الغصون رسائل العشاق بالأشواق ، حتى وسمت

---

(١) هذه الرسالة لم تذكر إلا فى مج وقد وضعنا لها عنوانا يتفق مع أسلوب المؤلف .

(٢) سورة النمل آية ٣٠ .

(٣) سورة الاسراء آية ١٣ .

(٤) كذا بالأصل والأرجح أن تكون ذى مسالمة

(٥) كذا بالأصل وصحتها ولأنها .

(٦) فى الأصل القدور ولم نجد لها معنى .

بأنها على تعانق القضيب رُقباء ، وشمت حتى أصبحت على منابر الأشجار خطباء

ونؤثر أن يحمد للبُغاثُ الاصطياد من الجوارح وتحصيل ما تقتات منه النفوس ، وتمتار منه الجوارح ، وإنما شرفت نفوسها حتى علت على أيدى الملوك ، وقيل لأبيها : لله أبوك ؟ ؟

وأن نصف الهدهد بحسن اعتذاره فى خبثه ودهائه ، وأن نثنى على حسن خطبته وجميل خطابه ، وإلى غير ذلك من « القطا لو ترك لهدأ ونام[1] » وإلى ملائكة الملوك من الحمام ، وإلى غرانيق[2] تهرب الثعابين بأصواتها ، وإلى مباطر[3] تريح الأرض بأكلها لحياتها ، وإلى لقالق[4] تنطق وكأنما ألبست ملابس أهل الجنان ؛ ملابس خضر وإستبرق ، وإلى ما يتحلى من طواويس كأنما استعار منها قوس قزح ألواناً دبجتها الشمس بشعاعها ، وأهلتها الأهلة لإبداع إبداعها ، وإلى ديكة مباركة يؤذن أذانها بورود ملك من الملائكة ، وإلى نسر عظيم ، وإلى نعام كاد يطير .

وأنا ذكرنا فى بعض ذوات الأجنحة جنساً حقير السمات ، أسود الوجه والقفا والصفات ، لا يألف إلا قبور الأموات ، ولا يسعى إلا فى الظلم والظلمات ، ذو أذن ناتئة ، وما هذه الصفة من صفات الطيور ، وأنه يولد

---

(١) يقال فى المثل «لو ترك القطا ليلا لنام» .

(٢) غرانيق : مفرده غرنوق أو غرنيق ، وهو طائر الماء (Dozy ١/٢١٠) .

(٣) سباطر : مفرده سبيطر طائر طويل العنق جداً (القاموس المحيط ١/٤٣) .

(٤) لقالق : اللقلق طائر معروف يفرخ بالشام ، ويشتى بأطراف الهند فى حجم الحمام ، يأوى الشوك وغالبه إلى السواد (تذكرة أولى الألباب ٢/١٤٢) .

والطير لا تعرف إلا أنها تحضن بيضها فى الأعشاش والوكور ، وأنه لا يقع فى الشباك ، ولا فى الفخوخ ،وأنه بـُـمنى كما يـُمنى الرجل من الإنس ، وإن كان شيطاناً فالظاهر أنه ممسوخ ، لا يسمع منه هديل ولا هدير ، ولا يصبر حيث يصير ، يعدو على الروضات متلصصاً ،ويغدو للثمار مقنصاً ، ميشوم[1] الطلعة مذموم النجعة ، مرجوم البقعة ، سيء الدار ، قبيح الآثار ، مؤذن بخراب الديار ، أسود من قار ، وأفسد من فار ، لا يحسن به الانبساط ، ولا يمكن معه الاحتياط ، أخس خلق مخلوقات الله تعالى ، وهو المسمى « بالوطواط » كم خرى ، وكم ضر ، وكم ساء وما سر ؟ وما أبرى قط ولا أبر ، ولا هو حيوان ينتفع به ولا بر[2] وهذه كتبنا إلى كل ذى بسط وقبض ، وكل ذى أباش وعض ، وكل رب مقبرة مظلمة ، وكل ذى موحشة معتمة ، وكل من إليه توغل الأعماق القتمة ، يتضمن إهلاك هذا الحيوان الخبيث ، وطرده الطرد الحثيث ، وتطهير الأمكنة من وجهه ، وستر المنافس على الكره من نفسه ، ولا يراعى له حرمة ، ولا يرقب فى عهده إلاًّ ولا ذمة ، بحكم أنه ليس من الطير ، ولا من الوحش ، ولا هو ذو قوة ولا بطش ، ولا مما ينتفع به صائد،ولا صائل ولا آكل . . . .[3] وضرره للأحياء والأموات فاش ، إلا أنه إذا دعى بأحب الأسماء قيل له : « خفاش » . لا يكرع فى نهر النهار ، ولا يحوِّم مع ذوات الجناح فى مطار ، وأكره شيء إليه الأنواء والأنوار ، ولا يوصف بأنه الشهم ، ولا هو ذو ريش فينتفع بأرياشه السهم ، لا تحد له الصفائح ، ولا يغدو فى جملة الذبائح ، ولا به ربح فى المشترى ، ولا رائحة فى الشرائح .

وأمرنا[4] أن يفوض أمره وحسبة الطير للإمام شرف الدين غراب ،

---

(١) ميشوم : نحس أو سيء الطالع أو مشوم وهى كلمة عامة (قاموس العوام ص٢٧٨) .

(٢) كذا بالأصل ، ولم نعرف المراد ، وربما كان هناك سقط ، ولعل الكلمة طير .

(٣) بوجد فراغ بالأصل .

(٤) فى الأصل أمرانا .

فليتق الله فى كل ذات طوق ، وليراقبه مراقبة من يقتنع[1] من أمانة أبيه بما اقتنع به صلى الله عليه وسلم فى السوداء[2] ، قال لها : أين الله تعالى ؟ فقالت : فى السماء . ولا تزال تقول الله فوق ، وليحترس هذا الخبيث المشوه وهذا الخسيس المنوه ، فقد فوضنا ذلك إليه إذ هو كأبيه منطق[3] مفوه ، فليترك فى أمره النعيق والنعيب ، وليعلن بلغته إعلاناً فصيحاً يستوى فى سماعه البعيد والقريب ، وليقرأ هذا المرسوم على رءوس الأشهاد ؛ عند الآبار المعطلة ، والبرارى الخراب ، ويزال[4] من الترب المظلمة ، والعتاب عند كل باب .

(١) فى الأصل ينتفع .
(٢) السوداء : اسم امرأة .
(٣) لعلها منطيق .
(٤) كذا بالأصل .

الفهـــارس

الاعـــلام*

« حرف الباء »

« حرف التاء »

« حرف الدال »

« حرف الذال »

« حرف الراء »

« حرف الزاى »

« حرف السين »

« حرف الشين »

« حرف الصاد »

« حرف الضاد »

« حرف الطاء »

« حرف الظاء »

« حرف العين »

«حرف النون»

«حرف الهاء»

«حرف الواو»

« حرف الياء »

الانســـاب

القبائل والطوائف والدول

الاماكن والبلدان والاحياء والقارات

أيام العرب

القرآن

* * *

الحديث

الحيوانات

النباتات

الكواكب والنجوم

الامثال

انصاف الابيات

الشعر

البيت	السطر والصفحة
تبـدت لنـا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منهـا وضنت بحـاجب	١٣٧/٨
أرق من الشكوى حـواشي طبـاعه وأحلى حـديثاً من أمـان كواذب	٩/١٢ – ١٦/١٢
وأخـلاقه كالـراح شيب ببـارد من الماء عـذب أو بريق الحبايب	٩/١١ – ١٦/١١
ولابد من شكوى ولـو بتنفس تبرد من حـر الحشـا والـترائب	١٧/١١
أنا البـاز المطـل عـلى نمـير أتيـح لـه من الجـو انصبابا	١٠٥/٧
ورث المكارم عن أبيـه وجـده كالرمـح أنبوب عـلى أنبـوب	١٣٨/٣
وإن صباحاً يلتـقى فى مسـائه صباح إلى قلبي الغـداة حبيب	١٦٤/٣
وأنى بكتـاب لو انطلقت يدى فيهـم رددتهـم إلى الكتـاب	١٧٢/٤
والله يطوى بساط الأرض عن كثب حتى نرى الشمل منـا وهو مقـترب	٧٧/١٠
تعس الزمان لقـد أتى بعجـاب ومحـا رسـوم الفضـل والآداب	١٧٢/٣

البيت	السطر والصفحة
أضاحك ضيفى قبــل إنزال رحله ويخصب عنــدى والمكان جديب	١٧٤/١٠
إذا كان الغــراب دليــل قــوم فلا يعــدو بهم طــرق الخــراب	٥٢/٣
بالنــاصر الملك الميمــون طــائره تخلصت مصر من جــدب وتخريب	٥/٢٠ ــ ١٣/٢٣
أجارتنــا إنا غريبــان ها هنــا وكــل غــريب للغــريب نسيب	٩٧/١٠
وما الخصب للأضيــاف أن يكثر القرى ولكنمــا وجــه الكــريم خصيب	١٧٤/١١
أحن إلى أهــلى وأهــوى لقــاءهم وأين من المشــتاق عنقــاء مغرب	٧٧/٥ ــ ١٨٤/١٠
قد صــار يوسف فيها مثل يوســفها فذا ابن أيوب يحكى نجــل يعقوب	٥/٢١ ــ ١٣/٢٤
فغــض الطــرف إنك من نمــير فلا كعبــاً بلغت ولا كــلابا	١٠٥/٨
المــلك مبتسم من بعــد تقطيب والســعد يخــدمه فى كــل تأويب	٥/١٩
يرى لـــه الشــامت ممـــا به يا ويح من يرثى لــه الشــامت	٦٢/٩
بأعظم من وجــدى بكم ، غير أننى أجمجم أحشــائى على مــا أجنت	٢٠٥/٥
إذا تركتــه أول الليــل رجعت وإن ذكرته آخــر الليــل حنت	٢٠٥/٤

البيت	السطر والصفحة
فما وجد ذات الضال طافت لأجله ثلاثاً ، فلما لم تجده أرنت	٣ ، ٢٠٥/١٢
نصبت على يا خوالف بظرا بصحن حلاوة من سم موت	٧٩/٤
يتشكى مثل شكوى محنى يا لقومى ما عليها مستريح	٦٥/٢
كلما حاولت أشكو قصتى لا ألاقى غير ذى قلب جريح	٦٥/١
وإنى وتركى ندى الأكرمين وقدحى بكفى زناداً شحاحا	١٣٨/٩
كتاركة بيضها بالعراء وملحفة بيض أخرى جناحا	١٣٨/١
وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد	٩/٦ — ١٦/٦
ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود	٦/١٦ — ١٤/٢١
وإن الجرح ينفر بعد حين إذا كان البناء على فساد	٤/٦ — ١٢/١١
رب طارق على غير وعد وفى كل واد بنو سعد	٦٦/١
وإن بقوم سودوه لحاجة إلى سيد لو يظفرون بسيد	٢٢٠/٢
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد	١٠ ، ٦٥/٢٨

البيت	السطر والصفحة
وجئت إلى بالأسمــــار تسـعى	
فلا ذهبــاً تركت ولا قماشــا	٧٩/٣
تجنب دمشــق فــلا تأتهــا	
وإن راقــك الجامــع الجامــع	٦٩/٩
فســوق الفســوق به قــائم	
وفجــر الفجــور به طــالع	٦٩/١٠
إذا لم تســتطع شــيئا فدعــه	
وجــاوزه إلى ما تســـتطيع	٢٢٦/٢٥
دياري غــــاب ســكانك	
وهـــد الدهــــر أركانك	٨٠/١٩
فأصــبحت كما قد كنت نحســا	
أكدى النــاس بالشــعر الركيك	٧٩/٧
تفــانى الرجــال عــلى حبهــا	
فــا يحصــلون عــلى طــائل	٤/٣
إلى أن يثوب القــارظان كلاهما	
وينشر فى القتــلى كليب لــوائل	١٦١/٥—١٨٢/٨
أيجوز فى دين الرئاسة أن أرى	
من جور حكمك فى ذراك قتيــلا	٨٩/٥
يــا إخــــوتى بدجيـــــل	
وأين مـــــنى دجيـــــــل	١٨٥/١
ويوم عقرت للعــذارى مطيــتى	
فيــا عجباً من رحلهــا المتحمل	١٣٦/١١
وقــد شــف الجــوى كبــدى	
وقــد ضــاقت بى الحيـــل	٨٠/١٢

البيت	السطر والصفحة
لقد شط المزار بهم فلا كتب ولا رسل	٨٠/١١
أزيد فى الليل ليل أم سال بالصبح سيل	١٨٤/١٣
فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل	١٣٦/١٢
وأنت أجل من عيد يهنى بعودته فهنيت الجلالا	١١٣/٦
يا أيها القاضى الأثير نداء من لم يتخذ أحد سواك خليلا	٨٩/٤
أودى كليل وهو شيخ ضلالة بالنحس إحسانى فظلت عليلا	٨٩/٦
لو كنت فى يوم السقيفة حاضرا لشفيت من شيخ الضلال غليلا	٨٩/٧
فالله يطوى بساط البعد عن كثب حتى يرى الشمل منهم وهو مأهول	٢١/٧
مشت فى أراك الواديين فنبهت به كل نشوان المعاطف ناعم	١٧/٤
وإن أنذوا بالسابرية أظهروا عيون الأفاعى من جلود الأراقم	١١/١٥
أيا نفحة أهدت إلى تحية ينم عليها العرف من أم سالم	١٧/٣
ألا إنما أحكى بدمعى واوعتى بكاء الغوادى وانتحاب الحمائم	١٧/٥

البيت	السطر والصفحة
إذا التثموا بالربط خلت وجـوههم أزاهـر تبـدو من فتوق الكمائم	١١/١٤
كانوا لنـا كالوالدين تعطفـا فاليـوم نحـن لبعـدهم أيتـام	١٤٩/٢
أتيت فـؤادها أشـكو إليـه فـلم أخلص إليـه من الزحـام	٨٤/١
كما مـر باز بالفضـاء محـلق رأته بغـاث الطير حتفاً لها حمـا	٢٢٧/٣
رحـل الندى والجود يوم رحيلهم وتخـلف الحـرمان والإعـدام	١٤٩/١
ألهـو بعـدكم وتقـر عيـنى عـلى اللهـو بعـدكم حـرام	-١٨٢/٣-١٦١/٢ ٢٠٦/٣
تحمل ما اسـتطعت من الخطـايا إذا كان القـدوم على كـريم	١٧٨/١٢
فـا أرى عنـدهم عـالوما أكـثر من لا ولا أسـلم	١٠١/١٣
وأقعـد مع القـوم فى جـلان لا بالبخـارى ولا بمسـلم	١٠١/١١
أنست بنو شـاذى بمصر وأهلهـا فبكت دمشـق عليهم والشـام	١٤٨/١٢
يقـارع أتراك بن خاقان ليـله إلى أن يرى الإصـباح لا يتلعثم	٧٦/١٣ - ٧٦/٣
سـبقت إلى غـايات كل فضـيلة تعز على طلابها العرب والعجمـا	٢٢٧/١٣

البيت	السطر والصفحة
وملكـني رق المنـاقب أنني	
أحطت بآداب الورى كلهـا علمـا	٢٢٩/٧
بدون هـــذا نرى فقيهــــا	
فوســـع الشـوب ثم عمـم	١٠١/٩
يا طـالب العـلم من كتـاب	
ومن معيــد ومن مفهـم	١٠١/٨
يريك البشاشــة عنـد اللقـاء	
ويبريــك فى السر برى القـلم	٢٢١/٣
إن الفروع من الأصــول ولن ترى	
فرعاً يطيب وأصـله الزقـوم	٢٢٠/٧
لــو لم يكن فى شربها فـرج	
إلا التخلص من يــد الهـم	٧٢/١٤
فان أك فى صـدر من العمر شارخاً	
فكم لقن عن همتى لقن الهمـا	٢٢٧/٨
إلا صـياحاً ونفـض كـم	
وعقــد لا لا وجمـع لم لم	١٠١/١٢
كغرائر الحسـناء قلن اوجههـا	
حســداً وبغيـاً إنه لذمـيم	١٣٣/١١
والبس مـن الشـوب طيلسـانا	
واعقــده فى المنكبـين وانظـم	١٠١/١٠
جـلوا صـارماً وتـلوا باطـلا	
وقالــوا صدقنـا فقلنـا نعـم	٣/٣ ـ ١١/٢٤
فيصـبح من طول الجـلاد مخبلا	
وكان قـديماً دائمـاً بتنغـم	٧٦/٤

البيت	السطر والصفحة
صـلى وصـام لأمر كان يأمله	
حتى حـواه فما صلى ولا صـاما	٦٨/٤
وما كان قيس هلكه هلك واحد	
ولكنـه بنيـان قـوم تهدما	٢٢٠/١١
إذا وطئ الضرغام أرضاً تضايقت	
خطا وحشها عنـه فيوسعها هـزما	٢٢٦/٥
فما منصف ممن ترقت به العـلا	
يرى أنه من أخمصي فوقه وصما	٢٢٩/٩
قام بأمـرى وقد قعـدت به	
ونمت عـن حاجتي ولم يـنم	٩/٨ ـ ١٦/٨
فيـالهفي ويا حـزني على مـا	
دهيت به من الدهـر الخـؤون	٧٩/١٠
لقـد سادوا بنو شاذى بنـائي	
بعشـرات المـواهب والمئـين	٧٩/١١
إن كنت أجحـد نعماه وأكفـرها	
فشـعره جوف بطني خط صلبانا	٢١٥/١٧
وكم حضرت على إنكاح محصـنة	
وكم شهـدت له زوراً وبهتـانا	٢١٥/١٠
مثوى المغـانى ومأوى كل زانيـة	
يلقـون درسهم شـدواً وألحـانا	٢١٥/٦
وكم طـرقت إليـه والحبيب معى	
من بعـد مالم أجد بيتاً ولا خانا	٢١٥/١١
ولحيـة غضـة بيضاء تحسبهـا	
حجر العفيف الذى يدعى ابن عندانا	٢١٥/١٨

البيت	السطر والصفحة
مدارس درست آى العلوم بها فأصبحت لخيول اللهو ميدانا	٤/٢١٥
أما لئن بعت دينى واشتريت به ديناً فما بعت فيك الدين بالدون	٧/١٠٦
فالله يبقيه للإسلام يحرسه والله يبقيه للدنيا وللدين	٧/١٦ـ ١١/ ١٥
لقد منوا على وخلصونى من الأيام والرزق الحرون	٧٩/١٤
فقام بالبشر والترحيب مفتتحا واتبع البر والإحسان إحسانا	٢١٥/١٢
أستغفر الله والله ما نفعت من سحر ألحاظه آيات ياسين	١٠٦/٩
لو أن الناصر الملك المرجى حليف الجو ومفتاح الحصون	٧٩/١٦
سبحان من خلق الأشياء قاطبة تراه صور ذاك الجسم من طين	١٠٦/٨
برامكة الزمان بحور جود بدور التم آساد العرين	٧٩/١٣
جزاك الله يابن ظفير عنى وأطعمك الهريسة بالقرون	٧٨/١٦
يا معشر الناس ما أحلى شمائله لو كان ينصفنى لو كان يرعانى	١٠٧/٨
أكديهم بشعر مثل هذا فيعطونى الخرا وسط الدقون	٧٩/٨

البيت	السطر والصفحة
يسلبن ذا اللب حى لا حراك به	
وهن أضعف خلق الله أركانا	٢١٥/٧
ومد لى خرقة قد كان يبسطها	
على المنابر يوم الوعظ أركانا	٢١٥/١٣
فاترك متابك إن القوم قد فطنوا	
وعد إلى العيش فانهبه كما كانا	٢١٦/٥
وكم نصبت عليها بالمحال كما	
بات ابن أسعد تمويهاً وخذلانا	٢١٦/٤
كادت تشاكلها فى قبح باطنها	
وحسن ظاهرها سراً وإعلانا	٢١٦/١
يعيرنى ويضحك من بكائى	
كأن الدهر أعطاه الأمان	٧٩/٦
وكم قمرت رجالا فى مقرنه	
وفزت بالفلح والأرباح أزمانا	٢١٥/٩
وجرر الذيل فى أرجاء ساحتها	
فخلتها الصرح والغرمول هامانا	٢١٦/٣
يا أهل نعمان إلى وجناتكم	
تعزى الشقائق لا إلى النعمان	٢٤/٨
ألهو بأشمط عنوان المجون به	
يقطع الليل تكذيباً وإيمانا	٢١٥/١٦
إن قدموك على الأحكام فانشدهم	
قول الفرزدق لما ظل هيمانا	٢١٦/٦
قعدت على المطارف والحشايا	
فلا غث تركت ولا سمين	٧٩/١

البيت	السطر والصفحة
كم قد بركت زماناً حــول بركته	
أغرى غريراً مريض الطرف وســنانا	٢١٥/٨
يخلصــنى من ابن ظفــر يومــا	
ســجدت له عــلى مر الســنين	٧٩/١٧
لابن الحكيم أطــال الله مــدته	
مغــنى رحيب عن الحانات أغنــانا	٢١٥/٥
ولا ذكرت صــديقا كنت آلفه	
إلا جعلتــك فوق الكل عنــوانا	١٠٣/١٣
ســقاه غيث من الوسمى هتــانا	
ربعــاً خلعت عــذارى فيــه ألزانا	٢١٥/٣
يزهــو بها . . . إعجــاباً فتحســبه	
قد صار كسرى وذاك الحجر إيوانا	٢١٦/٢
وقال هــذا وطــاء فيــه توطئــة	
والسدا دفــتراً ضــخماً وديوانا	٢١٥/١٤
لا تعجبن لخــير إن أتاك به	
فالكوكب النحس يســقى الأرض أحيانا	٥٢/٧
فبت فى لــذة كــفى بأخــدعه	
وفى أخــادع زين الدين أحيــانا	٢١٥/١٥
ولكن الحــراف صــديق بختــى	
يطــالبنى مطالبــة الــديون	٧٩/١٥
ليس الشفيع الذى يأتيك مــؤتزرا	
مثل الشفيع الذى يأتيــك عــريانا	٢١٦/٧
ما غــير البعــد عهداً كنت تعــرفه	
ولا تبــدلت بعد الذكر نســيانا	١٠٣/١٢

السطر والصفحة	البيت
١٥/٧ – ٧/١٢	فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها
١٦٦/٩	فإن بدا لكما فى لفظه غضب فغالطاه وقولا ليس نعرفه
٢/١٥	أفلت بدورها ، فتعطلت صدورها وطلعت نحوسها ، فغابت شموسها
٨٠/٩	سراة الليل ما فعلوا أحبتنا الذى ارتحلوا
٨٠/١٠	تراهم ذاكرين لنا وإلا غيرنا وصلوا
١٧٢/٥	او كان يبلغ بالفضائل رتبة نلت العلى بكتابتى وحسابى
٧٩/٢	وأسكنك القصور من الخزامى وألبسك الثياب من البخانق
٦٧/٩	لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى
٧٩/٥	فأشمت الأعادى بى فسروا ولا سيما أبو اليمن الكنيدى
٦٣/٤	وما شرب العشاق إلا بقيتى ولا وردوا فى الحب إلا على وردى
١١٨/٦	على أنها تعفوا الكلوم وإنما يوكل بالأدنى وإن جل ما يمضى
١٧٣/٧	كأن قلوب الطير رطباً ويابسا لدى بيته العنباب والحشف البالى

البيت	السطر والصفحة
وقـد ملأوا من النعمى جـرابى	
فقطعـه الحـراف عـلى جبينى	٧٩/٩
فتـور عينيـك ينهـانى ويأمـرنى	
ورد خـديك يغـرى بى ويغرينى	١٠٦/٦
وارجع للنسـاخة من جـديد	
وهـذا بعـد ما ضعفت جفـونى	٧٩/٦
نسـيمه يتلقـانى بزورته	
مبشـراً لى من حيث يلقـانى	١٠٧/٦
سألتـه قبلة تحيي النفـوس بهـا	
فضـمنى ضم مشـتاق فأحيـانى	١٠٧/٧
أليس الله يعـلم أن قلـبى	
يحبـك أيهـا الـبرق اليمـانى	٢٠٦/١٨

اسماء الكتب التي وردت في النص

المراجع

١ – أساس البلاغة : الزمخشرى . ط الشعب – القاهرة .

٢ – الإصابة فى تمييز الصحابة . ابن حجر العسقلانى : القاهرة ١٩٣٩ .

٣ – الأعلام : خير الدين الزركلى . طبعة ١٩٢٧ .

٤ – الأغانى : أبو الفرج الأصفهانى . طبعة دار الكتب ١٩٢٧ .

٥ – الألفاظ الفارسية المعربة : آدى شير . بيروت ١٩٠٨ .

٦ – تاريخ أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ط القاهرة .

٧ – العرب فى صقلية : دكتور إحسان عباس . ط دار المعارف – القاهرة ١٩٥٦ .

٨ – تاريخ الأمم والملوك : ابن جرير الطبرى . ط أوربا .

٩ – التاريخ الكبير : ابن عساكر . ط روضة الشام ١٣٣١ هـ .

١٠ – تذكرة أولى الألباب : ابن داود الأنطاكى ط القاهرة ١٩٣٧ .

١١ – جمهرة أنساب العرب : ابن حزم الأندلسى . تحقيق عبد السلام هارون . ط دار المعارف – ط القاهرة ١٩٤٨ .

١٢ – حالة مصر الاقتصادية فى عصر الفاطميين : د . راشد البراوى ط القاهرة ١٩٤٨ .

١٣ – حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة : جلال الدين السيوطى . ط المطبعة الشرقية – القاهرة ١٣٢٧ هـ .

١٤ – الحياه العقلية فى عصر الحروب الصليبية . د . أحمد أحمد بدوى القاهرة ١٩٥٢ .

١٥ – خريدة القصر وجريدة العصر : تحقيق د. شكرى فيصل ، قسم شعراء مصر : تحقيق أحمد أمين وآخرين .

١٦ – خمس رسائل : أبو منصور الثعالبى النيسابورى . ط مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٣٠١هـ

١٧ – دائرة المعارف الإسلامية . جـ ٣ العدد ٨ .

١٨ – دائرة معارف البستانى .

١٩ – الدرة البهية فى منافع الأبدان الإنسانية : ابن البيطار – مطبعة السعادة – القاهرة .

٢٠ – الديارات : الشابشتى تحقيق كوركيس عواد – ط بغداد ١٩٥١ .

٢١ — السلوك لمعرفة دول الملوك : المقريزى : نشرة د. محمد مصطفى زيادة — دار الكتب المصرية ١٩٣٤ .
٢٢ — شذرات الذهب فى أخبار من ذهب : ابن العماد الحنبلى — مطبعة القدسى — القاهرة ١٣٥٠ هـ
٢٣ — صبح الأعشى فى صناعة الإنشا : القلقشندى — ط دار الكتب المصرية ١٩٢٢ .
٢٤ — صحيفة دار العلوم — السنة الثانية — يونيو ١٩٣٥ .
٢٥ — طبقات الشافعية الكبرى : تقى الدين السبكى — ط المطبعة الحسينية — القاهرة ١٣٢٤ هـ .
٢٦ — عيون الأنباء فى طبقات الأطباء : ابن أبى أصيبعة — ط أولى سنة ١٨٨٢ .
٢٧ — الفاخر فى الأمثال : ابن عاصم — طبع ليدن ١٩١٥ .
٢٨ — الفهرست : ابن النديم — ط المكتبة التجارية ١٣٤٨ هـ
٢٩ — فوات الوفيات: ابن شاكر الكتبى . القاهرة ١٢٨٣ هـ .
٣٠ — قاموس العوام : حليم دموس — ط دمشق ١٩٢٣ .
٣١ — القاموس المحيط : الفيروزابادى ١٢٨٩ هـ .
٣٢ — قوانين الدواوين : ابن مماتى — ط القاهرة ١٩٤٣ .
٣٣ — الكامل فى التاريخ : ابن الأثير — ط مطبعة الاستقامة — القاهرة ١٣٠١ هـ .
٣٤ — كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون : حاجى خليفة — ط تركيا ١٩٤١ .
٣٥ — الكنز المدفون والفلك المشحون : المنسوب لجلال الدين السيوطى — ط مطبعة الحلبى سنة ١٩٣٩ .
٣٦ — اللباب فى تهذيب الانساب : ابن الأثير — مكتبة القدسى — القاهرة ١٣٥٦ هـ .
٣٧ — مجمع الأمثال للميدانى : تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد — المطبعة الخيرية . القاهرة سنة ١٣١٠ هـ .
٣٨ — المخلاة : بهاء الدين العاملى — ط الحلبى بمصر ١٩٥٧ .
٣٩ — مرآة الجنان وعبرة اليقظان : عبد الله بن أسعد اليافعى اليمنى — حيدر أباد الدكن سنة ١٣٣٨هـ طبعة أولى .
٤٠ — مصر فى عصر الأيوبيين : د. السيد الباز العرينى — سلسلة الألف كتاب — العدد ١٩٨ .

٤١ ــ المعجب فى تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد المراكشى ط القاهرة ١٩٤٩ .
٤٢ ــ معجم الأدباء : ياقوت الحموى ــ تحقيق د. س. مرجليوث .
٤٣ ــ معجم أسماء النبات : أحمد عيسى ــ ١٩٢٦ ــ القاهرة .
٤٤ ــ معجم البلدان : ياقوت الحموى ــ ط أولى ١٩٠٦ .
٤٥ ــ المعجم الفلكى : أمين فهد المعلوف ــ دار الكتب ــ ١٩٣٥ .
٤٦ ــ المعجم فى بقية الأشياء : أبو هلال العسكرى ــ تحقيق ابراهيم الإبيارى وعبد الحميد شلبى ط دار الكتب ١٩٣٤ .
٤٧ ــ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة : عمر رضا كحالة ــ ط المكتبة الهاشمية بدمشق ١٩٤٩ .
٤٨ ــ المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم : أبو منصور الجواليقى ــ تحقيق أحمد شاكر
٤٩ ــ مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب : ابن واصل . تحقيق د. جمال الدين الشيال ــ ط القاهرة ١٩٥٣ .
٥٠ ــ ملحق المعجمات العربية : دوزى .
٥١ ــ المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم : ابن الجوزى ــ ط حيدر أباد الدكن سنة ١٣٥٩ هـ ــ طبعة أولى .
٥٢ ــ المنجــد : لويس المعلوف ــ الطبعة السادسة .
٥٣ ــ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة : ابن كفرى بردى ــ ط دار الكتب ١٩٢٩ ــ ١٩٣٣ .
٥٤ ــ نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق : الشريف الأدريسى .
٥٥ ــ نكت الهميان فى نكت العميان : ابن أيبك الصفدى ط القاهرة ١٩١١ .
٥٦ ــ النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية : بهاء الدين بن شداد .
٥٧ ــ الوافى بالوفيات: ابن ايبك الصفدى . تحقيق سفن ديلدرينغ . دمشق . ١٩٥٣ .
٥٨ ــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : ابن خلكان : تحقيق ماك توكين ديسلان ــ ط باريس سنة ١٨٣٨ .

فهرس موضوعات الكتاب

الموضــوع	الصفحة

الفهرس العام

الصفحة